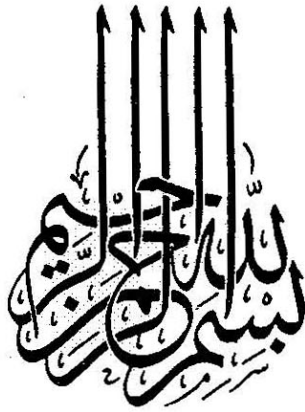


أحمد السقاوف

نخبته من مقالاته ومقابلاته



مركز البحوث والدراسات الكويتية
الكويت - ٢٠٠٤ م



تصدير

يعنى مركز البحوث والدراسات الكويتية - وهو يؤدي رسالته - بتسجيل معالم حياة أعلام الكويت الذين أسهموا بثمرات فكرهم ونتاج عقولهم وسديد رأيهم في إثراء نهضة الكويت الحديثة بما سجلوه من مواقف وما رصدوه من أحداث ووقائع ، وما صدر عنهم من بيان صادق جاء تعبيراً عن ضمير هذه الأمة فكانوا - بحق - الرواد الذين عبدوا الطريق وأناروا للأمة دروب نهضتها الرائدة . ففي سيرة حياتهم أسوة وقدوة حسنة وإعلاء لمكانة أمتهم وتأكيد لهويتها .

ويجىء أحمد محمد السقاف في طليعة هؤلاء الرواد الذين نذروا أنفسهم لقضايا أمتهم وهموم وطنهم ، وقد آتاه الله بصيرة نافذة وعزيمة قوية وفكراً ناضجاً وبيانا معبراً ، وكان ذلك كله نبض حياته الحافلة بالإنجازات ، إذ كانت اهتماماته متعددة ، وفي كل مجال ارتاده كانت له بصماته المميزة ، فقد عمل في مستقبل حياته في سلك التربية والتعليم فكانت له آراؤه النيرة في إصلاح التعليم ، وعمل في ميدان الإعلام فكانت له فيه مبادرات رائدة سجلها له التاريخ إذ أصدر مجلة «كازمة» هو وصديقه المرحوم عبد الحميد الصانع ؛ فكانت أول مجلة تصدر وتطبع في الكويت ، كما رأس تحرير مجلة «الإيمان» الشهرية ومجلة «صدى الإيمان» الأسبوعية ، وتبنى مجموعة من شباب الكويت إبان عمله في وزارة الإرشاد والأنباء (الإعلام حالياً) فدربهم على أعمال الطباعة والنشر .

ويتكليف من سمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح وزير الإرشاد والأنباء

آنذاك (الإعلام حالياً) عمل على إصدار مجلة «العربي» التي كانت ولا تزال مجلة كل العرب ومعلماً حضارياً من معالم الكويت ، ومدرسة جامعة لألوان الثقافة العربية . ولعلها أبرز المشروعات الثقافية العربية الناجحة في القرن العشرين . كما عمل على تأسيس الندوات الأدبية والثقافية وأسهم بجهـد كبير في رابطة أدباء الكويت التي كان أمينها العام لعدة سنوات .

وعايش السقاف كذلك أحداث وطنه وأمته العربية فكان من أصدق دعاة الوحدة العربية المناهجين عنها ، وكتابات وأشعاره تقف شاهداً على مدى إخلاصه لوطنه وأمته ولغته ، فقد كان اللسان الصادق القوي في شتى المناسبات الوطنية والقومية ، وكان من سحريائه أن سارعت العديد من الدول العربية إلى اختيار قصائده الفريدة ضمن مقرراتها الدراسية لطلبة المدارس لما فيها من روعة البيان وقوة التعبير وصدق العاطفة . وكان له في مجال الإصلاح يد لا تنسى من خلال عمله بالهيئة العامة للجنوب والخليج العربي فوضع اللبنة الأولى للمدارس والمستشفيات والمؤسسات الاجتماعية في أنحاء كثيرة من أطراف الجزيرة العربية . ومركز البحوث والدراسات الكويتية إذ يقدم أحمد السقاف لجمهور القراء وللأجيال الجديدة من أمتنا العربية من خلال إعادة نشر مجموعة مختارة من مقالاته ومقابلاته التي سبق أن نشرت في عدد من الصحف والدوريات فإنه يأمل أن يوفيه بعض حقه لريادته العلمية والأدبية والفكرية ، متعه الله بموفور الصحة وجزاه عن لغة القرآن الكريم وأمته العربية والإسلامية خير الجزاء .

والله الموفق والمستعان

أ . د . عبدالله يوسف الغنيم

رئيس مركز البحوث والدراسات الكويتية

أحمد محمد السقاف

رائد متميز من رواد النهضة العربية الحديثة

أطل الأديب المبدع والشاعر المطبوع ، والداعية المخلص للقومية العربية أحمد محمد السقاف على الدنيا عام ١٩١٩م والعالم العربي يشهد مولدا جديدا بعد أن وضعت الحرب العالمية أوزارها بانتصار الحلفاء وهزيمة ألمانيا والدول المنحازة إليها في هذه الحرب وفي مقدمتهم الدولة العثمانية التي كانت تبسط سلطانها على العالم العربي في كل من آسيا وإفريقيا حيث آلت أملاكها إلى إنجلترا وفرنسا بمقتضى اتفاقية (سايكس - بيكو) التي أبرمت بين الدولتين الاستعماريتين عام ١٩١٦م . تلك المعاهدة التي تعدُّ نقضا صريحا للوعود التي قطعتها إنجلترا للشريف حسين الذي انحاز إلى جانب الحلفاء ضد الدولة العثمانية ، ولحق ذلك وعد بلفور الصادر في تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩١٧م ، وذلك في صورة كتاب موجه من وزير خارجية إنجلترا إلى اللورد روتشلد ، ينص على الآتي : (يسرني أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالة الملك بأن حكومة جلالته تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين) .

فنشبت ثورات عدة في مختلف البلدان العربية المحتلة في مصر وإقليم الشام والمغرب العربي .

ولم تلبث آثار الحرب العالمية الأولى أن خفت وطأتها وحصلت بعض

الدول العربية على استقلال شكلي حتى بدأت نذر الحرب العالمية الثانية تلوح في الأفق حين بزغ نجم هتلر في ألمانيا فقادها إلى الحرب ضد الحلفاء في عام ١٩٣٩م مما جعل كلا من إنجلترا وفرنسا تتمسك بمستعمراتها والبلاد التي فرضت عليها الحماية والوصاية في العالم العربي وفي قارتي آسيا وإفريقيا بصورة عامة . وسط هذا الجو المشحون بالصراع المتفجر بالثورات نشأ أحمد السقاف ، حيث كان وهج القومية العربية يلف الأوطان العربية وحركة الإحياء والتجديد يتنادى بها القادة والمصلحون والمثقفون على امتداد الوطن العربي .

دراسته وثقافته:

درس أحمد السقاف دراسة عربية ودينية ، وحصل على إجازة في تدريس اللغة العربية غير أنه صمم على الدراسة الحديثة فاجتاز المرحلة الثانوية ووصل إلى كلية الحقوق ، وكان السقاف شغوفا بالدراسات الأدبية ، مكبا على عيون الأدب العربي شعره ونثره ، قديمه وحديثه يطالعها ويحفظ منها الكثير ، فكان له من ذلك زاد ومدد مكنه من بلوغ منزلة تضعه في مصاف الأدباء والشعراء العرب المحدثين والمجددين الذين منحوا الأدب العربي شعره ونثره توهجا وتفاعلا صادقا مع قضايا الأمة العربية السياسية والاجتماعية والثقافية ، وأصبح له رصيد يزداد كل يوم ثراء في ميدان الشعر والنثر .

رحلته مع العمل الوظيفي:

* في مطلع عام ١٩٤٤م عين مدرسا للغة العربية في المدرسة المباركية ، ثم انتقل إلى المدرسة الشرقية ، وعين ناظرا لها عام ١٩٥٠م .

* وفي عام ١٩٥٦م انتقل إلى دائرة المطبوعات والنشر ، فأشرف على المطبعة الحكومية وعني بتدريب عدد من الشباب الكويتي على أعمال الطباعة والنشر .

* وفي عام ١٩٦٢م عين وكيلا لوزارة الإرشاد والأبناء (الإعلام حاليا) .

* وفي عام ١٩٦٥ نقلت خدماته إلى الهيئة العامة للجنوب والخليج العربي بدرجة سفير ، وهي هيئة مستقلة مرتبطة بوزارة الخارجية الكويتية مهمتها إنشاء المدارس والمستشفيات والمستوصفات الطبية والكليات الجامعية في كل من شطري اليمن آنذاك والبحرين والإمارات العربية قبل أن تتوحد ، وفي جنوب السودان ، إسهاما من دولة الكويت في إرساء قواعد النهضة الحديثة بهذه البلاد الشقيقة .

* وفي عام ١٩٩٠م تقاعد عن العمل الحكومي بعد رحلة امتدت حوالي نصف قرن ، ليتفرغ لأعماله الأدبية والفكرية .

نشاطاته الثقافية والأدبية والفكرية:

كان السقاف مميزا بين أقرانه وأبناء جيله بنزعه الإصلاحية وغيرته على اللغة العربية وحرصه على إحيائها وتجديد شبابها وله في هذا الميدان آثار حميدة ومشروعات رائدة من أهمها :

* أنه أنشأ ندوة أدبية في منزله كانت تعقد كل خميس ، ثم صارت تعقد بالتبادل في منزل أحد الفضلاء مما جعل لها صدى واسعا في محيط المجتمع إلى أن توقفت عام ١٩٤٦م .

* وفي عام ١٩٤٨م تبنى مشروعاً ثقافياً وأدبياً جديداً إذ أصدر بالتعاون مع المرحوم عبدالحميد الصانع مجلة «كازمة» وهي أول مجلة تصدر وتطبع في الكويت ، وكانت تعنى بالعلوم والفنون والاجتماع والشعر والقصص وعرض الكتب ، واستمر صدورها تسعة أشهر ثم توقفت لأسباب خارجة عن إرادته .

* كما أنشأ مع رفاق له (النادي الثقافي القومي) ، وتولى رئاسة تحرير مجلة «الإيمان» لسان حال النادي وهي مجلة شهرية ، إلى جانب مجلة «صدى الإيمان» الأسبوعية التي تولى أيضاً رئاسة تحريرها .

مشروعه القومي الكبير (مجلة العربي)

بعد نقل خدماته إلى دائرة المطبوعات والنشر عام ١٩٥٦م وجد الفرصة سانحة أمامه لإنشاء مشروع ثقافي رائد وكانت الساحة العربية في حاجة إلى مثل هذا المشروع بعد توقف عدد من الإصدارات الثقافية العربية مثل مجلة «الرسالة» ومجلة «الثقافة» .

وفي عام ١٩٥٧م سافر إلى بعض الدول العربية بتكليف من سمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح للتعاقد مع من يقع عليه اختياره لإصدار مجلة ثقافية مميزة ، فقصده مصر لهذا الغرض وتعاقد مع الدكتور أحمد زكي الذي كان أول رئيس تحرير لمجلة «العربي» ، كما تعاقد مع مجموعة من الصحفيين والفنيين ذوي الكفاية والخبرة ، فقدموا في مطلع ١٩٥٨م ، وصدرت مجلة العربي في ديسمبر من العام نفسه .

وأصبحت مجلة العربي بما توافر لها من إمكانات فنية وتقنية وبما اختطته لنفسها من منهج ثقافي موضوعي مستقل معلما من معالم الثقافة العربية المميزة ، وأصبحت اللسان العربي الأوسع انتشاراً في محيط الوطن العربي والمعبر عن ضمير الأمة العربية .

ولاتزال «العربي» توالي صدورها وتجدد من شبابها بين فينة وأخرى ، وقد ظلت منذ صدورها تمثل الرقم الأول على الساحة العربية من حيث سعة الانتشار واستقطاب الأرقام القديرة .

وهو إلى جانب ذلك كله عضو رابطة الأدباء الكويتية وكان أمينها العام حتى عام ١٩٨٤ م ، وتولى رئاسة وفودها إلى المؤتمرات الأدبية الإقليمية والعالمية لأكثر من عشر سنوات .

وامتدت اهتماماته إلى ميدان تحقيق المخطوطات العربية القيمة وطبعها ونشرها بالتعاون مع معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية .

وتقديراً لجهوده وإسهاماته العديدة في الحياة الثقافية المحلية والعربية فقد منحتة دولة الكويت الجائزة التقديرية التي استحقتها عن جدارة .

وهو يحمل وسام مأرب من الجمهورية العربية اليمنية ، ووسام الاستقلال من جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية تقديراً لما قدمته الكويت من مساعدات للشعب اليمني جنوبه وشماله ، وما وفرته من منشآت وخدمات تعليمية وصحية لاتزال تقف شاهداً على مدى إسهام الكويت في النهضة الحضارية للعالم العربي .

مسيرته الثقافية ونتاجه الأدبي

يعد السقاف واحداً من الرواد المبرزين في الساحة الثقافية العربية ، فقد أسهم بجهوده وإبداعاته في إحياء الثقافة العربية وتجديدها وإثراء الكثير من مجالاتها شعراً ونثراً ، ويعد من الصفوة التي دافعت عن اللغة العربية في وجه الحملة الظالمة التي تعرضت لها على يد نفر من دعاة التغريب والقوميات الضيقة وأنصار الشعوبية الحاقدة على العرب وعلى لغتهم الجميلة ، ومن أهم آثاره ومؤلفاته :

- ١- المقتضب في معرفة لغة العرب .
- ٢- أنا عائد من جنوب الجزيرة العربية .
- ٣- الأوراق في شعر الديارات .
- ٤- حكايات من الوطن العربي الكبير .
- ٥- العنصرية الصهيونية في التوراة .
- ٦- تطور الوعي القومي في الكويت .
- ٧- شعر أحمد السقاف .
- ٨- من شعر أحمد السقاف .
- ٩- سيف الغدر عن الغزو الصدامي الآثم .
- ١٠- قطوف دانية عن الشعر الجاهلي .
- ١١- أحلى القطوف عن الشعر الأموي .
- ١٢- أغلى القطوف عن الشعر العباسي .
- ١٣- الطرف في الملح والنوادر والأخبار والأشعار .
- ١٤- أحاديث في العروبة والقومية .

مواقفه الوطنية والقومية والإنسانية:

تتجلى وطنية السقاف وموقفه القومي وإنسانيته الشفافة من خلال نتاجه الأدبي نثرا وشعرا ، وهو يصول ويجول بقلمه المبدع وجرأته المعهودة وانحيازه الواضح لقضايا الحق والعدل والجمال ، فقد تحرك في كل الدوائر الإنسانية ابتداء من دائرة الأسرة فدائرة الوطن ، فدائرة الخليج والوطن العربي ، فالدائرة الإنسانية الواسعة .

ففي رؤيته العربية الواضحة يقول : العربي هو من اتخذ العربية لسانا ، واعتز بالثقافة العربية وأخلص لها واندمج في المجتمعات العربية سواء أكان في الأساس عربيا أم لم يكن .

أما القومية العربية في مذهبه : هي التضامن العربي ليس غير ؛ فكل عربي داخل الوطن العربي أو خارجه يؤمن بالتضامن العربي بين الشعوب العربية فهو قومي عربي .

ويستنطق التاريخ شاهدا على مذهبه العربي ، فيعود إلى الأسواق العربية القديمة التي كانت قائمة قبل الإسلام مثل : عكاظ ، ومجنة ، وذي المجاز وغيرها ، وذلك من أجل التعارف وتبادل المنافع وإنشاد الشعر وإلقاء الخطب وإجازة المحيدين من الشعراء والخطباء ، وهو ما يعرف اليوم بالقومية العربية .

العرب تحت راية الإسلام

وتتجلى رؤيته في مقولاته الآتية : «ما إن بزغ فجر الإسلام وبسط ظله على الجزيرة العربية حتى خرج العرب إلى العالم أجمع وإذا بهم يهزمون إمبراطوريتي

فارس والروم في سنوات معدودات ، ولم يكن ذلك إلا بإيمانهم واعتصامهم بحبل الله المتين استجابة لقول الله تعالى «واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا» آل عمران : ١٠٣ .

ويواصل حديثه حول العرب ولغة القرآن في ظل الإسلام قائلا : «وفي ظل الإسلام وفي رحاب لغته العربية التي أنزل الله بها القرآن أبدع العقل العربي كما أبدعت عقول أبناء الشعوب الأخرى الذين دخلوا الإسلام أيما إبداع وأتقنوا لغة القرآن أيما إتقان» .

ويتقل إلى العصر الحديث ووقائعه الشهيرة مؤكدا ما ذهب إليه فيقول : «كما ظهرت الأمة العربية قوية متماسكة أيام الفتوحات الكبرى ظهرت في هذا القرن متماسكة أيضا ؛ وتجلّى ذلك في وقوف جميع العرب إلى جانب مصر حينما أمم جمال عبدالناصر قناة السويس حيث غزا الإنجليز والفرنسيون ومعهم إسرائيل مصر عام ١٩٥٦م» .

«وفي ثورة الجزائر هبت الأمة العربية ترفد تلك الثورة بقوة وإيمان ، ونحن هنا في الكويت ، وكنا تحت الحماية لم نل استقلالنا بعد - قدمنا أكثر ما نستطيع وتغنّى شعراء الكويت بتلك الثورة وفرض الشيخ عبدالله السالم ضريبة على تذاكر السينما لمساعدة الثورة الجزائرية» .

«وكانت تظاهرة نساء الكويت مفاجأة كبيرة فقد خرجت المرأة الكويتية لأول مرة في تاريخها في تظاهرة حاشدة على الرغم من أن البلاد كانت لا تزال

تحت الحماية البريطانية ، وأقبل المواطنون على التبرع بسخاء لدعم الجيش المصري في مواجهة العدوان الاستعماري الغاشم» .

عودة التضامن العربي:

يمضي السقاف مسجلا المواقف العربية التاريخية للقادة العرب ، وللشعوب العربية الوفية قائلًا : وفي قمة الخرطوم في أغسطس ١٩٦٧ ، وكان الخلاف على أشده بين القاهرة والرياض بادر الملك فيصل بالإعلان عن أن دخل قناة السويس البالغ مائة وثلاثين مليون جنيه استرليني سوف تتحمله ثلاث دول عربية : الكويت بمقدار خمسة وخمسين مليوناً والسعودية بمقدار خمسين مليوناً وليبيا بخمسة وعشرين مليوناً .

و بمضي قائلًا : « كما رأينا موقفاً سعودياً شجاعاً آخر في حرب أكتوبر ١٩٧٣م شاركت فيه الكويت والإمارات وقطر حينما لجأت الدول الأربع إلى تقليص إنتاج النفط للضغط على الولايات المتحدة والدول المناصرة لإسرائيل مما أدى إلى ارتفاع أسعار النفط ارتفاعاً شديداً» .

موقفه من قضية فلسطين:

وموقفه من قضية فلسطين موقف المدافع الصلب عن الحق الفلسطيني والباحث المنقب في تاريخ اليهود قديماً وحديثاً وبيان زيف ادعاءاتهم فيقول : «أما ثورة فلسطين فقد احتلت قلوب العرب جميعاً منذ اندلاعها عام ١٩٣٦م وكان الكويتيون يتسابقون في مساعدة هذه الثورة بالمال والسلاح ، وما زالت هذه القضية الشغل الشاغل لجميع العرب والمسلمين» .

دعوة إلى وحدة شاملة لأبناء الجزيرة العربية؛

ونداؤه قوي لوحدة الجزيرة العربية إذ يقول : «إن الجزيرة العربية وعاء للقبائل النزارية العدنانية وللقبائل القحطانية على حد سواء ، وإذا كان ذلك كذلك أيجب أن يمنع العمل عن ابن الجزيرة العربية في جزيرة العرب لينعم به الأجنبي مهما كانت الأسباب ، أفلا يجب لنا أن نردد مع شوقي :

أَحْرَامٌ عَلَى بِلَابِهِ الدَّوْحُ حلالٌ للطَّيْرِ من كلِّ جنسٍ؟

وبمتهى الصدق والصراحة والوضوح أقول : إن دول الجزيرة العربية السبع بين امرين اثنين إما الدخول في تكتل يضمن لها القدرة ويدراً عنها الأخطار ويؤهلها لدخول الألفية الثالثة وإلا فلتبق على ما هي عليه من ضعف وقلق وخوف وابتزاز» .

الكويت أصالة واستقلالية؛

يتصدى السقاف بإيمان راسخ وموقف صلب وصراحة لا تعرف التردد حيال العدوان العراقي على الكويت ويعالج هذه المنازلة من منظور عربي ، ويقيم الموقف العربي بميزان المنطق والواقع في موضوع (العرب و كارثة آب) فيقول : «في كل آب -أغسطس- بعد الغزو الغادر نصاب بذهول فلقد كان ذلك العدوان فوق التصور ، وكانت مجازره وآثامه فوق الاحتمال ، ويزيد الطين بلة تذكرنا ما حدث في اجتماع القادة العرب بمبنى جامعة الدول العربية حينما صوتت الأكثرية على وجوب خروج القوات العراقية من الكويت دون إبطاء ، وتحفظ المواليون للعدوان ، فقد وقفت الأسرة العربية الكبيرة بدولها ذات القدرة الفاعلة المؤثرة إلى جانب

الكويت فكانت جمهورية مصر العربية والمملكة العربية السعودية ، والجمهورية العربية السورية في مقدمة الدول المتصدية لذلك العدوان .

ويعضي السقف ليؤكد أصالة الكويت واستقلاليتها منذ ثلاثة قرون فيقول :
«إنها عرفت كبلد مستقل عام ١٦١١ م . وقد قصدها آل الصباح ، واختار الكويتيون صباح بن جابر أول حاكم للكويت ، ولم تكن الكويت خاضعة لأي من القوى الكبرى في ذلك التاريخ ففي عهد عبدالله بن صباح التجأ إلى الكويت والي البصرة مصطفى أغا وأخوه معروف والشيخ ثويني شيخ قبائل البصرة ، ولما ألح والي بغداد سليمان باشا في طلب اللاجئين الثلاثة رفض الشيخ عبدالله بن صباح رفضاً قاطعاً تسليم الرجال الثلاثة ولم تنفع وساطة المقيم التجاري الإنجليزي في البصرة ، وهذا دليل قاطع على استقلال الكويت وعدم خضوعها للدولة العثمانية .

وقد كان الكويتيون مضرب المثل في الدفاع عن وطنهم وصد أطماع الطامعين ، وتتجلى شجاعة الكويتيين في كثير من المعارك ، ولعل في معركة الرقة أقوى البراهين على هذه الشجاعة ، فلقد هاجم الكعبيون - وهم من عرب الأهواز - مدينة الكويت بسفنهم الضخمة بعد أن رفض الشيخ عبدالله بن صباح أن يزوج ابنته مريم أميرا من أمرائهم ، ونازل الكويتيون الكعبيين إلى الشمال الشرقي من جزيرة فيلكا بسفنهم الخفيفة فهزموهم وكان قائد هذه المعركة البحرية الجبارة جابر بن عبدالله بن صباح أخو مريم» .

ويتنقل السقف بقلمه القوي إلى واقعنا المعاصر فيقول : «لقد كان صدام حسين يحلم باحتلال شرق الجزيرة العربية كله ، ولولا عناية الله ويقظة الرجال

من أبناء العروبة الصافية في المملكة العربية السعودية وقادة دول مجلس التعاون والرفض المصري الحاسم للغزو وموقف سورية البطلة والغضب العالمي العاصف لصعب تجميع قوات التحالف وإعدادها لضرب العدوان وتطهير الكويت من قوات الاحتلال الآثم» .

شاعرية السقاف:

يعد السقاف من شعراء الطبقة التالية زمنيا لشوقي وحافظ ومطران والشأبي ، وقد كانت نشاطاته العملية من الاتساع والعمق بحيث وضعت في صفوف المصلحين الاجتماعيين وقادة التنوير وبناء النهضة العربية الحديثة .

وخلال جولة في ديوانه نستطيع أن نلمس بكل إعجاب شاعرية مبدعة تعيش عصرها وتمتاز من معين عربي صاف يحفظ للشعر العربي إيقاعه وسبكه ووزنه وقافيته وأخيلته وصفاء ديباجته .

مع أسرته:

فها هو ذا السقاف يهدي ديوانه إلى أسرته على غير المؤلف في دنيا الشعراء والكتاب وفاء وحبا وإخلاصا إذ يقول :

حماك رب الكون من كل عين

يا زوجتي يا أم أحبابنا

يا من سكنت القلب والمقلتين

كنت ومازلت إلى جانبي

في رحاب الوطن:

وفي رحاب وطنه يتجاوب مع أحداثه بحس الوطني المخلص الغيور حينما

تعرض موكب سمو أمير البلاد لاعتداء آثم ، وقد ألقى الشاعر هذه القصيدة في
٢٥ / ٥ / ١٩٨٥ في التلفاز بعنوان (يهنيك) وفيها يقول :

يا ابن المكارم والمفاخر	يهنيك هذا الحب جابر
ب وما تكتمه الضمائر	يهنيك ما تبدى القلو
بة كل مستتر وظاهر	يهنيك يا بطل العرو
ت أعز شيء في النواظر	والله إنك قد حلد

ويقول عن حبيبته الكويت:

يقول لي الناس : ما اسم الحبيبة
لقد حير الفكر هذا السؤال
فقلت : الحكاية جدا غريبة
فما من غموض وما من خيان
أعيدوا التأمل في كل بيت
فقالوا : عرفنا الكويت . . الكويت

وفي قصيدة بعنوان : «يا قادة العرب» ألقاها الشاعر في المدرسة المباركية
داعيا إلى جمع التبرعات للجيش المصري قبل حرب ١٩٦٧ م ، يقول عن
الكويت :

وما تعشقتُ إلا العز والشمما	أفدي الكويت ترابا ملؤه شمم
والقلب فيها يعاني الوجد والسقما	صددتُ عنها قريضي عاتبا زمنا

حتى تبدت كما ترجو أصلتها بطولة تصفع التشيك والتهما
هي الكويت مُحال أن يُزيّفها نبطُ تفتن في تزيّفه القلما
وفي الكويت رجالات تُفيضُ ندى لدى العطاء وترعى العهد والذمما

وفي دائرة الخليج يقول في قصيدته (صنعاء) التي ألقاها في جامعة صنعاء
عام ١٩٨١ م .

يا ابن الجزيرة عار أن تنام ضحى

كفك ما صنع الإهمال والوسن

قم للخليج وصن تلك الثغور فقد

ضاقتم بمن تحمل الأمواج والسفن

هضابها الجرد أعلى من دساكرهم

وتفتدي رملها الأنهار والمدن

إلى أن يقول :

ومن يصون حماها يا بن تربتها

فأنت بالذود عن ساحاتها قمن

وأنت وحدك فيها كل ثروتها

لا المال يجدي ولا البترول يؤتمن

وفي إطار الدائرة العربية كان تجاوب الشاعر مع أحداث الوطن العربي

مشبوب الحماسة مفعما بالأمل مليئاً بالعواطف الجياشة فيقول في تحية ثورة
ردفان التي اندلعت في أكتوبر ١٩٦٣م ضد الوجود البريطاني في جنوب اليمن
بدعم من القيادة القومية في مصر وبدعم من الجمهورية الوليدة في صنعاء يقول
في حماسة دافقة :

هل جاءك النبأ العظيم بثورة

عربية الإيراد والإصدار

وهل العدو أذاع من أنبائها

أم صد في لؤم عن الإقرار

إن الشباب السمر قد خطبوا العلا

بدم كما ترجو البطولة جار

وفي عام ١٩٧٣م يغني الشاعر للقطر العربي تونس الخضراء :

وهتفنا حين لاحت جنة هذه تونس مرحى يا صحاب

إلى أن يقول مؤكدا الأصل العربي الواحد ووحدة المشاعر

نحن أهل لم يزل يجمعنا أمل حيناً وأحياناً مصاب

أنجبتنا أمة واحدة ينتمي أصل إليها وانتساب

ويمضي مشيراً إلى نكبة فلسطين :

منذ نصف القرن عشنا نكبة ملؤها بؤس وظلم واغتصاب

هم فلسطين وهم ضيعاتها
والسهول الخضراء فيها والهضاب
وهم الفجر ولل فجر على
رغم هذا الليل حسم وغلاب

ثم ينطلق من نكبة فلسطين إلى إيقاظ همة العرب فيقول :

يا بني العرب مضت ست وقد
مات في الشعر سؤال وجواب
في فمي أفراحكم شباية
وأساكم في مناجاتي رباب
تهزأ الدنيا بكم حين ترى
كيف يلهيكم هتاف وخطاب
وحماكم بخسّت تربته
واستباحته الخثالات الكلاب
وطن أنبت أمنا وهدى
وارتوى منه يراع وكتاب
يتداعى المسجد الأقصى به
ويعيث الهدم فيه والحراب
كلكم يبكي فلسطين فهل
يرجع الحق بكاء وانتحاب

وفي مؤتمر أدباء العرب الثامن الذي عقد في جامعة دمشق في الفترة من
١٢/١١ - ١٢/١٦ / ١٩٧١م يشدو شاعرنا بقصيدة عصماء يناجي فيها

دمشق :

صمودك فخر تحدى المفاخر
وإيمانك الصلب هز المشاعر
دمشق تحن إليك النفوس
وبالغوطتين تقرر النواظر
وتاريخك الضخم ملء العيون
له ضجة في جميع الحواضر
وقفت كهانوي رغم الصعاب
وأعددت للثأر مليون ثائر
وكيف وفيك إياء الوليد
ومن عبد شمس لديك أواصر

في الدائرة الفلسطينية

أخلص أحمد السقاف للقضية الفلسطينية كما أسلفنا على مدار تجربته العميقة والممتدة ، فهو من الذين عاينوها وعانوها منذ تفجر أحداثها ، ولم يزل ثابتاً على موقفه على الرغم من كل الظروف والتقلبات التي مرت بها القضية الفلسطينية .

ففي عام ١٩٤٧م حين صدر قرار تقسيم فلسطين عن هيئة الأمم المتحدة ألقى الشاعر قصيدة بمناسبة المولد النبوي الشريف كان لفلسطين فيها الصوت الأعلى إذ يقول :

بين فتك الطُّبَى وخوض الملاحم

ظهر المجد وهو جـذلان باسم

بارك الله في الجهاد ولا عاشت

نفوس تعيش عيش البهائم

أي معنى للسلم إن سعروا الحرب

وما قيمة الجبان المسالم

ذا أوان النهوض يا معشر العرب

فلا عذر بعد ذلك لنائم

سعروها وروعوا حرم القدس

بحكمٍ بادي التحيز غاشم

سَعَرُوهَا فَهَزَّتْ الأَرْضُ إنْكَارَا
ومَادَتْ فِي عَرْبِهَا والأَعْجَامِ
فَتَعَالَتْ «الله أكبر» من مِصْرٍ
إلى الهِنْدِ من مِصْلٍ وصَائِمِ
ولله در شاعرنا وأديبنا وكاتبنا فهو بحق ترجمان العروبة .

السقاف والغزو العراقي الغادر للكويت

صيف الغدر هو الصيف الذي تجسد فيه العدوان العسكري العراقي الآثم على الكويت في الثاني من أغسطس عام ١٩٩٠م حينما اجتاحت القوات المسلحة العراقية أرض الكويت غيلة وغدرا . فكان وقع الكارثة على نفوس أبناء الكويت شديد الوطأة لأن آخر ما كانوا يتصورونه هو ما حدث فجر الثاني من أغسطس ، ذلك أن الكويت هي التي حمت عراق صدام من السقوط في حربته العدوانية ضد إيران حينما أمدت شعب العراق وجيش العراق بإكسير الحياة من الوقود والمعونات الاقتصادية والعسكرية وعرضت نفسها لأخطار غير محسوبة فتعرضت ناقلات نفطها لغارات متتالية وهي تبخر في مياه الخليج علما بأن شريان الحياة الوحيد للكويت هو صادرات النفط .

في ذلك الصيف كان أحمد السقاف - شأن كثير من أبناء الكويت في ذلك الوقت - يقضي إجازة الصيف خارج البلاد حينما اجتاحت جحافل جيش صدام أرض الكويت ، وكانت إذاعة بغداد صباح الخميس الأسود تهز الدنيا بانتصارات العراق في الكويت ، وهي التي كانت تردد قبل أشهر قليلة الإشادة بمساعدات الكويت الضخمة في أثناء حرب طاغية العراق مع إيران ، متناسية ما قاله في اجتماع القمة العربي عام ١٩٩٠م عن الكويتيين حين قال موجهها كلامه للرئيس حسني مبارك وبقره أمير البلاد «لقد طلبت من أولادي أن يقصدوا عمهم جابر الأحمد إن حل بي مكروه» .

وقد وقف العالم بأسره في وجه الغزو العراقي الغاشم منذ الساعات الأولى لذلك العمل البربري الممزق للصلوات والأواصر العربية ، ففي الثالث من أغسطس صدر بيان وزراء الخارجية العرب بإدانة العدوان العراقي على دولة الكويت ، واستنكار سفك الدماء وتدمير المنشآت ، ومطالبة العراق بالانسحاب الفوري وغير المشروط للقوات المسلحة العراقية إلى مواقعها قبل ٢ / ٨ / ١٩٩٠ م ، ورفع الأمر إلى أصحاب الجلالة والفضامة والسماور رؤساء الدول العربية للنظر في عقد قمة طارئة بشأن ذلك العدوان .

واجتمعت القمة العربية الطارئة في القاهرة في الخامس من أغسطس واتخذت العديد من القرارات التي تؤكد قرارات مجلس جامعة الدول العربية وبيان منظمة المؤتمر الإسلامي ، والالتزام بقرارات مجلس الأمن بوصفها تعبيرا عن الشرعية ، وإدانة العدوان العراقي على الكويت ، وعدم الاعتراف بشرعية ضم الكويت إلى العراق ومطالبة العراق بسحب قواته فوراً .

التحرك من أوروبا إلى أرض المعركة في الوطن العربي

وقبل مغادرة السقاف أوروبا حيث كان يقضي إجازته الصيفية إلى مهمة كلف بها في صنعاء كتب قصيدة بعنوان «من المستفيد؟» وجهها إلى طاغية العراق نصحه فيها نصحا خالصا لشعب العراق وإلا فالهلاك قادم لا محالة ، ومما جاء فيها :

من المستفيد من الكارثة؟ تأمل قليلا
فها أنت أوقعتنا في الهوان
وخل الصراخ وخل الهتاف وخل العويلا
وأهديت للغاصبين الأمان
فكيف انقلبت فصرت علينا
وهدمت كل الذي قد بنينا

والمقطع الأخير منها يقول فيه :

إليك الكويت يزف القصيد

وفيك وعنك يطيب النشيد

فديتك بالقلب حتى الوريد

ولاعاش من لا يحب الكويت

ثم توالى قصائده - بعد ذلك - فجاءت قصيدة (مواقف) ردا على حملة التضليل التي قادت بعض الجماهير العربية المأجورة وغير الواعية إلى تأييد طاغية العراق ، ثم توالى بعد ذلك العديد من القصائد في كل شهر تقريبا من مثل : نكبة الكويت ، سقوط طاغية ، أغنية العودة ، شهيدات الكويت ، وفي ذكرى العدوان . وكلها نشرتها الصحف الكويتية الصادرة في الخارج إبان الغزو والصادرة في الكويت بعد التحرير .

وفي هذه الأثناء تم تكليفه بمهمة ، وكانت المهمة في صنعاء في منتصف سبتمبر ، وكان المرض قد أخذ منه مأخذا ، فضلا عن وقع العدوان الغاشم على النفس الحرة الأبية فتوجه إلى صنعاء مرورا بالقاهرة لبضع ساعات ، وفي صنعاء نزل في استراحة متواضعة كان يستخدمها حينما كان يقوم بتفقد المدارس والمستشفيات التي كانت تقيمها الكويت في الجنوب والخليج العربي منذ الستينيات ، واتصل في الصباح الباكر بالدكتور عبد الكريم الإرياني وزير خارجية اليمن آنذاك وتربطه بالسقاف علاقة صداقة حميمة فقد عمل في الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية بضع سنوات فاجتمع معه زهاء ساعتين

فوجده قد انقلب على عقبيه ، وقد كان ينتظر منه أن يقدم آيات الشكر والتقدير للكويت على ما قامت به نحو اليمن من دعم ومساندة غير محدودين تمثل في العديد من المنشآت والكثير من المساعدات وفتح سوق العمل أمام أبناء اليمن دون عوائق . ولكنه وجد ذلك الصديق قد انحاز دون سند من منطلق أو برهان من واقع إلى جانب العدو المغادر بحجة أنه لا يريد قوات أجنبية على أرض الجزيرة العربية .

يقول السقاف عن هذه الرحلة : وطلبت أن يكون الاجتماع التالي بالرئيس علي عبدالله صالح وتمت المقابلة في اليوم التالي ، ودارت في هذا الاجتماع مناقشات حامية لم يستطع الرئيس علي عبدالله صالح أو الدكتور الإيراني أن يقدم مبررا لموقف اليمن في الجامعة العربية وفي مجلس الأمن حيث كانت اليمن آنذاك عضوا غير دائم في المجلس ، يقول : وغادرت صنعاء وفي حلقي غُصّة مما سمعت من قاداتها على حين كان للصديق عبدالله بن حسين الأحمر شيخ مشايخ اليمن موقفه الصادق والشجاع ، وكان خير عزاء للسقاف عن تخاذل الآخرين .

عودة من صنعاء ولقاء بالشيخ صباح الأحمد

نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية

عاد السقاف إلى جدة تحت جناح الليل وفي الصباح التقى نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية الشيخ صباح الأحمد فوجده على عادته واثقا من نفسه ومن حق الكويت عليه أن تعلقو الابتسامة وجهه ويرحب بكل من يلقاه .
ويعضي السقاف فيقول : وضعت التقرير الذي أعدته عن زيارة اليمن أمامه

وتحدثت إليه بإيجاز عن اجتمعت بهم في صنعاء ، وشاركت في مؤتمر سفراء الكويت الذين حضروا من جميع أنحاء المعمورة في جلستين صباحية ومساءية ، وفي اليوم التالي -يمضي السقاف قائلا- انطلقنا نحو الطائف للسلام على أمير البلاد وعلى ولي العهد وعدت بعد ذلك إلى مقر إقامتي في سويسرا .

وكان الجو في أوريا شديد البرودة في ذلك العام ومع ذلك لم يتوان أبناء الكويت رجالا ونساء عن حمل قضيتهم إلى جميع المحافل والمنتديات ووسائل الإعلام .

وفي منتصف أكتوبر عقد المؤتمر الشعبي الذي جاء انعقاده ومستوى التمثيل فيه وقراراته أبلغ رد على افتراءات صدام حسين ونظامه وكان لطمة قاسية على وجه الطاغية المهزوم .

الوفود الكويتية إلى جميع بلدان العالم

كان من قرارات مؤتمر جدة إرسال الوفود إلى جميع بلدان العالم لشرح العدوان الذي حل بالبلاد ، وفي منتصف نوفمبر -يقول السقاف- تلقيت الدعوة للتوجه إلى جدة فاطلعت على زملاء الوفد الذي تشرفت برئاسته فوجدت نخبة كريمة :

الأستاذ سعود العصيمي - وزير دولة سابق .

الأستاذ محمد الصقر - رئيس تحرير جريدة القبس .

الأستاذ محمد مساعد الصالح - رئيس تحرير جريدة الوطن .

د . أحمد الربيعي - وزير التربية السابق .

الأستاذ فهد الدويلة - عضو مجلس الأمة .

الأستاذ عبدالباقي النوري - رئيس مجلس إدارة شركة البتروكيماويات .

وقد خصصت لهذا الوفد ست دول عربية ليقوم بزيارتها هي : سوريا
ولبنان والأردن ومصر والسودان واليمن .

وفي صبيحة الخامس والعشرين من نوفمبر كانت الوفود مجتمعة تصغي
إلى توجيهات الشيخ صباح الأحمد نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير
الخارجية .

وفي صباح السادس والعشرين من نوفمبر انطلقت الوفود إلى البلدان
المخصصة لها وكانت سبعة عشر وفداً .

وبدأنا زيارتنا بدمشق فلقينا فيها كل ترحيب من المسؤولين وكل تأييد لحق
الكويت وقضيتها العادلة والاستتكار الحازم لعريضة طاغية بغداد .

ثم قصدنا لبنان ولقينا هناك من الحفاوة الرسمية والشعبية ما يفوق
الوصف .

ثم قصدنا الأردن على الرغم من نصائح بعض الأصدقاء بتجنب زيارتها
ولكننا صممنا على الذهاب إلى عش الدبابير وصح ما توقعناه من انحياز واضح
للطاغية صدام حسين ، واجتمع الوفد مع جلالة الملك حسين اجتماعاً مطولاً
رفض الوفد فيه كل ما ساقه من حجج كمسوغ لموقف الأردن .

وغادر الوفد عمان إلى القاهرة ، وهناك لقينا من الحفاوة ما أوحى إليّ بهذه
الآبيات التي استعادها الإخوة في مصر مراراً في كل لقاء وفي كل اجتماع منها :

بأبي مصر حين هاجت وماجت
وإذا جيشها العرمرم سيل
فتنادى بحريها والصعيد
هادر والبنود فيه تيمد
من عطاء وموقف وصمود
ب وإن عقها جهول بليد
أبدا تحمل الصعاب عن العر

وكان للوفد في مصر لقاءات كثيرة رسمية وشعبية مع إقامة ندوات في جامعاتها ووسائل إعلامها .

وإلى الخرطوم توجه الوفد في الثاني عشر من ديسمبر ١٩٩٠ وكان استقبالنا في مطار الخرطوم مؤثرا جدا فقد احتشد الآلاف من أبناء السودان الشقيق وكثير منهم ممن طردهم العدوان العراقي من الكويت وكان أطفالهم يرددون نشيد الكويت الذي كانوا يرددونه كل صباح في مدارس الكويت ويحملون أعلام الكويت .

وفي اجتماع الوفد أكدوا رفضهم للعدوان العراقي على الكويت وظلوا يدورون حول الوجود الأجنبي في جزيرة العرب وأنهم يقفون هذا الموقف مكافأة لصدام على إمداده السودان بسلاح وفيير لدحر تقدم ثوار الجنوب نحو الخرطوم وسقوطها في أيديهم ، وكان ملخص الموقف في السودان أن المنظمات والمؤسسات التابعة للتيارات السياسية السائدة تقف إلى جانب صدام غير أن هناك أصواتا حرة نطقت بكلمة الحق وشجبت العدوان صراحة وناصرت الكويت في موقفها الراض لكل دعاوى النظام العراقي وأكاذيبه .

ومن الخرطوم توجه الوفد إلى صنعاء وعلى الرغم من موقف صنعاء الرسمي الخيب للأمال ومن بعض الأصوات الناطقة باسم السفارة العراقية

والنشاط الإعلامي المجنون فإن الاحتفالات الكبيرة التي أقيمت للوفد كانت أبلغ رد على هؤلاء ومن أهم هذه الاحتفالات الاحتفال الذي أقامه شيخ مشايخ اليمن عبدالله بن حسين بن الأحمر في قصره الكبير في صنعاء والذي حضره أكثر من ألف وخمسمائة من السياسيين ورجال القبائل وألقيت كلمات كلها تأييد للكويت وشجب للعدوان العراقي .

وكانت الأحزاب اليمنية في جملتها إلى جانب الكويت منها :

التجمع الوطني للإصلاح برئاسة شيخ مشايخ اليمن عبدالله بن حسين الأحمر .

حزب التجمع الوحدوي ويرأسه الأستاذ عمر المجاوي .

وحزب آخر برئاسة الأستاذ عبدالرحمن أحمد النعمان .

أما عن الرئيس علي عبدالله صالح فقد كان لا يزال عند موقفه السابق الداعم لصدام حسين .

ويقول السقاف عن أعضاء الوفد المرافق له إنهم من أرياب الصولات والجولات في الحوار والمناقشات ، وقد حازوا إعجاب الأصدقاء وسخط الحاقدين والأعداء .

ويعضي قائلًا : وليس لدي إلا أن أزجي إليهم التحية ، وأشيد بما قدموه لوطنهم في ذلك الظرف الصعب من جهد جليل وعمل مثمر نبيل .

وعاد الوفد إلى جدة بعد إتمام جولته في البلاد العربية التي كلف بزيارتها يقول السقاف : صمم الزملاء على مواصلة السفر حيث يقيمون تاركين لي كتابة

التقرير وتقديمه للمسؤولين في الطائف ، وأصبحت في الفندق الذي اختير مقرا
للحكومة ، وكان إيمانهم بنصر الله عظيما .

وفي الحادي والعشرين من ديسمبر غادرت جدة إلى حيث مقر إقامتي في
مونترويسويسرا حيث الجو شديد البرودة مما جعلنا نتردد على الأطباء أنا وأم
أسامة .

السقاف الشاعر يصور المأساة في ذروة تضجرها

في قصيدته «شهداء الكويت»

هي ثكلى ، والحزن حزن شديد

فاختر اللفظ يوم يرثى الشهيد

هي ثكلى ، وفي حشاها جروح

حار فيها الدواء والتضميد

هي ثكلى ، فأقصرى يا قوافي

فمأساة مثلها لا تفيد

ودعها تنوح فاخلطب مهما

قليل عنه فهو البلاء الأكيد

أرسلوا حقدهم ، فكان جحيما

وعذابا يشيب منه الوليد

فالصـواربخ والمدافع تدوي
 ومن الجـو لا تكف الرعدودُ
 كل شيء يمدُّ إلا الضحايا
 فهي للقصف والرضاص حصيدُ
 قد تخلَّوا عن كل شيء فلا ديد
 من لديهم ، ولا انتساب يزودُ
 وتباروا في القتل والسلب والتد
 مير ، فالعقل غائبٌ مفقودُ
 لست أدري لِمَ الكويت قد اختا
 روا ، و«تموز» دمـرته اليهـودُ
 أقتدار على الكويت وعجزُ
 حين يبلوهم العـددو اللدودُ؟
 جرَّعونا طغيانهم لالذنب
 غير أن الكويت نبل وجودُ
 كم بذلنا لما استغاثوا وكنا
 معهم في بلائهم لانحيدُ
 هل جزاء الإحسان إلا من الإحـ
 سان ، أم أنه اجتياح حقودُ؟

أنسواكم وكم أشادوا وقالوا
إن بذل الكويت بذل فريد
يا عراق الرشيد ليس من العد
ل- إذا ما نظرت- هذا الجحود
قسما يا عراق ما كان في القو
م ، وقد أزمعوا الهجوم رشيد
كيف تغزى الكويت أين المواثيق
ق ، وعهد مؤكدا ووعود
لم يراعوا وثيقة أبرموها
وعليها - كما ارتضوها - الحدود
شتتونا ففي الفيافي مئات
من ألوف وفي المنافى عديد
والكويت الصبور في كل بيت
مأتم قائم وحرث فقيد
فأقاموا بين الكويت وبغدا
د ، سدودا تخاف منها السدود
أي حكم هذا الذي يزرع الظل
م ، ويسببه في الحصاد الهبيد

هو لا غيرہ المصفق والشع

ب ، كئيب مستنزف مهدودٌ

يا شبابا تقحموا المركب الصع

ب ، رفعتم رؤوسنا يا أسودٌ

وارتضيتم عيش الإباء كما كا

ن ، على تربها يعيش الجدودٌ

واحتقرتم رصاص طاغ تعيس

كل تاريخه صحائف سُودٌ

ونزلتم دار الخلود وزفت

لكم في رحابها الفيح غيدٌ

شهداء وقد فديتم ثراها

فتسامى الثرى وذلَّ الحديدُ

شهداء وأنتم اليوم أحياء

ع قريب مكانكم لا بعيدٌ

ما احتجبتكم عن العيون فأنتم

أبدا بيننا حُضُور شهودٌ

تتمشون في القلوب ويمشي
خلفكم مجدنا الطريف التليدُ
سوف تبكيكم الكويتُ عصورا
وستُبدي أحزانها وتُعيدُ
إنها كربلاء لافرق فالقو
م ، هم والقومُ والرئيس «يزيدُ»
إنها كربلاء لم تكفهم تلك
ك ، فجاءوا ، وجاء بغبي جديدُ
واستباحوا دم الشباب وعائت
في حمانا أذنا بهم والجنودُ

يا شهيد الكويت مليون باغ
سوف يمضي وسوف يبقى الشهيدُ
نم رضياً في جنة الخلد واعلم
أنك اليوم بيننا محسودُ
تتباهى بك الكويت ويعلو
باسمك الخلو في الصباح النشيدُ
وهنيئاً لك الخلود وعذرا
إن كبا في الحديث عنك القصيدُ

مختارات من مقالاته
ومقابلات أجريت معه

خواطر في العروبة والقومية

يخطئ من اعتقد أن العروبة وقف على العرب المنحدرين من عدنان وقحطان وغسان ، فالعربي ذلك الإنسان الذي اتخذ اللغة العربية لغة له ، واعتز بالثقافة العربية وأخلص لها ، واندمج في المجتمعات العربية سواء أكان في الأساس من أصول عربية أم لم يكن .

فالعروبة ما كانت قبل الإسلام ولا بعده مقتصرة على عرب الجزيرة العربية ، فلقد كانت العروبة قبل ظهور الإسلام تضرب عروقها في أنحاء كثيرة من الأقاليم العربية ؛ فليست هناك حواجز ولا موانع تصد الموجات المتدفقة من منبع العروبة - جزيرة العرب - إلى الشمال كالعراق والشام ومصر والشمال الأفريقي كما أن الموجات التي سبقت موجة العروبة إلى هذه الأقاليم كالموجة الآرامية وبعض فروعها كالكنعانية والفينيقية ما كانت إلا طلائع لمقدم موجة العروبة الكاسحة الشاملة . وكثير من المثقفين يتحدثون عن العروبة وهم يقصدون القومية العربية فيندفعون في محاسبة العروبة حينما يودون محاسبة المسيرة القومية العربية ، وهم في اعتقادنا مخطئون في الحالتين ؛ فالعروبة كما أسلفنا لا تعني غير الولاء للمواطنة في الأرض العربية ؛ مع الاعتزاز بلغة العرب وثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم ؛ أما القومية العربية فهي التضامن العربي ليس غير ؛ فكل عربي في بلاد العرب أو خارج بلاد العرب يؤمن بوجود التضامن

بين الشعوب العربية قومي ، وعلى هذا الأساس نستطيع أن نقول إن كل قومي عروبي وليس كل عروبي قوميًا ، ومعني هذا أن محاسبة القومية العربية على الأخطاء في مسيرة العمل العربي غير جائزة ؛ فهذه الأخطاء لم تصدر عن القومية العربية التي لا تعني غير التضامن العربي وإنما تصدر عن بعض القادة الذين يتمردون على التضامن خدمة لطموحاتهم الفردية وإشباعا لعقد النقص التي يحملون .

ولانسى ونحن في هذا الحديث أننا نعيش عصر القوميات والانفجار القومي وفي ما كان يعرف بالاتحاد السوفييتي شاهد على ما نقول ؛ كما أن قضية البوسنة والهرسك ، وقضية كوسوفو تدخلان في هذا الإطار ، والقرآن الكريم مليء بعبارة يا قوم ردها الأنبياء في جميع عصورهم ، ولفظة القومية مأخوذة من القوم كالمروءة فهي مأخوذة من المرء ، والرجولة مأخوذة من كلمة رجل ؛ ثم إن قوميتنا العربية لا تعني غير التضامن بين العرب ؛ فإن تاجر بها بعض القادة فالذنب ذنب هؤلاء المتاجرين .

ولقد كانت القومية العربية وما زالت وستبقى مبرأة من آثام العنصرية والاستعلاء والطغيان والتعسف ، ولا يحجب جرائم الطغاة الذين يطعنون القومية العربية - التي لا تعني غير التضامن العربي - تشدقهم بالقومية العربية ، فالذين يذبحون الأطفال ويقرنون بطون النساء الحوامل ، ويهشمون رؤوس المسنين بالفؤوس في الجزائر يتشدقون أيضا بالإسلام ؛ فهل من المنطق أن نحاسب الإسلام على هذه الجرائم البشعة التي لطخت سمعة المسلمين في جميع أنحاء الأرض ؟

كيف نشأ التضامن العربي؟

كثير من الناس يعتقدون أن التضامن العربي وليد القرن العشرين وبعضهم يزعم أن ظهور القوميات في الغرب بعد الثورة الفرنسية قد أيقظ الشعور القومي في البلدان العربية ، والحقيقة أن العرب كلما تكالبت عليهم الدول الطامعة هبوا ينشدون التضامن لصد أطماع الطامعين ؛ فالأسواق التجارية التي أقاموها في الجاهلية لم تكن إلا سعيًا وراء التضامن ومخاضًا لمقدم الدولة العربية الإسلامية ، وقد أقيمت هذه الأسواق في دومة الجندل ببلاد الشام وهجر في الأحساء وصُحار ودبي في عُمان وفي قرى الشحر وإرم وعدن وصنعاء ، وفي ذي الحجاز وعكاظ قرب البيت الحرام ؛ فكل بلد من هذه البلدان كان يحظى بشهر يبيع فيه القوم ويشترون وينشدون الأشعار ويتفاخرون وهم فرحون بذلك التجمع الذي كان يضم اللامعين من الشعراء والخطباء والفرسان ذلك أنهم صبروا طويلا على طغيان الفرس والروم ، ثم فاجأهم طغيان جديد غزاهم في عقر دارهم إنه الغزو الحبشي بقيادة أبرهة الذي ما اكتفى باحتلال اليمن فراح يسعى إلى هدم البيت العتيق .

وهكذا كانت الأسواق التجارية التي أقاموها متدى لتبادل الآراء والتعارف والتفاهم والدعوة إلى التضامن الذي يعرف اليوم بالقومية العربية .

وقبل انتصار دعوة الرسول الكريم وقيام الدولة العربية الإسلامية في المدينة تجلّى التضامن العربي في أجمل صورة له حينما انضمت القبائل الموالية لملك الفرس إلى قبيلة بكر بن وائل في معركة ذي قار معلنة أن العربي لا يخذل أخاه العربي وهزم جيش فارس شر هزيمة وكان ذلك في السنة التي هاجر فيها

الرسول الكريم إلى المدينة المنورة ؛ ثم انتصر الدين الذي جاء به رسول الله ﷺ لأنه دين الفطرة ؛ دين يقبله العقل ، وترتاح إليه النفس وتطمئن إليه القلوب ؛ فإذا العرب يخرجون من الحصار الذي كانوا فيه ، ويهزمون أعظم إمبراطوريتين في ذلك التاريخ في فترة زمنية قصيرة ألا وهما إمبراطورية فارس وإمبراطورية الروم ، ولم يكن ذلك إلا بتضامنهم واتباعهم قوله تعالى : «واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا» آل عمران : ١٠٣ ونهضت الإمبراطورية العربية الإسلامية من حدود الصين إلى حدود الفرنسيين ، واستظل العقل العربي بظلها فأبدع ونهل من جامعاتها من نهل من أبناء الشعوب ، وكان أعداؤهم يتربصون بهم الدوائر حتى تسللوا إلى غرف نومهم مستخفين ؛ فإذا هم يقفزون عليهم بالسيوف والخناجر ، وكانت بداية النهاية مقتل الخليفة المتوكل على أيدي هؤلاء الأعاجم ، واستمر الانحدار جيلا بعد جيل وسقط المجد العربي تحت أقدام الطامعين والغزاة ، وجاءهم من يتحدث عن الخلافة وهو لا يستطيع أن يقرأ سورة الفاتحة كما يجب أن تقرأ ، وساد الظلام قرونا حتى استيقظوا في مطلع القرن العشرين ، وعلا صوت التضامن يدعوهم إلى التضحية والفداء لإنقاذ البلاد مما هي فيه من ذل ويؤس وهوان .

العروبة والقومية في مواجهة التتريك

في مطلع القرن العشرين وبعد سقوط السلطان عبد الحميد اشتدت شوكة الضباط الأتراك المتحمسين للطورانية فأنشأوا جمعية تركيا الفتاة وتنكروا للروابط التي كانوا يتقربون بها نحو العرب ، فلم يجد العرب بدا من أن يتدبروا الأمر فأنشأوا الجمعيات السرية لإيقاظ التضامن والخروج من نير الخلافة العثمانية ،

وحيثما دخلت إستنبول الحرب إلى جانب ألمانيا عام ١٩١٤م ازداد نشاط الشباب العربي المطالب بالحرية والاستقلال وتفجرت الثورة العربية في الحجاز بقيادة الشريف حسين شريف مكة بتشجيع من الإنجليز بعد أن كالماله الوعود بسخاء والتف حول الثورة ضباط من أبناء مصر والعراق وسورية ولبنان في مقدمتهم الجنرال عزيز باشا المصري ؛ غير أن هذا لم يستمر طويلا بعد أن وجد من ضباط المخابرات البريطاني لورانس شتى المتاعب والعراقيل فقدم استقالته وعاد إلى القاهرة وعرف في مصر بأبي الضباط الأحرار .

ولما خرج الأتراك من اليمن والحجاز والعراق وبلاد الشام وجد العرب أن الإنجليز والفرنسيين قد قسموا ما يعرف بالهلال الخصيب بينهم ؛ فللإنجليز فلسطين والأردن والعراق وللفرنسيين سورية ولبنان ؛ غير أن العرب لم يسكتوا على هذا الخداع والغدر ؛ فاندلعت الثورة في مصر عام ١٩١٩م مطالبة بالحرية والاستقلال والديمقراطية الدستورية ، وقامت ثورة الفرات فزعزت الوجود البريطاني في العراق ؛ فاضطر الإنجليز إلى إنشاء مملكة دستورية ديمقراطية أحضروا لها من الحجاز الشريف فيصل بن الحسين عام ١٩٢١م بعد أن استقر شقيقه عبدالله في الأردن وبقية سورية ولبنان وفلسطين تصارع الاحتلال ولم تهدأ الثورات فيها ، ولعل ثورة سورية عام ١٩٢٥م من أهم الثورات التي تحدث عنها الشعراء والأدباء في أعمالهم القلمية .

وعانت فلسطين الكثير الكثير من انحياز المندوب السامي البريطاني نحو اليهود وإغراق البلاد بالمهاجرين منهم تنفيذاً لسياسة حكومته الرامية إلى إنشاء وطن قومي لهؤلاء الذين لا حق لهم في هذه البلاد ، واستقلت سورية ولبنان

عام ١٩٤٥م بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وبقيت مصر وليبيا تحت الاحتلال الإنجليزي ، وتونس والجزائر والمملكة المغربية وموريتانيا تحت الاحتلال الفرنسي .

اشتداد التضامن واندلاع الثورات

وليس بخاف على المتتبع اللبيب أن طغيان الاستعمار قد ألهب الشعور القومي لدى العرب ، ودفعهم نحو الثورة ، وكان لثورة عبدالكريم الخطابي في المغرب وثورة عمر المختار في ليبيا أثر كبير في إيقاظ ذلك الشعور في مشرق الوطن الكبير ومغربه ، وجاءت ثورة فلسطين عام ١٩٣٦م احتجاجا على السياسة الإنجليزية المنحازة نحو اليهود وتدفق الشباب العربي متطوعين في تلك الثورة التي قادها فوزي القاوقجي وأبو موسى عبدالقادر الحسيني شهيد معركة القسطل رحمه الله ، ولاشك في أن تلك الثورة التي تفجرت في وجه الاستعمار البريطاني قد رفعت معنويات العرب وأعدت إليهم الثقة بأنفسهم ؛ فقد جاءت في وقت بلغ فيه صلف الاستعمار مداه وظلت مشتعلة أربع سنوات وحالت الحرب العالمية الثانية التي اندلعت في سبتمبر ١٩٣٩م دون استمرارها ، وفي عام ١٩٤١م اختلفت السياسة العراقيون والإنجليز على تفسير المعاهدة العراقية البريطانية ، وكان للجيش العراقي نفوذه على السياسيين العراقيين فاندلعت الحرب بين القوات البريطانية والقوات العراقية ووقف إلى جانب العراق كثير من أحرار العرب وفي مقدمتهم عزيز باشا المصري ، وعبدالقادر الحسيني واستمرت الحرب شهرا كاملا ، وأعطت الإحساس بالحاجة إلى التضامن فهو أقوى بعد الفشل الذي أصابها وسمح للقوات البريطانية بالسيطرة

الكاملة على جميع مدن العراق ، وأعدم كبار الضباط الذين كانوا يفرضون آراءهم على السياسيين وهرب رئيس الوزراء رشيد عالي الكيلاني إلى برلين ليحل ضيفا على الزعيم النازي أدولف هتلر وتسلب بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية إلى الرياض ليستجير بالملك عبدالعزيز آل سعود وعاد إلى وطنه بعد سقوط النظام الملكي عام ١٩٥٨ م ، وكان لإنشاء جامعة الدول العربية في القاهرة عام ١٩٤٥ م الفضل في دفع الشعور القومي إلى العمل والتنظيم في جميع الأقطار العربية وكانت جلسات جامعة الدول العربية بمثابة جلسات البرلمان الموحد للأمة ، ولو التزم العرب جميعا بما يتخذون من قرارات في الجامعة العربية لما حلت النكبات ببعض الأقاليم العربية بسبب جهل بعض القادة وغرورهم وتهورهم في اتخاذ القرارات .

ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م في مصر

قبل أن نتحدث عن ثورة ٢٣ يوليو في مصر التي تأثرت بحرب فلسطين عام ١٩٤٨م يجب علينا أن نذكر تأثير الثورات العربية على الطلائع الواعية في الجزيرة العربية ؛ فعلى الرغم من سوء الاتصالات في ذلك الحين وضعف البث الإذاعي وقلة الصحف وصعوبة التوزيع فقد قامت ثورات متفرقة في أجزاء كثيرة من جنوب اليمن الخاضع للحماية البريطانية ، وفي مملكة آل حميد الدين في اليمن الشمالي فجر بعض الضباط وفريق من الشباب المثقف ثورة عام ١٩٤٨م قتل فيها الإمام يحيى حميد الدين ولم تدم الحكومة الجديدة التي اشترك فيها سيف الإسلام إبراهيم نجل الإمام القتيل أكثر من شهر ، وتسلم الأمور بعد فشل هذه الثورة الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين ؛ فأعدم طلائع تلك الحركة

وفي مقدمتهم أخوه إبراهيم ، وفي عام ١٩٥٥م قام العقيد أحمد يحيى الثلايا بمحاصرة قصر الإمام أحمد في تعز حيث يقيم وفرض عليه التنازل لأخيه سيف الإسلام عبد الله فتظاهر بالقبول وتنازل واتصل سرا بالقبائل فأطبقت بعد أيام على تعز وفشلت الحركة وأعدم الثلايا وسيف الإسلام عبد الله وكوكبة من العلماء والوجهاء الذين أيدوا ذلك الانقلاب ، ولم يهدأ المعارضون في الداخل والخارج للإمام أحمد حتى مات في سبتمبر ١٩٦٢م فخلفه ابنه سيف الإسلام البدر غير أنه لم يستمر حكمه أكثر من أسبوعين ثم قامت الجمهورية اليمنية بعون ودعم عظيمين من القيادة السياسية في مصر .

لقد جاءت ثورة ٢٣ يوليو في مصر انتصارا مؤزرا للشباب العربي المؤمن بوحدة المصير في كل مكان من الأرض العربية وشاء الله أن تحمل مصر هموم العروبة ولواء التضامن المنشود ، وتقف في وجه التحديات كما وقفت في مواجهة التتار وفي منازل الصليبيين وتحرير بيت المقدس ، وانطلق من القاهرة الصوت الشجاع القوي محذرا من قبول الأحلاف الأجنبية وكعقاب لمصر على موقفها الراضخ لطف بغداد سحبت فجأة الولايات المتحدة الأمريكية وعدها بالمساهمة في تمويل بناء السد العالي ، فاضطر جمال عبدالناصر إلى تأميم قناة السويس صيف ١٩٥٦م .

التضامن العربي أذهل الغزاة

لم يقبل أقطاب الاستعمار في بريطانيا وفرنسا ما أقدم عليه عبدالناصر ، فصمموا على غزو قناة السويس وإسقاط حكم عبدالناصر وضموا إليهم إسرائيل وحشدوا ما حشدوا من جيوش وأساطيل ، وهجموا أواخر أكتوبر ١٩٥٦م

فالعقول الاستعمارية لم تقتنع بما استجد في العالم بعد ظهور الاتحاد السوفييتي والدول المتحالفة معه ، ولم تكتف بما نهبت من ثروات الشرق في أثناء تفردتها بالقوة والبأس والجبروت ، وقد اعتبرت تأميم قناة السويس بداية النهاية لذلك النهب والسلب والتفرد ، ومازج هذا الشعور لدى الفرنسيين حب الأثر من الثورة المصرية لوقوفها إلى جانب ثورة الجزائر بكل ما تملك من إمكانات ، فكانت مشاركتها في العدوان الثلاثي أمنية حققها لها تهور ريبب الاستعمار المستر إيدن رئيس وزراء حزب المحافظين بلندن ؛ أما نالثة الأثافي -إسرائيل- فهي كيان أنشأته بريطانيا بوعد بلفور المشؤوم ، وأمرت مندوبها السامي في فلسطين بأن يفتح المواني لاستقبال هجرات اليهود من جميع شعوب الأرض ، فتدفق إليها أكثر من ستمائة ألف مهاجر من البولنديين والأحباش والروس والرومانيين وغيرهم وكلهم لا يمتون بصلة إلى بني إسرائيل الذين تتحدث عنهم التوراة ، واحتلوا أرضا ليست لهم بالظلم والعدوان فلا عجب إذا ما لبي الصهاينة في إسرائيل دعوة المستر إيدن للاشتراك في العدوان وإسقاط عبدالناصر ، ومهما كان الأمر فلقد فجرت معركة قناة السويس طاقات الشعب العربي من المحيط إلى الخليج ؛ فتنسف العمال في سورية أنابيب النفط الممتدة من العراق إلى البحر الأبيض المتوسط ، ورفضوا في جميع المطارات والمواني العربية تقديم أية خدمات للطائرات والبواخر الإنجليزية والفرنسية ، وعمت التظاهرات جميع المدن العربية دون استثناء ، وكانت تظاهرة نساء الكويت مفاجأة كبيرة فقد خرجن لأول مرة في تاريخ البلاد مساء اليوم الذي تظاهر فيه الرجال في عدد غير قليل من السيارات ، وكانت في مقدمة التظاهرة زوجة مدير الشرطة العام لمنع رجال الشرطة من الاقتراب من المسيرة ، ولا ننسى قبل ذلك وبعد ذلك أن

البلاد كانت تحت الحماية الإنجليزية ، وتبرع الناس بسخاء للجيش المصري ، ودارت معارك شرسة بين المصريين في بورسعيد والإنجليز ومن معهم من الأتباع استمرت أكثر من أسبوعين ، وأصدر الروس إنذارهم المشهور ، وكان الأمريكيون بقيادة الرئيس أيزنهاور قد أعلنوا رفضهم لذلك العدوان وطلبوا من المعتدين مغادرة الأراضي المصرية . لقد هب الناس صغارا وكبارا يحملون أجهزة الراديو لمتابعة سير المعارك ، وحينما ضرب الإنجليز محطات البث الإذاعي وتوقف الإرسال يوما كاملا أصيبت الجماهير العربية بالقلق الشديد ، ولما عاد البث وسمع الناس ذلك النشيد المؤثر «الله أكبر فوق كيد المعتدي» عمت الفرحة الصغار والكبار وكانوا جميعا يسهرون حتى الصباح مشدودين بالصوت القادم من القاهرة .

وتذكرنا ونحن نشاهد ذلك التضامن الفريد حكاية ملك الروم حينما طلب منه مستشاروه أن يضرب ضربته في عمق الدولة الأموية حينما اشتعلت الحرب الأهلية في العراق والحجاز بتمرد عبدالله بن الزبير وأخيه مصعب ، فرفض ملك الروم ، ولما ألحوا عليه طلب إحضار كلبين كبيرين من مكانين مختلفين ، وجمع مستشاريه وأمر بإطلاق الكلبين في الساحة فاقتتلا وسالت دماؤهما بغزارة وفي هذه الأثناء أطلق في الساحة ثعلبا فترك الكلبان الاقتتال وهجما على الثعلب فمزقاه وقال القيصر لمستشاريه هكذا العرب قد يختلفون وقد يقتتلون ولكنهم يد واحدة على الأعداء .

الارتباط بالأمة وجود

ولقد أخطأ من قال إن القارة وجود وارتباطه بها هو الأهم أما القومية العربية

فهي عاطفة ، والصحيح أن القومية العربية - التي لا تعني غير التضامن - هي الوجود والقارة ليست أكثر من وعاء لقوميات كثيرة ، وما كان الوعاء أجل مما فيه ، وقد خلق الله الأرض للإنسان بما فيها من زروع وأنعام ، والقومية التي لا تعني غير التضامن مأخوذة من القوم ، والقوم أهل الأنسان وعشيرته وبنو أمته ، والعرب في قضاياهم الأساسية متفقون وإن كان الاختلاف في بعض الفروع ؛ ونحن في المشرق العربي يشدنا المصير المشترك بجميع العرب ولا تأثير لقارة آسيا علينا ؛ فارتباطنا بالمملكة المغربية أهم بكثير من هذه الدولة الآسيوية أو تلك ، والتركي على سبيل المثال لا يعنيه وجود جزء من بلاده في آسيا وجزء آخر في أوروبا فالمهم لديه الشعب الذي ينتمي إليه ، وكذلك حال الشعوب الحية في كل مكان وللحديث بقية إن شاء الله .

خواطر في العروبة والقومية

عود على بدء

قلنا في المقال السابق المنشور في هذه المجلة - العدد ٤٩٣ - إن العدوان الثلاثي على مصر خريف ١٩٥٦م قد أوجج الشعور بالحاجة إلى القوم أو بعبارة أخرى قد أيقظ التضامن بين أبناء الأمة العربية ، وهذا الشعور نطلق عليه القومية العربية ؛ فما حدث في الكويت - وكانت تحت الحماية البريطانية في ذلك التاريخ - من تظاهرات ومهرجانات خطابية وجمع للتبرعات السخية لجيش مصر حدث مثله في شتى أقاليم الوطن الكبير ، فاهتزت لهذا التضامن الصلب أعمدة الاستعمار الغربي ، وأدرك الناس في كل مكان أن رحيل هذا الاستعمار قد أزف لا محالة فالصوت الشجاع الذي كان ينطلق من القاهرة منددا بحلف بغداد ، والاستعمار الغربي لم يلد بالصمت بعد الهجوم الثلاثي الشرس على مدن قناة السويس وفي مقدمتها مدينة بورسعيد الباسلة الخالدة ، وإنما ازداد ذلك الصوت الشجاع القادم من القاهرة قوة وعنفا ، والقائد الذي وقف في وجه العدوان الثلاثي بعزيمة الأبطال التاريخيين أصبح بعد ذلك العدوان بطلا قوميا للأمة العربية جمعاء لقد رفضت سورية الاكتفاء بنسف أنابيب النفط القادم من العراق إلى البحر الأبيض المتوسط في أثناء ذلك العدوان ، وأصرت على دخول الحرب إلى جانب مصر غير أن عبدالناصر رفض ذلك رفضا شديدا وقال للقادة

السوريين : إن الفرنسيين ما خرجوا من سورية ولبنان عام ١٩٤٥م إلا مرغمين ، وهم يحنون إلى العودة ؛ فلا تمكنوهم من ذلك . إن هذا الموقف يكفي في هذه الظروف . أما نهر ورئيس وزراء الهند فقد أبرق إلى عبدالناصر وقال له : قاتل قاتل واثبت ولا تتراجع ، وإلا عاد الاستعمار إلى بلدان الشرق كافة ، وكانت المقاومة المصرية في بورسعيد للغزاة كمقاومة الروس للغزاة النازيين في مدينة ستالينغراد ، وتحدث الشعراء والكتاب كثيرا عن بطولات هذه المدينة العظيمة ، وكان التحام المتطوعين بالجيش في تلك المقاومة الضارية مفخرة من مفاخر تاريخ مصر الحديث .

وخرج الغزاة يجرون أذيال الخيبة والهوان ؛ فقد ظنوا عند بدء الهجوم أن بعض السياسيين في مصر سيجبرون عبدالناصر على التنحي عن الحكم حفاظا على سلامة المدن المصرية من الدمار ؛ تلبية لنداءات الغزاة التي وجهتها محطة الشرق الأدنى البريطانية من قبرص نحو الشعب المصري زاعمة أن القوات الغازية لا تريد غير خلع عبدالناصر ، وسيبقى شعب مصر صديقا وحبيبا إلى قلوب قادة ذلك العدوان . ولقد كان ذلك النداء الذي كررته إذاعة الشرق الأدنى من قبرص بضعة أيام كافيا لالتحام الشعب المصري بقيادته التاريخية . ولم يسكت الأحرار في بريطانيا وفرنسا على ذلك العدوان فخرجوا في تظاهرات صاخبة يطالبون بخروج المعتدين من مصر ، ووقف العدوان ، واضطر المستر إيدن رئيس الوزراء البريطاني إلى الاستقالة ، وترك العمل السياسي وانزوى بعيدا عن الناس .

إن هذا الانتصار الذي حققه عبدالناصر في معركة قناة السويس قد أنهم

القيادات الوطنية في كل قطر عربي القوة والعزيمة والإقدام ، ودفع الاستعماريين إلى التثبيت بالنفوذ الذي يتمتعون به في بعض الأقطار العربية ؛ فازداد ضغط حلف بغداد على سورية والأردن في محاولة يائسة لإرغام البلدين على الارتباط بهذا الحلف ، وكان من واجب عبدالناصر وقد خرج من المعركة بطلا عظيما أن ينهي الحكم الشمولي ، ويعيد الحكم الديمقراطي إلى مصر ، ويسمح للأحزاب المصرية بالعودة إلى النشاط السياسي ، وكان من الواضح أن أي حزب من تلك الأحزاب لا يستطيع أن يحقق انتصارا على أي حزب يقوده عبدالناصر ، غير أن عبدالناصر رحمه الله قد اتخذ من التفاف الجماهير المصرية والعربية حوله حافزا للإيغال في التفرد بالسلطة المطلقة وصم أذنيه عن أصوات أساتذة الجامعات والمفكرين والكتاب المخلصين المؤمنين بمبادئ ثورة يوليو ١٩٥٢م وبالديمقراطية أيضا وهذا ليس بغريب في تلك الفترة التي ساد فيها الحكم الشمولي في كثير من القارات ؛ غير أن هذا التفرد وعدم الالتفات إلى الأصوات المطالبة بالديمقراطية قد دفعا عبدالناصر إلى الكثير من الأخطاء .

نزول القوات المصرية في سورية

وعلى أية حال فقد استطاع عبدالناصر أن يعزل حلف بغداد ، ويبعده عن تهديد الأردن وسورية ؛ بإقدامه على إنزال بعض وحدات الجيش المصري في ميناء اللاذقية عام ١٩٥٧م لمشاركة الجيش السوري في الدفاع بعد الحشود التركية على حدود سورية الشمالية ؛ فُجِنَّ السوريون بهذه الخطوة الجريئة ، وأخذوا يطالبون بالوحدة الفورية بين الإقليمين المصري والسوري ، وماهي إلا أشهر حتى قامت الوحدة بين القطرين الشقيقين - فبراير ١٩٥٨م - وسميت دولة الوحدة الجمهورية

العربية المتحدة . أما ساسة العراق وعلى رأسهم نوري السعيد فقد اشتد هلعهم بعد انتصار عبدالناصر في معركة قناة السويس وأصدر أحد أقطابهم وهو الدكتور فاضل الجمالي صحيفة سماها العمل لمهاجمة العمل العربي الذي يقوده عبدالناصر ، وكان نوري السعيد وفاضل الجمالي لا يعتقدان أن نجم الاستعمار البريطاني سيأفل ؛ فقد ربطا وجودهما بوجود القواعد البريطانية في الحبانية بمحافظة الدليم والشعبية بمحافظة البصرة حتى بلغ الحقد بنوري السعيد أن حث المستر إيدن على إزاحة عبدالناصر بالقوة في رواية نشرها الوزير البريطاني أنتوني نوتنج في حديثه عن العدوان الثلاثي إذ قال : كان المستر إيدن قد دعا نوري السعيد إلى تناول العشاء معه مساء يوم ٢٣ من يوليو ١٩٥٦ م ، وفي أثناء العشاء كنت أستمع إلى الإذاعة البريطانية وهي تنقل خطاب عبدالناصر بمناسبة أعياد الثورة فإذا به يعلن تأميم قناة السويس ؛ فذهبت إلى المستر إيدن وهمست في أذنه بالنبأ ؛ فرمى الشوكة والسكين من بين يديه ووجم ؛ فسأله نوري السعيد ما الأمر؟ فقال المستر إيدن إن عبدالناصر أقدم هذه الساعة على تأميم قناة السويس فرد عليه نوري السعيد قائلاً : ليس هناك من حل غير إزاحته بالقوة . وبعد قيام الوحدة بين القطرين الشقيقين المصري والسوري تأجج الشعور القومي على نحو مذهل وكان من واجب عبدالناصر ، وقد بلغ هذه المنزلة الرفيعة في قلوب الجماهير العربية أن يرفض الممارسات القمعية سواء أكانت في الإقليم الشمالي أم في الإقليم الجنوبي من الجمهورية العربية المتحدة . ولاننسى أن انحياز مصر إلى الاتحاد السوفيتي في جميع وسائل إعلامها قد أثار المخاوف في قلوب بعض القادة العرب ؛ فهم - وإن كانوا يتمنون هزيمة الاستعمار الغربي ورحيله عن البلاد العربية - لا يقبلون أن يكون البديل نفوذاً شيوعياً مرعباً .

المد الشيوعي في العراق

وزاد الطين بلة ما حدث بعد ثورة تموز ١٩٥٨م في العراق من مد شيوعي دموي بشع ربيع ١٩٥٩م وبعده بتأييد من الاتحاد السوفيتي ومباركته وقد قتل في تلك الردة مئات الأبطال من العسكريين والسياسيين وسحب بالحبال في شوارع بغداد والموصل والبصرة مئات الأبرياء وعلقت بعض النسوة على أعمدة الكهرباء لرفضهن تلك الردة ؛ وقد كانت تظاهرات الشيوعيين في المدن العراقية تقترب بشتم عبدالناصر عقابا له على انتقاده للاتحاد السوفيتي ووقوفه بحزم أمام انحراف عبدالكريم قاسم .

ولقد وجد عبدالناصر نفسه أمام قوى رهيبة تناصبه العداوة ، وتسعى إلى القضاء عليه وفي مقدمتها الصهيونية العالمية بقضها وقضيضها ، والاستعمار الغربي بعجره وبجره ، والشيوعية الدولية بالأتباع السائرين في ركابها في كثير من الأقاليم العربية ، غير أنه بقي مؤمنا بقضايا أمته معتمدا على وعي الجماهير وقدرتها على الكفاح والنضال .

القوات المصرية في اليمن

لقد كانت الوحدة بين مصر وسورية تنويجا للانتصار على المعتدين في قناة السويس غير أن انحراف ثورة العراق بقيادة عبدالكريم قاسم ، وتلمل السوريين من الحكم الشمولي الذي ساد البلدين ، وأخطاء عبدالحكيم عامر الفادحة - وكان ممثلا لعبدالناصر في سورية قد دفع بعض الضباط السوريين إلى إعلان الانفصال أواخر سبتمبر ١٩٦١م وكان قائد الانفصال مدير مكتب عبدالحكيم

عامر في دمشق وكانت هذه المفاجأة المؤلمة قاسية جدا على قلب عبدالناصر ؛ فحاول أن يبعث ببعض قواته إلى سورية للانضمام إلى بعض وحدات الجيش السوري في حلب واللاذقية لإعادة الوحدة إلا أنه عدل وطلب من الوحدات التي نزلت اللاذقية أن تعود ، وبارك لسورية ما أرادت ، وماهي إلا أشهر حتى أهدت إليه الجزائر نصرها المؤزر ؛ ذلك النصر الذي رقص له جميع الأحرار في شتى أنحاء المعمورة .

إن ثورة الجزائر - وإن كانت قد تبناها عبدالناصر منذ البداية - كانت ثورة جميع أبناء العروبة لأن استعمار الجزائر استعمار استيطاني كالاستعمار في فلسطين ؛ لذلك وجدنا الكويت على سبيل المثال تفرض ضريبة على تذاكر السينما باسم ثورة الجزائر ، وكان المواطنون يتبرعون باستمرار لهذه الثورة ، وفي الأيام الأولى للاستقلال أمر الشيخ عبدالله السالم أمير دولة الكويت بدفع عشرين مليون دينار للحكومة الجزائرية وهذا مبلغ كبير في ذلك الوقت وبعث إلى هذا البلد العربي الذي قدم لاستقلاله أكثر من مليون شهيد بعثة طبية كبيرة لسد النقص في الأطباء بعد عودة الفرنسيين إلى وطنهم .

وبعد أشهر من انتصار ثورة الجزائر قامت ثورة اليمن أواخر سبتمبر ١٩٦٢م على الإمام البدر بن أحمد بن يحيى حميد الدين ، وأعلنت الجمهورية في صنعاء ؛ فمدَّ الشوار أيديهم نحو عبدالناصر فأخذ يدهم بالآلاف من جيشه لصد هجمات رجال القبائل ، ولم يكتف الجيش المصري في اليمن الشمالي بصد هجمات القبائل الموالية للإمامة ، وإنما هب يدرّب أبناء السلطنات والمحميات على القتال لإرغام الإنجليز على الرحيل من جنوب اليمن ، وكانت مدينة تعز

قاعدة للتدريب والتسليح ، وهي تبعد زهاء مائتين وخمسة وعشرين كيلومترا إلى الجنوب من صنعاء .

لقد حمل عبدالناصر عبء اقتلاع الاستعمار الفرنسي من شمال أفريقية ، وعبء اقتلاع الاستعمار الإنجليزي من جنوب الجزيرة العربية والعراق والخليج العربي بالإضافة إلى مد العون للشعوب الإفريقية المناضلة على الرغم من الإرهاق الذي أصابه ، وكان من الحكمة وبعد النظر أن تكون خطواته محسوبة بدقة بعد أن قدم لليمن أكثر من سبعين ألف جندي وضابط مع دباباتهم وطائراتهم وجميع أسلحتهم الثقيلة والخفيفة لنصرة الجمهورية في صنعاء ، وتدريب أبناء الجنوب على القتال ، وهو يعلم أن القواعد البريطانية في عدن تعتبر العمود الفقري للقاعدة البريطانية في الخليج العربي ؛ فإذا ما رحلت تلك القواعد من جنوب الجزيرة أصبح وجود القاعدة البريطانية في الخليج لا معنى له ولا فائدة ترجي منه .

لقد تناولت الإذاعات المصرية ووسائل الإعلام الأخرى قضية القواعد الأجنبية في البلاد العربية بالكثير الكثير من التهيج والإثارة ، حتى صار المواطن العربي يشعر بالخرج الشديد إن كانت هناك قواعد أجنبية في بلاده ؛ فيؤيد أي تحرك عسكري أو جماهيري نحو إزالة هذه القواعد ، فقد حدث هذا للقواعد العسكرية البريطانية في العراق ، وللقواعد البريطانية في عدن والخليج ، والقواعد الأمريكية البريطانية في ليبيا والقاعدة الفرنسية في بنزرت بتونس وغيرها ، ولا غرابة في الأمر فقد كان عبدالناصر يكره هذه القواعد ، ويحاربها بشدة ، وقد رأى الكثير من عدوانها وطغيانها حينما كانت هناك

قواعد بريطانية في القاهرة والإسماعيلية ، وأماكن أخرى من أرض مصر العزيزة .

لذلك رأيناه بعد الهجمات الإعلامية الشديدة على الحبيب بورقيبة جراء قبوله ببقاء القاعدة العسكرية الفرنسية في بنزرت ينطلق في وفد كبير إلى تونس ليستعرض معه القوات التونسية التي خاضت معركة ناجحة في هذه القاعدة عام ١٩٦٣م وأجبرت فرنسا على سحب أسطولها والرحيل عن تونس ، كما رأيناه عند قيام ثورة العراق في تموز ١٩٥٨م يقطع زيارته ليوغوسلافيا وينطلق إلى موسكو يطلب موقفا جادا منهم إذا ما حاول البريطانيون التصدي للانقلاب من قاعدتي الشعبية والحبانية ، ويأمر في الوقت نفسه بنقل كميات ضخمة من الأسلحة من الإقليم الشمالي - سورية - إلى العراق .

إن هذه المعارك الناجحة التي خاضتها الجماهير العربية بدافع من شعورها بالتضامن العربي الذي نسميه القومية العربية ما كان لها أن تنجح لولا الزعامة التاريخية التي كان يتمتع بها عبدالناصر ، ولقد كان من واجب عبدالناصر وقد نزل بقواته المتميزة في اليمن الشمالي لدعم الجمهورية الوليدة ، ومصارعة الوجود البريطاني في اليمن الجنوبي أن يكون أشد يقظة لما يحيكه له أعداؤه وفي طليعتهم عصاة تل أبيب الآثمة الباغية فقد أطلقت إسرائيل إشاعة تقول إنها تستعد لغزو سورية في مطلع عام ١٩٦٧م ؛ لدفع عبدالناصر إلى المواجهة لتحقيق الحلم بتركييع هذه الزعامة العربية الشامخة ؛ ومع ذلك فقد طلب عبدالناصر من عبدالحكيم عامر تقريرا عن استعداد الجيش لصد أي هجوم غادر من إسرائيل ، وكان جواب عبدالحكيم عامر أمام جميع الوزراء بعد أن ضرب

عنقه بكفه الأيمن بضع مرات : برقتي هذه يا ريس إن الجيش على استعداد لدحر إسرائيل إن هي أقدمت على الهجوم .

وجاء هجوم إسرائيل المباغت صباح يوم ٥/٦/١٩٦٧م مستغلة نصف ساعة تهمل فيها المراقبة الجوية لتناول الطيارين طعام الصباح ؛ فانهارت أعصاب القيادة العسكرية وعلى رأسها عبدالحكيم عامر فأمر بالانسحاب إلى غرب قناة السويس ، ومع ذلك لم يركع عبدالناصر لإسرائيل فأشعل حرب الاستنزاف وأخذ يُعدُّ جيشاً حديثاً ؛ بعد عزل عبدالحكيم عامر . إن حرب ١٩٦٧م ليست بحرب على الإطلاق وقد ظلم فيها الجيش المصري وهو الذي دك خط بارليف بعد عبوره قناة السويس في ساعتين في حرب أكتوبر ١٩٧٣م ولولا التدخل الأمريكي لتغير الحال .

في ذلك الصيف الحزين المثقل بالذهول والانكسار اهتز إيمان الكثيرين من الشباب القومي بأشعارات التي ردها جمال عبدالناصر كثيرا في خطبه الحماسية ؛ فمنهم من أعلن فجأة ودون مقدمات تخليه عن النهج القومي ، والاتجاه نحو الماركسية كحركة القوميين العرب بقيادة جورج حبش ، ومنهم من ظن أن النهج الذي سار عليه الإخوان المسلمون قد يكون النهج السليم ، وآخرون أسكتتهم الانتكاسة ؛ فتركوا هموم العروبة والقومية وعكفوا على الشأن المحلي لعلهم يجدون فيه ما يبعد عنهم ذكريات تلك الآمال المتصدعة ، وبقي في الساحة الواعون لتاريخ كفاح الشعوب ، الواثقون بانتصار الأمة مهما طال الطريق وكثرت العثرات ؛ فالأمة الحية لا تعرف الركوع للأعداء ، وهي قادرة على تجاوز النكسات وتحقيق النصر .

عودة التضامن العربي

بعد الهزيمة المزعومة يونيو ١٩٦٧م سارعت العصابات الصهيونية إلى إغراق البلاد العربية بالنشرات الملونة ذات الإحصائيات والبيانات عن الجيوش العربية ونفقاتها وما يصرف على تسليحها دون فائدة كما قالت وطلبت التوقف عن الحروب والاستسلام للإرادة النازية الصهيونية ، وكان رد التضامن العربي حرب أكتوبر ١٩٧٣م .

ولا غرابة في الأمر ؛ فلقد حدثت النكسة أو الهزيمة كما تسميها إسرائيل في يونيو ١٩٦٧م والخلاف على أشده بين القاهرة والرياض ، وفي مؤتمر القمة بالخرطوم في أغسطس بعد النكسة بشهرين ، اختلى الملك فيصل بعبء الناصر زهاء نصف ساعة ؛ ثم خرجا ، وأعلن الملك فيصل أن دخل قناة السويس الذي يبلغ مائة وثلاثين مليون جنيه إسترليني - الإسترليني قبل التخفيض - تتحمله المملكة العربية السعودية والكويت وليبيا ؛ فصفق القادة العرب طويلا وهتفوا للتضامن العربي الذي لا يتزعزع مهما كانت الخلافات فتحملت المملكة خمسين مليوناً والكويت خمسة وخمسين وليبيا خمسة وعشرين ؛ كما رأينا موقفاً سعودياً شجاعاً آخر في حرب أكتوبر جرّ معه الكويت والإمارات وقطر حينما لجأت الدول الأربع إلى تقليص إنتاج النفط للضغط على الولايات المتحدة الأمريكية الموالية لإسرائيل وقد أدى ذلك الإجراء إلى ارتفاع أسعار النفط ارتفاعاً شديداً ؛ فليس هناك من بلد في جزيرة العرب وقف معادياً للتضامن العربي ، أو معرقلاً لرحيل الاستعمار .

غير أن نزول القوات المصرية في اليمن خريف ١٩٦٢م صحبه نزول الخبراء

الروس فيها ؛ ثم جاء فوز سالم ربيع علي وصحبه من الماركسيين على قحطان الشعبي وصحبه من القوميين في يونيو ١٩٦٩م فازدادت المخاوف من النفوذ السوفييتي وقحطان تسلم رئاسة الجمهورية في عدن في مطلع نوفمبر ١٩٦٧م وارتمى الماركسيون بقيادة سالم ربيع علي في أحضان السوفييت وظلت هذه الجمهورية تتخبط في علاقاتها مع جيرانها إلى أن ظهرت ملامح الضعف في الاتحاد السوفييتي عام ١٩٩٠م فأقدم قادتها على الوحدة مع الشمال . إن التضامن العربي أو ما يعرف بالقومية العربية قد خاض معارك طاحنة في سبيل استقلال البلاد العربية وكان لواء هذه المعارك بيد القاهرة ، وكان قائدها هو بطل العرب التاريخي جمال عبدالناصر ، ولم يطرح جمال عبدالناصر أية أيديولوجية للتضامن العربي فكان نداؤه نداً مبرراً من الخلاف والاختلاف ، ولقد فشلت الأيديولوجيات التي اخترعها بعض القادة العرب للتضامن العربي ليتمحوروا فيها ، وهاهي أيديولوجية حزب البعث في العراق قد طعنت التضامن العربي في الظهر صباح الثاني من أغسطس ١٩٩٠م بعمل عسكري فاشستي ذميم ، ومن قبل ذلك أقدمت تلك الأيديولوجية الرعناء على غزو إيران دون وجود أسباب توجب إعلان الحرب أما الإخوة الليبيون فقد اخترعوا أيديولوجية للقومية أو التضامن العربي وهي الوحدة العربية الفورية من المحيط إلى الخليج ، ولما اصطدموا بالواقع قالوا إنهم براء من العروبة والقومية العربية ، وإن القارة الإفريقية أهم لديهم من العروبة والقومية ، ولو ترك التضامن العربي دون أيديولوجيات لحقق للأمة العربية الكثير من الإنجازات العظيمة .

وعلى الذين رددوا ما تديعه إسرائيل حول انتصاراتها في حزيران ١٩٦٧م

أن يتذكروا هزيمة بريطانيا في معركة دنكرك في الحرب العالمية الثانية وعليهم أن يتذكروا ما فعله اليابانيون بالأمريكيين ساعة المباغته ثم ماذا حدث بعد ذلك ولمن كان النصر آخر المطاف . ولم لم نتذكر هزيمة المسلمين في أحد حينما خالف بعضهم أمر الرسول الكريم ، واندفعوا نحو الغنائم فكر عليهم خالد بن الوليد وعمرو بن العاص من الخلف ؛ فكانت الهزيمة . إن الحروب كرّ وفر ، ويوم لك ويوم عليك ، ولكن هذه الأمة لاتنام على ضيم ولا تستسلم للأعداء .

لقد حقق عبدالناصر للشعب العربي الحرية والاستقلال وحقق للشعب المصري مكاسب ضخمة في مقدمتها خروج الإنجليز من مصر ، والتقدم الهائل في مجال التصنيع ، وتوزيع الأراضي على الفلاحين وتحديد الملكية الزراعية وإنشاء السد العالي الذي حمى مصر من الفيضانات المدمرة ، وإعداد جيش حديث أخذ ثأره من إسرائيل في أكتوبر عام ١٩٧٣م وأسس مع الزعيمين اليوغوسلافي والإندونيسي - تيتو وسوكارنو - منظمة عدم الانحياز غير أن عبدالناصر لم يستطع أن يكبح جماح الإعلام لتهدئة المتخوفين من النفوذ الروسي المتزايد في البلاد العربية ووقف مكتوف اليدين أمام عبدالحكيم عامر ونفوذه القوي في الجيش حتى حلت النكسة ، ولم يلجأ إلى ركن ركين يحميه من الاندفاع غير المحسوب ألا وهو النظام الديمقراطي القائم على الانتخابات الحرة النزيهة .

والذي دعانا إلى الحديث عن معارك التضامن العربي من أجل الحرية والاستقلال بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م هذا الجيل الجديد الذي جاء بعد تلك الأحداث وأصبح لا يعرف شيئاً عن تلك المنازلات القاسية بين الاستعمار

الغربي وأدواته في البلاد العربية وبين الأحرار المخلصين من أبناء هذه الأمة ، وقد ظن كثير من أبناء هذا الجيل أن الاستعمار الغربي قد رحل عن ديارنا العربية طائعا مختارا ، لذلك رأينا أن نقدم هذه الخواطر عن كفاح أمتنا حينما كان التضامن العربي دون أيديولوجيات ، فالأمة العربية لم تجن من أيديولوجيات بعض القادة العرب غير المتاعب والنكبات .

ونؤكد في الختام أن مصر التي سحقت التتار على حدودها الشرقية وقضت على حملات الصليبيين ، وأنقذت بيت المقدس من شرهم واستعمارهم ستبقى قائدة للنضال العربي ؛ فقد حباها الله موقعا استراتيجيا متميزا وجيشا عرمرمائه تاريخ في الذود عن الأمة العربية ، وكشافة سكانية مريحة ، ووفرة في العلماء والمثقفين والمبدعين ، وركائز ثابتة في الاقتصاد ، ولن يضيع حق عربي مادامت القاهرة تضم حولها المخلصين من قادة هذه الأمة .

مملكة كهنة وأمة مقدسة

تقول التوراة إن إبراهيم عليه السلام خرج من أور عاصمة الكلدانيين في جنوب العراق مع والده تارح وزوجته سارة وابن أخيه لوط بن هاران ، وكان هاران قد توفي بأور قبل النزوح فنزل الجميع في حاران بالأردن ، ومات تارح والد إبراهيم بالأردن ، ثم يزعم الإصحاح الثاني عشر من سفر التكوين أن الرب نادى إبراهيم عليه السلام وقال له : « اذهب إلى الأرض التي أريك ؛ فأجعلك أمة عظيمة ، وأباركك ، وأعظم اسمك وتكون بركة ، وأبارك مباركك ولاعنك ألعنه وتبارك فيك جميع قبائل الأرض » .

أخذ إبراهيم زوجته ، واصطحب لوطا ابن أخيه مع الدواب وما يملكون ، وساروا إلى أرض كنعان في فلسطين ، وحينما حل بهم الجوع غادروا فلسطين إلى مصر ، وفي هذا إقرار صريح أن الأرض التي يزعمون أن إلههم يهوه قال لهم اتركوا الأردن الشحيحة بالخير واذهبوا إليها هي أرض كنعان هذا الشعب الكنعاني الذي سكنها بعد أن سبقه إليها اليبوسيون واليبوسيون والكنعانيون موجتان خرجتا من جزيرة العرب واستقرتا في فلسطين .

لم يتوقف الحلم الصهيوني عند هذا الحد فقد ظهر في الإصحاح الخامس عشر سفر التكوين بالحرف الواحد : « في ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام -الذي تحول بعد ذلك إلى إبراهيم- ميثاقا قائلا : نسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات » .

أما إبراهيم أو إبراهيم كما سمي بعد ذلك فقد جاع وتعب في أرض كنعان أرض فلسطين فهاجر إلى مصر مصطحبا زوجته ساراي التي تغير اسمها فيما بعد إلى سارة وابن أخيه لوطا وخدمه ودوابه وبقي فترة قصيرة ثم عاد بعد أن تزوج فتاة مصرية اسمها هاجر فحملت منه وأغاضت زوجته سارة التي لم تنجب فاضطهدتها سارة كثيرا ، ولم تجد هاجر بدا من الهرب فخاطبها ملاك الرب قائلا : «قد سمع الرب مذلتك وستلدين ابنا وستسمينه إسماعيل» . والاسم مكون من مقطعين إسماع وإيل ، وإيل هو الإله العظيم لدى الكنعانيين سكان فلسطين .

اختتن إبراهيم بعد رجوعه من مصر وعمره تسع وتسعون سنة والختان عادة مصرية قديمة ، ولما دعا إبراهيم ربه أن يكون إسماعيل عبدا مخلصا له قال له الرب - كما تقول التوراة- إن سارة ستلد غلاما اسمه إسحق وسيكون عهدي له ولذريته إلى الأبد» .

ثم أنجب إسحق ابنه يعقوب وتزوج يعقوب من ابنتي خاله ليئة وراحيل ؛ فقد طلب الزواج من راحيل فوافق الخال غير أنه زف إليه ليئة ، ولما أصبح الصباح عاتب خاله فقال له الخال لا تزوج الصغيرة قبل الكبيرة انتظر أسبوعا وسأزوجك راحيل ، وزوجه راحيل ، وأعطى الأب ليئة جارية اسمها زلفة وأعطى راحيل جارية اسمها بلهة وتزوج يعقوب الجاريتين أيضا ؛ فولدت ليئة راين وشمعون ولاوي ويهوذا ويساكر وزبولون وولدت زلفة خادمة ليئة جاد وأشير ؛ أما راحيل فقد ولدت يوسف وبنيامين وولدت خادماتها بلهة دان ونفتالي وهؤلاء هم الأسباط وجاعوا في أرض الكنعانيين - كما تقول التوراة- فهاجروا إلى مصر-

وقد جاءت قصة هجرتهم في القرآن الكريم في سورة يوسف ومكثوا في مصر زهاء خمسمائة سنة ، ومعنى ذلك أنهم قد ذابوا في المجتمع المصري وأصبحوا مصريين ؛ غير أن موسى أخرجهم من مصر بعد أن شعر فرعون مصر بخطرهم وأخذ يضيق عليهم الخناق وقد رفض منفتح فرعون مصر عقيدة التوحيد التي نادى بها من قبله آخناتون ووقف أمامه موسى عليه السلام مدافعا عن عقيدة التوحيد ، وحين خرجوا ليلا من مصر زعموا أن يهوه قال لموسى : «فيكون حينما تمضون لا تمضون فارغين ، تطلب كل امرأة من جاريتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين» ، واستعاروا الذهب والفضة والملابس الحريرية بحجة أن لديهم أفراحا وهربوا كما تقول التوراة .

ومكثوا في سيناء لا يقدرّون على دخول أرض الفلسطينيين ونزلت على موسى الوصايا العشر وهم هناك وهي :

١- أنا الرب الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية لا يكن لك آلهة أخرى أمامي .

٢- لا تنطق كذبا باسم الرب إلهك .

٣- اذكر يوم السبت لتقدسه ، ستة أيام عمل وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك .

٤- أكرم أباك ، وأمك .

٥- لا تقتل .

٦- لا تزني .

٧- لا تسرق .

٨- لا تشهد على قريبك شهادة زور .

٩- لا تشته بيت قريبك .

١٠- لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك .

وقد مكثوا في سيناء زهاء أربعين عاماً حتى ظهر فيهم جيل محارب وهم يزعمون أن الرب خاطبهم قائلاً : «لقد حملتكم على أجنحة النسور وجمت بكم إليّ؛ فالآن إن سمعتم صوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من جميع الشعوب فإن لي كل الأرض ، وأنتم تكونون مملكة كهنة وأمة مقدسة» - الإصحاح التاسع عشر من سفر الخروج .

ثم تسللوا إلى أطراف فلسطين ودارت بينهم وبين الفلسطينيين حروب ، ولما تمكنوا من احتلال أجزاء من فلسطين أمعنوا في إفساد العلاقات بين الدول المجاورة فنالوا ما نالوا من بطش المصريين والسوريين والآشوريين والبابليين حتى سيقوا أسرى سنة ٥٩٧ ق م إلى بابل لئيبنوا الجنائن المعلقة في قصر بختنصر ويكتبوا التوراة وهم على ضفاف الفرات .

ومع ذلك فالتوراة تعترف بأن فلسطين أرض الفلسطينيين وأن بني إسرائيل طائفة دينية خرجت هاربة من مصر وقرار تقسيم فلسطين قرار ظالم ، ولو أن لدى الدول الغربية قسطاً من العدل لأكزمت الذين قدموا إلى فلسطين في عهد الانتداب البريطاني العودة إلى أوطانهم التي قدموا منها ، ومن المضحك والمبكي أن يرفض هؤلاء الغزاة إعادة ما احتلوه عام ١٩٦٧م ليعود التقسيم كما كان عليه ، والحقيقة أن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة .

شيء من مبالغات السخفاء

أقدم كتبة التوراة على دمج ثلاثة عصور في عصر واحد ليكون لهم شرف الانتساب إلى إبراهيم عليه السلام ، وحقيقة الأمر أن عهد إبراهيم ينتهي بالأسباط الذين هاجروا مع أبيهم وأمهاتهم إلى مصر في عهد الهكسوس الذين احتلوا مصر ودام حكمهم زهاء خمسمائة عام ، وفي هذا العهد يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز مخاطبا اليهود «يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم ، وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون» [آل عمران : 65] . ويقول عن تشدقهم بمن سبق «أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصاري قل أنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله ، وما الله بغافل عما تعملون* تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون» [البقرة : 140 ، 141] .

إن عهد إبراهيم ومن جاء بعده حتى هجرة الأسباط إلى مصر عهد عربي آرامي لا جدال فيه والعهد الثاني يبدأ بمقدم الأسباط إلى مصر في عهد الهكسوس وينتهي بالخروج منها تحت قيادة موسى عليه السلام وهو عهد مصري ، فموسى مصري وبنو إسرائيل مصريون موطننا ولغة وثقافة وتفكيراً وتناسلوا في مصر جيلاً بعد جيل لمدة تزيد على أربعمائة عام وطردهم الملك منفتح عقاباً لهم على تعاونهم مع الهكسوس وتمسكهم بعقيدة التوحيد التي

نادى بها الملك إخناتون من قبل . أما العهد الثالث فهو عهد يهودي ويبدأ بظهور كتابهم هذا المسمى بالتوراة وقد كتبه أبناء يهوذا من الحاخامات على ضفاف نهر الفرات وملؤوه حقا وكذبا ومبالغات سخيفة مرذولة ؛ فمن هذه المبالغات المرذولة قولهم في الإصحاح الثاني عشر من سفر الخروج «فارتحل بنو إسرائيل من رمسيس إلى سكوت نحو ستمائة ألف ماش من الرجال عدا الأولاد وصعد معهم لفيف كثير أيضا مع غنم وبقر ومواش وفيرة ، وخبزوا العجين الذي أخرجوه من مصر خبز ملة فطيرا إذ كان لم يختمر لأنهم طردوا من مصر ولم يقدروا أن يتأخروا فلم يصنعوا لأنفسهم زادا» .

إنني أعتقد أن عدد بني إسرائيل المنحدرين من الأسباط قليل جدا لا يتجاوز الألفين وقد يصل العدد إلى ثلاثة آلاف بمن خرج معهم ممن كان في خدمتهم ؛ أما حكاية الستمائة ألف ماش من الرجال عدا الأولاد فهي من الأكاذيب الثقيلة التي يرفضها كل ذي عقل سليم في جميع أنحاء الأرض ، إن هروب هذا العدد الضخم في الصحراء مستحيل ومن أين لهم الطعام والماء ؛ إن عددا كهذا لأكبر من عدد العاصمة الفرعونية في تلك الفترة .

إليك معشر القراء هذه الكذبة المرفوضة على جميع المستويات وقد جاءت في الإصحاح الثالث عشر من سفر الخروج أيضا فقد قال كتبة التوراة «وكان لما أطلق فرعون الشعب - يقصدون بني إسرائيل - أن الله لم يهدهم في أرض الفلسطينيين - إنهم يعترفون بأن الأرض أرض الفلسطينيين - مع أنها قريبة لأن الله قال : لتلايندم الشعب إذا رأوا حربا ويرجعون إلى مصر ، فارتحلوا ونزلوا إيتام في طريق البرية ، وكان الرب يسير أمامهم نهارا في عمود سحاب يهديهم

في الطريق وليلا في عمود نار ليضيء لهم لكي يمشوا نهارا وليلا» .

وهذا الرب هو «يَهْوَه» الذي خلقه خيالهم المهزوم وهم على ضفاف الفرات يكتبون هذه الأباطيل الساقطة .

والتناقض واضح بين الإصحاح الثاني عشر والثالث عشر ففي الثاني عشر يقولون إنهم طردوا من مصر وفي الثالث عشر يقولون إن فرعون أطلقهم ؛ فرحلوا ؛ وكل توراتهم تناقض في تناقض ومبالغات سمجة تتبعها مبالغات سمجة متواصلة . وعلى أية حال فلنتأمل هذا الإله الذي يسير أمامهم ليلا ونهارا وقد انقطع عن جميع المخلوقات والأكوان وتفرغ لبني إسرائيل أرايتم طائفة دينية كهذه الطائفة الشريرة التي خلقت لنفسها إلها خاصا بها يقودها إلى اقتحام بلاد الآخرين وتزعم أنها فوق جميع البشر وأنها أمة مقدسة كما أخبرها بذلك إلهاها «يهوه»؟! !

ثم اسمعوا كيف سقطت أريحا بأيديهم ؛ فالإصحاح السادس من سفر يشوع يقول : وكانت أريحا مغلقة مقفلة لأحد يدخل ولا أحد يخرج بسبب بني إسرائيل - أي أن الفلسطينيين أغلقوها لمنع المهاجمين من دخولها ؛ فقال الرب ليشوع انظر قد دفعت بيدك أريحا وأهلها ، تدورون حول المدينة سبع مرات وسبعة كهنة يحملون أبواق الهتاف وعند سماعكم صوت البوق أن جميع الشعب يهتف هتافا عظيما فيسقط سور المدينة في مكانه ويصعد الشعب ، وحين تم لهم ذلك أحرقوا المدينة . ولا أدري والله أي معتوه يمكن أن يصدق هذا الهذيان؟ فسور المدينة الحصينة المستعصية على الفاتحين محال أن يسقط بالهتاف ؛ غير أن كذبة التوراة قد أفرغوا ما في نفوسهم المنهارة من دعاوى

جوفاء وسطورها دون احترام لعقول الناس ، ورحم الله ابن حزم الأندلسي حين قال في كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل : «ما رأيت أقل حياء من الذي كتب لهم تلك الكتب المردولة وسخم بها وجوههم» .

أما هذه القصة فقد وردت في الإصحاح الثالث عشر والرابع عشر ، والخامس عشر ، والسادس عشر من سفر القضاة فالإصحاح الثالث عشر يقول : «ثم عاد بنو إسرائيل يعملون الشر في عيني الرب فدفعهم الرب ليد الفلسطينيين أربعين سنة ويستطرد قائلاً : وكان رجل من عشيرة الدانيين اسمه منوح وامرأته عاقر فتراءى ملاك الرب للمرأة وقال لها : ها أنت عاقر ولكنك تحبلين وتلددين ابنا لا يعلى موسى رأسه لأن الصبي نذر لله ليخلص إسرائيل من الفلسطينيين فولدت المرأة ابنا دعتة شمشون ، فكبر الصبي وباركه الرب ، ونزل شمشون إلى تمنا ورأى امرأة من بنات الفلسطينيين وعاد وأخبر أباه وأمه برغبته في الزواج منها فقالا له ليس من بنات إخوتك وفي كل شعبي امرأة حتى تأخذ امرأة من الفلسطينيين الغلف؟ حيث أخذ بنو إسرائيل الختان عن المصريين ، وفي ذلك الوقت كان الفلسطينيون متسلطين على الإسرائيليين ، لكنه تزوجها ثم غضب عليها لإفشائها لغزا امتحن به بعض قومها فغضب على الفلسطينيين وأمسك ثلاثمائة ابن آوى وربط مشاعل بأطراف أذنانها وأطلقها في زروع الفلسطينيين فأحرق أكداس الحبوب والزرع وكروم الزيتون ، فطلبه الفلسطينيون من قومه فأقنعوه بأن يستسلم فاستسلم وأوثقوه وسلموه إلى الفلسطينيين ؛ ولكنه قطع الحبال وأخذ عظم حمار فقتل ألف رجل من الفلسطينيين !!

هكذا البطولات وإلا فلا ؛ أرايتم أيها القراء الكرام كيف يكون الهذيان
بالبطولات التي لا يعرفونها؟

تستمر هذه الأكاذيب عن شمشونهم المعجزة في الإصحاح الرابع عشر
والخامس عشر والسادس عشر من سفر القضاة حتى تصل إلى رحيل شمشون
إلى غزة ووقوعه في حب دليلة فطلب أقطاب الفلسطينيين أن تتملقه ليخبرها
بسر قوته ليتغلبوا عليه ويدلوه على أن يعطيها كل واحد منهم ألفا ومائة شاقل
فضة ، فأخذت تضايقه كل يوم وتلح عليه فكشف السر وقال : إن قوتي في شعر
رأسي لأنني لا أحلقه فأنا نذير لله ؛ فإن حلقت تفارقني قوتي وأصير كأحد
الناس ؛ فأنامته على ركبتيها ودعت رجلا حلق له رأسه وهو نائم ، وأخذت تذله
وفارقت قوته فأخذه الفلسطينيون وقلعوا عينيه ونزلوا به إلى غزة وأوثقوه
بالسلاسل وصار يطحن في السجن وابتدأ شعر رأسه ينبت ، وحين أخرجه
الفلسطينيون من السجن ليلعب في ملعب كبير بين الأعمدة وكان المبنى مملوءا
بالرجال والنساء ، وكان بينهم جميع أقطاب الفلسطينيين وعلى السطح ثلاثة
آلاف رجل وامرأة لمشاهدة ألعاب شمشون فقبض شمشون على العمودين
المتوسطين بيديه وقال لتمت نفسي مع الفلسطينيين - علي وعلى أعدائي يارب -
وسقط المبنى على الجميع .

إنها قصة خيالية بدائية سخيفة يرفضها العقل والمنطق والذوق السليم ، وقد
وجدت من يتحدث عنها مع الأسف الشديد .

إن الجرائم البشعة التي يقترفها العدو الصهيوني كل يوم في الأراضي
الفلسطينية ؛ مع القتل المتعمد للأطفال والنساء والشيوخ لتدل دلالة قاطعة لا

تقبل الشك على أن هذه الطائفة الدينية الشريرة لا تريد أن تعيش بسلام فيما اقتطعت لها الدول المنحازة في مجلس الأمن من أرض فلسطين عام ١٩٤٨م إنما همها الأوحاد الاعتداء والتسلط وضم أراضي الجيران بالحديد والنار والاستعانة في ظلمها وعربدتها ببعض الدول الغربية الغبية .

إذا لم يقف مجلس الأمن الدولي بحزم في وجه مطامع الصهيونية النازية وتعتدل مواقف المنحازين نحو الإثم والطغيان فإن الصراع الدموي الراهن سيتحول دون شك إلى حرب شاملة .

لقد أصبح قتل الفلسطينيين ضرباً من التسلية لدى الجنود وغير الجنود من الصهاينة المستوطنين ؛ فبعد المشهد المفجع لمقتل الطفل محمد الدرة الذي هز العالم من أقصاه إلى أقصاه جاء مشهد آخر منذ أيام قلائل حين هم شاب فلسطيني بعبور حاجز عسكري للعدو فاعترضه الجنود ومنعوه وكان يلبس «الدشداشة» دون أن يكون شيء على رأسه ، ولما أصر على الاستمرار في السير ابتعد عنه الجندي خطوات ، وأطلق على ساقه بضع طلقات من الرصاص المحرم دولياً ؛ فبترت ساقه في لمح البصر وابتعدت عنه نصف ساقه المبتورة ، وارتقى على الأرض وهو ينزف بغزارة مخيفة تنذر بوفاة لا محالة ، ويشت محطة الشرق الأوسط التلفزيونية تلك الصورة المفزعة في نشرة أخبارها مع تنبيه المشاهدين إلى هول المنظر .

فالقتل لدى هذه الطائفة الدينية الشريرة لمجرد القتل وقد أمرها بذلك إلهها «يهوه» ولاسيما إذا كان القتل يستهدف الفلسطينيين ؛ ألم يقل يهوه لموسى كما تزعم التوراة في الإصحاح العشرين من سفر التثنية «وحين تقرب من مدينة لكي

تحاربها استدعها للصلح فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون للتسخير ويستعبد لك ، وإن لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف أما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة فتغتنمها لنفسك ، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك وهكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا التي ليست من مدن هؤلاء - يقصد الفلسطينيين - وأما مدن هؤلاء التي يعطيك الرب إلهك فلا تستبق نسمة» .

وعلى العرب اليوم أن يتدبروا منبع الحركة الصهيونية .

واي ريفر وأشياء آخر

- ١ -

تابعت باهتمام المفاوضات المرهقة لإحياء اتفاق واي ريفر ، وتذكرت مواقف اليهود في المدينة المنورة بعد أن هاجر إليها رسول الله وصحبه ، فلقد كانوا كلما أبرموا اتفاقا مع الرسول الكريم نقضوه بعد أيام قلائل ، فيعود الرسول إلى استمالتهم بالترغيب حيناً وبالترهيب حيناً آخر ، ولكنهم يعودون من جديد إلى نقض العهود والتآمر على الرسول وصحبه ، وعلى الإسلام والمسلمين كافة ، ولم يجد رسول الله من وسيلة لدرء شرهم - بعد أن عانى منهم ما عانى - غير طردهم فرحلوا إلى فلسطين .

ولا غرابة في الأمر ؛ فهذا ديدن اليهود منذ ظهور بني إسرائيل في مصر ، وخروجهم منها بقيادة موسى عليه السلام .

وحينما طلب منهم موسى دخول بلاد الكنعانيين قالوا يا موسى أتريد أن تقطع رؤوسنا بسيف هؤلاء الجبارين ؛ ارجعنا إلى فرعون ، أو اذهب أنت وربك وقاتلا سكان هذه الأرض الأثداء ودعنا حيث نحن ؛ فتركهم موسى في سيناء بضعة عقود لينجبوا جيلا يصلح لقتال سكان فلسطين ؛ ثم دخلوا في صراع وحروب طاحنة مع الفلسطينيين استمرت زمنا طويلا حتى جاءهم بختنصر وانتصر لأصحاب الأرض الشرعيين وجلا المعتدين إلى بابل ليساهموا في بناء

القصر العظيم ذي الجنائن المعلقة ، ويكتب أحبارهم التوراة على ضفاف الفرات . إن ما ورد في التوراة - وقد كتبها أحبارهم بأيديهم ليدل دلالة صريحة على أن فلسطين لسكانها عرب فلسطين ؛ أما بنو إسرائيل فقد قدموا من مصر هاريين ، وحاولوا الاستيلاء عليها بالفتن والحروب مدعين أن إلههم قال لهم «ملكك يا إسرائيل من النيل إلى الفرات» إنها دعاوى يرفضها كل ذي عقل سليم .

إن لاءات إيهود باراك حول القدس وعودة اللاجئيين والمستعمرات لا تعني غير التحدي الصارخ لمسيرة السلام ؛ فالقدس جزء لا يتجزأ من الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧م ، وهي قبل ذلك وفوق ذلك من صميم العقيدة الإسلامية ، وهناك مليار ومائتا مليون مسلم ينظرون إلى قضيتها بترقب وتحفز شديدين ، ولن يستطيع أحد أن يتساهل في قضية هذه المدينة المقدسة .

أما اللاجئون فهم سكان فلسطين ، وما معنى السلام إن لم يعد اللاجئون إلى بيوتهم وأهلهم وممتلكاتهم تنفيذا لقرارات الأمم المتحدة وهل يجوز أن ينعم الأشكناز بالسكن في فلسطين ويحرم الفلسطينيون من هذا الحق الذي حرموا منه زهاء خمسين عاما ؛ علما بأن الأشكناز لا علاقة لهم ببني إسرائيل فهم قبائل وشراذم مختلفة اعتنقت الديانة اليهودية :

أَحْرَامٌ عَلَى بِلَابِلِهِ الدَّوْحُ حَلَاكٌ لِلطَّيْرِ مِنْ كُلِّ جَنْسٍ؟

بقيت قضية المستعمرات المنتشرة في الضفة وغزة وهي قنابل موقوتة ستسف جميع ماتم إنجازها دون ريب إن لم يرحل عنها المستوطنون . والمسألة برمتها تحتاج إلى موقف أمريكي عادل حاسم ، وإلا فإن عودة الصراع الدموي بين العرب واليهود لا يختلف فيها اثنان من المتبعين لهذا الصراع .

زعم أحد القادة العرب أنه غير عربي وأنه أفريقي صميم لاشأن له بالعروبة والعرب ؛ فباركنا له ما أراد ، وطلبنا منه أن يختار إحدى اللغات الإفريقية لتحل محل اللغة العربية ، واقترحنا عليه أن تكون لغة الهوتو أو التوتسي ، ويبدو أن سبب هذا الهروب يرجع إلى عزوف الجماهير العربية عن شعاراته التي تقفز فوق الدعوة إلى التضامن وتطرح مشاريع غير قابلة للتنفيذ ، فالجماهير اليوم غير مستعدة للركض والتصفيق والتهتاف خلف القائد الفرد ، وما أسهل الهروب لدى الذين لا يرغبون في المشاركة الشعبية الجادة والعمل مع إخوانهم القادة العرب تحت سقف جامعة الدول العربية ، ومن الغفلة أن يقترن هذا الطرح الغريب المتهاافت بالقول إن الانتساب إلى القارة وجود ، والانتساب إلى العرب عاطفة ليس غير ، والصواب أن القارة لا تعني الوجود البتة للإنسان وجوده بأهله وعشيرته وقومه ، ولم تكن الأرض غير وعاء للإنسان ، وما كان الوعاء أهم مما فيه ، وقد أكد القرآن ذلك فقال عز من قائل «والأرض وضعها للأنام* فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام» [الرحمن : ١٠ ، ١١] .

إن العرب ثلث منهم في قارة آسيا وثلثان في شمال أفريقيا ؛ غير أن اهتمام الواعين منهم ينصب على الأمة التي إليها يتسبون ، ولا يلتفتون كثيرا إلى كونهم في هذه القارة أو تلك ، وليسوا وحدهم بهذه المثابة فالأمة التركية كالعرب في قارتين والمهم لدى الأتراك الأمة التركية دونما اهتمام بحكاية القارات ، وهذا شأن الأمم الحية الواعية إن الأمة موجودة في أعماق الضمائر العربية ، وإن كانت الأمة العربية غير موحدة ؛ ذلك أن التوحد ليس بشرط

في تعريف الأمة ؛ فيكفي الاشتراك في اللغة والتاريخ والثقافة والعادات والتقاليد والآلام والآمال والأرض التاريخية الواحدة ، ولقد مرت الأمة الألمانية بما تمر به الأمة العربية اليوم ؛ فقبل حرب السبعين (١٨٧٠م) كان الألمان مجزأين إلى تسع وثلاثين دويلة ، وكذلك كان حال الإيطاليين ، ولكن الأحرار من قادة الفكر في البلدين أيقظوا رغبة التوحيد في الأمتين لدرء الأخطار وتحقيق الرفاه والتقدم ؛ وكان ما كان من أمر الوحدة الألمانية ووحدة الإيطاليين . إننا مدعوون إلى طرح المشاريع القابلة للتنفيذ تحت سقف جامعة الدول العربية إن كنا نشد خير هذه الأمة ، ولعل مشروع السوق العربية المشتركة من أهم المشاريع كما أن إنشاء محكمة العدل العربية مطلب قومي يطالب به المواطنون في كل قطر من الأقطار العربية وهناك مشاريع جمة نائمة في ملفات الجامعة ؛ فالمهم العمل الجماعي الجاد تحت سقف جامعة الدول العربية كما أسلفنا من قبل فيد الله مع الجماعة ، وما كانت يده جل جلاله مع أي فرد يخرج من جلده ويركض خلف الأوهام .

-٣-

طلع علينا الدكتور علي حسن بمقال في مجلة روزاليوسف بتاريخ ١٧ سبتمبر ١٩٩٩م يطالب فيه بالإجهاز على اللغة العربية لغة القرآن وأحاديث الرسول ﷺ ولغة التراث الضخم الذي خلفه لنا الجهادة في شتى صنوف العلوم والثقافة والمعرفة بحجة أن هذه اللغة التي ندرسها صغاراً ونُدْرَسُها كباراً ونؤلف الكتب بها ونستعملها في الندوات والمحاضرات لا نتكلم بها في البيت ولا نستعملها في الشارع وهو يرى أن الألوان قد آن لاستعمال كل شعب من شعوب

هذه الأمة العربية لغته الدارجة التي يستعملها في البيوت والشوارع والمقاهي والحقول ، ولقد تألمت جدا مما جاء في مقال الدكتور علي حسن وتمنيت لو كان اسمه غير ما ورد تحت عنوان المقال ؛ فعلي رب البيان والفصاحة والبلاغة وهو الذي أشار على أبي الأسود الدؤلي بوضع مبادئ قواعد علم النحو والحسن ابنه حفيد الرسول الكريم نشأ في كنف أبيه باب مدينة العلم كما وصفه الرسول في قوله «أنا مدينة العلم وعلي بابها» . نعم لقد تمنيت لو أنه حمل اسما آخر غير هذين الاسمين الجليلين .

ومهما كان الأمر فإن هذه الفكرة لم تكن بنت الساعة فلقد نادى بها من نادى ، في عهد فؤاد وفاروق وكانت مرتبطة بإلغاء الحرف العربي واستعمال الحرف اللاتيني ، وقد هزم من نادوا بالفكرة وهم قلة لا يتجاوز عددهم عدد أصابع اليد الواحدة ، ولم يبق على الساحة غير الشاعر اللبناني سعيد عقل فهو مازال يدعو إلى استعمال اللغة العامية ، وقد نشر في صحيفة لسان الحال البيروتية في أثناء الاضطرابات في الأردن عام ١٩٧٠م مقالا يقول فيه : «كان العرب في الجاهلية يتقاتلون على الدواب واليوم يتقاتلون على المصفحات والدبابات ؛ فمتى نلغي من مدارسنا لغة الصحراء» . ولم تمض بضعة سنوات حتى رأينا أرباب الفكر المبدع والثقافة الواسعة أشقاءنا الأعزاء في لبنان يتقاتلون من بيت إلى بيت ومن شارع إلى شارع فضحكت على آراء سعيد عقل الغربية ، وأظنه قد أدرك في أثناء المحنة أن الفتن الطائفية والعرقية والأيدولوجية قد تشتت شمل الأهل والأحباب إن لم يسيطر العقل على همسات الشياطين .

وأعود فأقول للدكتور علي حسن لا تريدك كبش فداء كما قلت في مقالك ،

وإنما نريدك فارسا من فرسان أمتك العربية تعمل مع الآخرين لرفع شأن اللغة العربية لغة القرآن والحديث والتراث العظيم وخذ درسا من هذه الحفنة من اليهود التي استقرت في فلسطين وجعلت من اللغة العبرية - وهي فرع من اللغة الآرامية الميتة - لغة علم وأدب وتدریس وقد كانت محنطة في كتابیب الحاخامات لا یعرفها أحد من یهود العالم شأنها شأن اللغة السریانیة التي لا یعرفها غیر بعض القسس والرهبان فی الأدیرة والكنائس فی بعض الأقطار العربیة .

والأعجب من كل ما تقدم أن هذه الدعوة قد جاءت بعد انتعاش الفصحى انتعاشا ملحوظا بعد انتشار التعليم في جميع أنحاء الوطن العربي ، والمثال على ذلك أن كثيرا من الألفاظ الدخيلة قد طردت من الاستعمال فلا تسمع اليوم في الكويت مثلا من يقول الدريشة عن النافذة أو الدرؤزة عن البوابة أو البنسل عن القلم وخذ من هذا الكثير الكثير في جميع البلاد العربية ؛ ثم إن الإنجليزية لها لغة عامية وكذلك اللغات الحية الأخرى . إن استعمال كل بلد عربي للغة العامية فيه تمزيق لجسد الأمة العربية ؛ فبعد جيل أو جيلين سيتعذر التفاهم بين أبناء العروبة ، وقد جربنا ذلك بالمصادفة المحضة في ربيع ١٩٧٧م حينما أقمنا الأسبوع الثقافي الكويتي في تونس ، واصطحبنا فرقة من فرق التمثيل في الكويت ، وحين بدأ العرض وأخذ الممثلون يتحدثون باللغة الكويتية الدارجة تململ المشاهدون وأكثرهم من الشبان والشابات ولم يستمر التململ طويلا فقد انقلب إلى احتجاج حيث أخذ كثير منهم يقفز من مكان إلى آخر في الصلاة ، وترك من في المقصورات أماكنهم ونزلوا ليتحدثوا مع من يعرفون وساد الهرج والمرج ، واختلط الحابل

بالنابل والتفت إليَّ المرحوم عبدالعزيز حسين وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء ورئيس المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب وقال لي ما سبب الإعراض عن المسرحية فرد بسرعة وزير الثقافة التونسي الشاذلي القليبي قائلاً : إن العامية الكويتية غير مفهومة لدينا وهكذا فشلت المسرحية فشلاً ذريعاً ، وبعد عام قصدنا الجزائر وليبيا للغرض نفسه ، وكانت معنا فرقة مسرحية قدمت مسرحيتها باللغة العربية - اللغة القومية لجميع العرب - فقوطع كل موقف في كل فصل من فصول المسرحية بالتصفيق الحاد وأعجب بها المشاهدون أيما إعجاب ، وما أنس لا أنس الإطراء الذي سكبهُ الوزراء في الجزائر وليبيا على المسرحية ، وكانوا في منتهى الدهشة والإعجاب بما وصل إليه الفن المسرحي في الكويت .

إن دعوة الدكتور علي حسن لا تعني غير قطع التواصل بين أبناء الأمة الواحدة ، وخلق أمم بعدد الدول الموجودة على الساحة العربية ، ولن تنجح هذه الدعوة مادام في الكنانة وفي غيرها من أرض العروبة رجال عاهدوا الله على حفظ لغة القرآن والدفاع عنها والموت في سبيلها .

ورحم الله شاعر النيل الذي يقول دفاعاً عن الفصحى :

رموني بعقم في الشباب وليتني

عقمتُ ولم أجزعُ لِقَوْلِ عُدَاتِي

أنا البحر في أحشائه الدرُّ كامنٌ

فهل سألوا الغَوَاصَّ عن صَدَفَاتِي؟

يقول المثل الدارج من شب على شيء شاب عليه وقد شب صدام حسين وأعدائه على العدوان ، فلا غرابة إذا ما استمروا في النهج الذي ألفوه . والعدوان على حدود الكويت المفضي إلى مقتل اثنين من حرس الحدود بالأمس القريب لا يخرج عن نطاق المألوف .

ولأندري متى يدرك هؤلاء الطغاة فداحة ما فعلوا بالتضامن العربي فجر الثاني من أغسطس ١٩٩٠م حينما هجموا على الكويت بجيوشهم ودباباتهم وطائراتهم وعاثوا فيها تدميرا وترويعا سبعة أشهر؟

إنهم يقدمون على العدوان ، ويستमितون فيه ، وإذا ما انتهت الجولة بالهزيمة المروعة أفاقوا ليتحدثوا عما حدث بالكذب والتزوير زاعمين أنهم كانوا في حالة الدفاع عن النفس محاولين خداع الجماهير العربية وخداع الشعب العراقي المقهور المطحون .

إن هذا التمثيل المنفر قد سئمه الناس ومن المفيد أن يتوقف ؛ فلا مفر من الاعتراف بالجريمة النكراء التي أضرت بالتضامن العربي على مدى عشر سنوات ولابد من الاعتذار للكويت ، وإطلاق سراح الأسرى إن كان المتشبهون بكراسي السلطة في بغداد نادمين على ما اقترفوا من آثام في حق التضامن العربي وراغبين حقا في التوبة والسعي نحو لمّ الصفوف . إن القمة العربية ليست مطلوبة في حد ذاتها ، وإنما هي مطلوبة لإنجاز ما يجب إنجازه في هذه الظروف ، وإذا كان الصف العربي منقسما على نفسه فلن تستطيع القمة العربية أن تحقق شيئا ذا بال .

إن اجتماع الرؤساء العرب تحت سقف جامعة الدول العربية ، والاستماع إلى كلمة الأمين العام للجامعة والدخول بعد ذلك في بحر من الخلافات المتشججة لن تضيف إلى الإحباط الذي تعيشه الجماهير العربية غير إحباط جديد ؛ فخير وألف خير أن تتأجل القمة العربية حتى يذعن المتسبب في تصديع التضامن العربي للإرادة العربية ؛ فيعتذر عما بدر منه ، ويكف عن الاستفزاز والعدوان ، ويلتزم بجميع قرارات مجلس الأمن ، وينفذها بكل دقة وانتظام .

إن صدام حسين لا يريد أن يتعاون مع المخلصين من أبناء شعب العراق ، وهم يملأون المهاجر لإخراج العراق من هذه المحنة ، ولا يريد أن يتعاون مع القادة العرب الذين يرفضون نهجه المدمر ، وهو في الوقت نفسه معزول دولياً ؛ فكيف يستطيع هذا الرجل أن يكون شخصاً آخر غير الذي نعرفه ويبدأ مسيرة جديدة ملتزمة بالقوانين الدولية وحقوق الإنسان والحرية والعدالة؟

إن نظام الحكم في العراق غير قادر على تغيير نفسه فهو غارق في الدفاع عن عدوانه على الجيران ومعنى هذا أنه لا يرى فيما فعل ما يدعوه إلى الاعتذار والتكفير ، ومع ذلك فهو يدعو بإلحاح إلى عقد القمة العربية ، ويزعم أنه حريص على لم الشمل العربي ، وهذا تناقض صريح واستخفاف بعقول الآخرين .

مع أروى الصليحية والصليحيين

حين ألحقت بشكل عابر إلى الملكة أروى الصليحية وإلى دورها الخطير في اليمن طلب مني الكثيرون أن أكتب عن هذه الملكة وعن أسرتها وعن الفترة التي عاشت فيها . والحقيقة أن الكتابة عن الملكة أروى وعن تقدمها من ملوك أسرتها تستلزم شيئاً من التمهيد ، وهذا التمهيد يجرح حتماً إلى حال اليمن قبل ظهور الصليحيين على مسرح الأحداث في تلك الربوع .

لقد كانت اليمن تابعة للخليفة العباسي ببغداد حتى سنة ٢٦٨هـ ، ففي هذه السنة قام بالدعوة للفاطميين أبو القاسم الحسن بن فرج زاذان الكوفي وهو من ذرية عقيل بن أبي طالب ويلقب بمنصور اليمن يساعده في الدعوة للفاطميين زميله علي بن الفضل الخنفري الجيشاني -نسبة إلى جيشان إحدى مدن اليمن- وفي سنة ٢٨٠هـ نزل الإمام الهادي يحيى بن الحسين الرسي ببلدة صعدة في شمال اليمن ودعا اليمنيين إلى مذهب زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وتصادمت الدعوتان -الفاطمية والزيدية- وأريقت دماء زكية مع أن التشيع لآل البيت من صميم هاتين الدعوتين ، ولم تستطع الخلافة العباسية في بغداد أن ترسل الجيوش إلى اليمن لإنقاذها من تطاحن الدعوتين -الدعوة الفاطمية والدعوة الزيدية- لبعدها المسافة ووعورة الطريق ، فوجد دعاة المذهبين -الفاطمي والزيدي- المجال فسيحاً أمام نشاطهم . وفي سنة ٢٩٣هـ

استطاع ابن الفضل الجيشاني احتلال صنعاء وبعدها قفز إلى تهامة واستولى على زيد أهم مدينة فيها وقتل ممثل الخلافة العباسية المظفر ابن حاج ، وحملت الهدايا من اليمن إلى الإمام المستور الحسين بن أحمد الفاطمي^(١) بسلمية في سورية بعد أن تكونت أول دولة للإسماعيلية باليمن ، فسر سرورا عظيما لرؤية الهدايا الثمينة وقال مخاطبا ابنه عبدالله المهدي :

الله أعطاك التي لا فوقها
وكم أرادوا منعها وعوقها
عنك ويأبى الله إلا سقوقها
إليك حتى طوقوك طوقها

وفي سنة ٢٩٥هـ وصل المهدي إلى مصر هربا من بطش العباسيين في طريقه إلى اليمن بعد أن قامت فيها أول دولة فاطمية غير أن انحراف علي بن الفضل الجيشاني عن الدعوة قد ثبت من عزمه على السفر إلى اليمن ، وكانت التقارير عن حال الدعوة في اليمن تصل إليه من أبي القاسم فلم يجد المهدي مناصا من أن يتوجه إلى بلاد المغرب^(٢) . وازداد النصور بين أبي القاسم وابن

(١) هذا الإمام هو الحسين بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق وفي هذه الأسماء شيء من الاختلاف للستار الذي فرضه على أنفسهم هؤلاء الأئمة المستورون خوفا من بطش العباسيين .
(٢) في سنة ٢٩٧هـ وطد أبو محمد عبدالله المهدي قدمه في شمال أفريقيا واتخذ القيروان عاصمة له بعد أن أزال ملك بني الأغلب وملك بني مدرار وملك بني رستم وفي سنة ٣٢٢ توفي أبو محمد عبدالله المهدي بشمال أفريقيا فخلفه ابنه أبو القاسم محمد بن عبدالله ولقب بالقائم بأمر الله وقد توفي هذا في سنة ٣٣٤هـ وخلفه ابنه إسماعيل الملقب بالمنصور بالله وقد توفي هذا سنة ٣٤١هـ وخلفه ابنه معد الملقب بالمعز ندين الله وقد استطاع المعز لدين الله هذا أن يفتح مصر سنة ٣٥٨هـ إذ سير لها القائد جوهر - غلام والده المنصور بالله - في جيش كثيف بعد وفاة كافور الأخشيدي وبعد احتلالها شرع في بناء القاهرة ولحق به المعز ندين الله سنة ٣٦٢هـ وتوفي المعز لدين الله سنة ٣٦٥هـ وخلفه ابنه نزار ولقب العزيز بالله وتوفي سنة =

الفضل واتسعت هوة الخلاف بينهما ، فأعلن ابن الفضل الاستقلال ومحاربة كافة المذاهب الإسلامية ونادى بالقحطانية وصد الناس عن الحج إلى بيت الله الحرام ، وشجع الشعراء على التعريض بالدين الإسلامي حتى دفع السخف بأحد الشعراء لأن يقول :

خذي الدف يا هذه والعسبي
وغني هزاريك ثم اطربي
تولى نبي بني هاشم
وهذا نبي بني يعرب
لكل نبي مضي شرعة
وهذي شرائع هذا النبي
فقد حط عنا فروض الصلاة
وحط الصيام ولم يُتعب
ولا تطلب السعي عند الصفا
ولا زورة القبور في يثرب

٣٨٦هـ وخلفه ابنه المنصور ولقب الحاكم بأمر الله وقد قتل وهو يتزهر قرب حلوان سنة ٤١١هـ وخلفه ابنه علي ولقب الظاهر لإعزاز دين الله وقد توفي سنة ٤٢٧هـ وخلفه ابنه معد الملقب بالمستنصر بالله وتوفي سنة ٤٨٧هـ وخلفه ابنه أحمد المستعلي بالله وكان المستنصر بالله قد عهد في حياته بالخلافة لابنه الأكبر نزار ولكن أحد القواد صدها عنه لشيء في النفس وقد قتل نزار حين ثار على أخيه أحمد وتشيعت له فئة عرفت بالنزارية. وفي سنة ٤٩٥هـ توفي المستعلي بالله وخلفه ابنه المنصور ولقب الأمر بأحكام الله وقد قتل سنة ٥٢٤هـ وخلفه ابن عمه الميمون عبدالمجيد الخافظ لدين الله وقد توفي سنة ٥٤٤هـ وخلفه ابنه إسماعيل ولقب الظافر بأمر الله وقد قتل سنة ٥٤٩هـ وخلفه ابنه عيسى الملقب بالفاتر بنصر الله وقد توفي سنة ٥٥٥هـ وخلفه عبدالله بن يوسف بن الخافظ لدين الله ولقب العاضد لدين الله وفي أيامه انتهت الدولة الفاطمية بمصر وتسلم زمام أمور البلاد صلاح الدين الأيوبي وكان ذلك سنة ٥٦٤هـ.

ويبدو لي أن ابن الفضل قد تأثر بحركة القرامطة الذين كونوا لهم دولة مستقلة في البحرين في هذا التاريخ ، لذلك حلل ما حرم الله وحرم ما حلل حتى اغتيل بالسم سنة ٣٠٣هـ ولما قام بعده ابنه الفأفأ لم يجد خصومه كبير عناء في القضاء عليه وعلى أتباعه .

ولاشك في أن انحراف ابن الفضل عن الدعوة الفاطمية وخروجه عليها وإيغاله في القحطانية وتطرفه في استقلاله وإلحاده وكفره قد أدى كل ذلك إلى ضعف المذهب الفاطمي في اليمن ، وزاد الطين بلة موت أبي القاسم بعد اغتيال ابن الفضل بعام واحد فخسرت الدعوة الفاطمية الرجلين العظيمين اللذين تضامنا سنوات في سبيل نشرها في الربوع اليمانية . وكان انتكاس الدعوة الفاطمية شديدا ، ولوحق زعمائها وطوردوا مطاردة لا هوادة فيها ولا رحمة وفي اعتقادي أن الأعمال المشينة التي قام بها القرامطة قد أثرت كثيرا على الدعوة الفاطمية في اليمن فقد أقدموا في سنة ٣١٧هـ على قتل الحجاج ونهبوا كل متاع وصلت أيديهم إليه في مكة وقلعوا الحجر الأسود وانتزعوا كسوة الكعبة وكان هؤلاء يزعمون التشيع لآل البيت ولذلك كتب إليهم المهدي من شمال أفريقيا ينكر عليهم ما قاموا به ويلومهم ويلعنهم ويؤكد لهم أن أعمالهم تلك قد جلبت على الدعوة الخزي والعار ودعاهم إلى رد الأموال التي نهبوها إلى أصحابها كما طالبهم برد الحجر الأسود إلى مكانه .

وفي سنة ٣٧٩هـ عاد لهذه الدعوة الانتعاش من جديد بفضل أمير صنعاء عبدالله بن قحطان بن يعفر ، فلقد برز هذا الأمير يدعو للفاطميين علنا وسار في جموع غفيرة إلى تهامة واحتل زييد عاصمة بني زياد وأمر بقطع الخطبة للخليفة

العباسي ، وأمر بالدعاء على المنابر للخليفة العزيز الفاطمي وفي عهده تولى نشر الدعوة هارون بن محمد بن رحيم ، فلقي المساندة والعون من هذا الأمير ، كما تلقى كتب التشجيع والتأييد من الخليفة الفاطمي العزيز بالله ومن ابنه من بعده الحاكم بأمر الله . على أن التفكك قد ساد من جديد ربوع اليمن ، فكان لكل جزء من أجزائها أمير ، وقويت شوكة الموالي في تهامة في الربع الأول من القرن الخامس ، واستطاع هؤلاء الموالي - وهم من بقايا الأقباش المستوطنين في زيد وما جاورها- أن ينقضوا على دولة بني زياد ويؤسسوا لهم الدولة النجاشية - نسبة إلى نجاح الحبشي الذي كان وصيفا للحسين بن سلامة آخر ملك من ملوك بني زياد .

ظهور الصليحيين على مسرح الأحداث

وفي هذه الظروف المضطربة ظهر في «حراز» علي بن محمد بن علي الصليحي وكان شابا أشقر اللحية أزرق العينين وسيما ذا شجاعة وإقدام وخلق عربي رفيع ، وكان أبوه شافعي المذهب حسن السيرة مطاعا في أهله وجماعته فأعلن الثورة بعد أن تشرب بالدعوة الفاطمية وبعد أن نشر مبادئها في نفوس الكثيرين سرا إذ كان يتخذ من الحج كل عام ستارا للاجتماع بالناس وبث الدعوة للفاطميين ، وكانت ثورته سنة ٤٣٩ هـ بعد مكاتبات بينه وبين المستنصر بالله الفاطمي ، فهاج الناس ضده ، واستعد جماعته من الحرازيين على قتاله فبث في أنحاء حراز كتابا يقول فيه : «أما بعد يا أهل حراز ألهمكم الله رشدكم ، وجعل اللجنة قصدكم ، فلم أطلع إلى حصن مسار متجبرا باغيا ، ولا متكبرا على العباد عاتيا ، ولا أطلب الدنيا وحطامها ، ولا طالبا لملك غوغائها وطغامها ، لأن لي بحمد الله ورعا يحجزني عما تطمح النفوس إليه ، ودينا أعتمد عليه ، وإنما

قيامي بالحق الذي أمر الله عز وجل به ، والعدل الذي نزل في محكم كتابه ،
أحكم فيه بحكم أوليائه ، وسنن أنبيائه ، وأدعو إلى حجته الذي في أرضه ،
والقائم بفرضه» إلى أن يقول :

«واعلموا يا أهل حراز أنني بكم رؤوف ، وعلى جماعتكم عطوف ، للذي
يجب علي من رعايتكم وحياطتكم ، ويلزمني من عشرتكم وقرابتكم ، أعرف
لذي الحق حقه ، ولا أظلم سابقا سبقه ، وانصف المظلوم ، وأقمع الظالم
الغشوم ، وأبث فيكم العدل ، وأشملكم بالفضل ، فاستدعوا ذلك بالشكر ، ولا
تصغوا إلى قول أهل الكفر ، الذين هم من بقايا أهل الكفر ، فيحملونكم من
ذلك على البغي والعدوان ، والخلاف والعصيان ، وكتابي هذا حجة عليكم ،
ومعذرة إليكم ، والسلام على من اتبع الهدى ، وتجنب أمور الردى» .

اليمن تنهض لقتال الصليحي

وقد نهضت اليمن بقضها وقضيضها لقتال علي بن محمد الصليحي فقد
خرج لقتاله في الشمال شريف صعدة الزيدي وفي صنعاء سلطانها يحيى بن
إبراهيم ، كما نهض له الإمام الديلمي^(١) صاحب ظفار - ظفار اليمن وليست
ظفار عمان^(٢) - ولكنهم هزموا واحدا تلو الآخر وتمكن الصليحي بعد ذلك من
دخول صنعاء بعد قتل سلطانها أبي حاشد بن يحيى بن إبراهيم . وإذا كانت المرأة
تلعب أحيانا دورا خطيرا في حياة الرجل فإن أسماء بنت شهاب زوجة الصليحي

(١) هو الإمام أبو الفتح الناصر الديلمي بن الحسين بن محمد بن عيسى بن محمد بن عبدالله بن أحمد بن
عبدالله بن علي بن الحسن بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وصل إلى اليمن من الديلم سنة
٤٣٧هـ - وملك صعدة ثم تقدم إلى صنعاء فطرده منها السلطان يحيى بن أبي حاشد.
(٢) تقع ظفار هذه إلى الشمال الشرقي من بلدة عمران.

قد كان لها دور عظيم في حياته ، فلقد تزوجها قبل نهوضه بالثورة فوقفت إلى جانبه تشد أزره ، وتذكي حماسه واندفاعه ولاعجب فهي من أذكى النساء في الأسرة الصليحية ومن أكثرهن إطلاعا وفهما وحماسة في نشر المذهب الإسماعيلي الجديد .

لقد كان للانتصار الباهر الذي أحرزه علي بن محمد الصليحي أثر كبير في نفسه ، فعقد العزم على غزو تهامة لتقويض دولة بني نجاح حاملة لواء المذهب السني في اليمن بعد أن انهارت دولة بني زياد في تهامة على أيدي هؤلاء الأحباش ، فكان أن جهز في سنة ٤٥٠ هـ جيشا مكونا من ألفين وسبعمائة فارس فلاقاه الأحباش بجيش مكون من عشرين ألف رجل وكان القتال شديدا على جماعة الصليحي غير أنهم ثبتوا ثبات الأسود حتى دارت الدائرة على الأحباش وعلى من ناصرهم من العرب ولم يبق من مجموعهم غير ألف تشتتوا في الجبال والأودية ثم اتجه الصليحي إلى اليمن الأسفل ووصل إلى عدن واحتلها واحتل ما جاورها وعين عليها من كانوا يحكمونها من قبل بعد أن قدموا له الطاعة والولاء ، ولما عاد إلى صنعاء صمم على سحق بني نجاح الذين استطاعوا أن يوحدوا صفوفهم من جديد ويستعدوا للحرب وكان له ما أراد ، ولم تحل سنة ٤٥٥ هـ إلا وقد ملك اليمن كلها من مكة المكرمة حتى حضرموت واستقر في صنعاء قرير العين بما حقق من انتصارات .

مقتل الصليحي على أيدي الأحباش

وفي أوائل ذي القعدة من سنة ٤٥٩ هـ عزم الملك علي بن محمد الصليحي على الحج بعد أن عين ابنه أحمد المكرم وليا للعهد وساق أمامه للحج خمسين

ملكا من ملوك اليمن المخلوعين ومائة وسبعين من آل الصليحي ممن أرادوا الحج معه ، ثم سار بعدهم في موكب يضم ألفي فارس وخمسمائة فرس مطهمة بالسروج المحلاة بالذهب والفضة ، وكانت نار الحقد تلتهم قلوب الموالي في تهامة من بقايا آل نجاح فصمموا على الغدر به . وكان يتزعمهم سعيد الأحول بن نجاح وفرح البيشي - أحد عبيد نجاح - ولما علم الصليحي وهو في الطريق بدور فرح في تحريض الأحباش بتهامة أمر بقتله فثار الموالي لقتله وقفزوا على والي زيد ومساعديه وعساكره فيها ففتكوا بهم واستولوا على المدينة ونادى مناديتهم للفتك بالصليحي ، ولا شك عندي في أن هذا الصراع صراع طائفي لا يمت إلى الروح القومية بصلة . فلقد كان الصليحي يحمل لواء المذهب الإسماعيلي ياتمر بأمر الفاطميين في القاهرة وكان هؤلاء الأحباش يتبعون المذهب الشافعي السني ولكثرتهم وعصبيتهم شكلوا قوة في تهامة فأيدهم ووقف إلى جانبهم أغلب أهالي تهامة .

أحس الصليحي باعتراض الأحباش لطريقه ، فطلب من عبيده أن يخرجوا لصددهم ولكن هؤلاء تعصبوا لأبناء جلدتهم وغدروا بسيدهم ودلوا أعداءه عليه وكان في موضع يسمى المهجم في أطراف تهامة بمحاذاة وادي سردد فحاصروه فجأة ودار بينه وبينهم قتال شديد فسقط في المعركة وسقط إلى جانبه جميع من كان معه من الرجال ، أما النساء وعلى رأسهن الملكة أسماء بنت شهاب زوجة الملك الصليحي فقد نقلهن سعيد الأحول إلى زيد .

أحمد المكرم يخلف أباه ويتلقى كتابا غريبا من أمه

استقبل أحمد المكرم نبأ الفاجعة بجلد وصبر عظيمين وتلفت حوله فرأى

الكثيرين قد شقوا عصا الطاعة ، فدخل في حروب طاحنة مع المتمردين
والمنشقين مؤجلا الزحف على زبيد حتى يستتب له الأمر في النواحي الأخرى ،
ولما تأخر زحفه على زبيد كتبت له أمه الأسيرة كتابا غربيا لإثارتة وتهيجه قالت
له فيه إنها حامل من العبد الأحول ، وما أن قرأ الكتاب حتى جمع كبار قواده
وتكلم فيهم فبكوا وعاهدوه على الموت وقاموا من عنده يحرضون الناس على
القتال وإنقاذ الشرف العربي والأخذ بثأر ملكهم المقتول خيانة وغدرا ، فرحف
في جيش يبلغ زهاء عشرة آلاف مقاتل . ولما دنا من زبيد عبأ جيشه أحسن تعبئة ،
ولاقى الأحباش الذين خرجوا كالعارض الأسود لا يقل عددهم عن ثمانية عشر
ألف رجل . والتحم الجيشان في يوم الاثنين التاسع والعشرين من شهر صفر سنة
٤٦٠ هـ وانهزم الأحباش شرهزيمة ولاذ من نجا منهم بالفرار وكان على رأس
الفارين سعيد الأحول ووقف البطل أمام الملكة الأسيرة وقال : «أدام الله عزك
مولاتنا» فقالت : «مرحبا بوجوه العرب» ثم سألته من هو فقال لها : «أنا أحمد
بن علي بن محمد» فقالت : «إن أحمد بن علي في العرب كثير فاحسرتني عن
وجهك حتى أعرفك» فرفع المغفر عن وجهه وعانق والدته وهو يجيش بالبكاء .
وفي تلك اللحظة حين رفع عن رأسه المغفر أصابه الهواء فسبب له الفالج فكان
ينتفض رأسه وتتقلص عضلات وجهه ، وقد اشتد عليه المرض فيما بعد وأقعده
عن الحكم ، وعلم في تلك اللحظة أيضا من أمه أن الأحول لم يقترب منها ولا
من سواها من النساء الأسيرات وأنه كان ذا خلق وعفة ودين ، ولقد كتبت ما
كتبت إليه لتثير حميته كيلا يتأخر في إنقاذها من الأسر .

لم يتمكن الملك أحمد المكرم من تطهير تهامة من سطوة الأحباش

لاضطرابه للعودة إلى صنعاء بسبب اضطراب الحالة فيها وعادت معه أمه الملكة
أسماء بنت شهاب والحرائر الصليحيات ممن كن في الأسر ، وفي عودة الملكة إلى
صنعاء يقول الشاعر عمر بن يحيى الهيثمي :

أويّة أسماء إلى قصورها

بعهد فراق الملك الأوحـد

وبعهد عوصاء^(١) الخطوب التي

رمت بني قحطان بالمؤبد^(٢)

كرجعة الشمس وقد جنها

دجنٌ وسربالٌ دجى أسود

فيالها من نعمة أصلها

بأس ابنها باني العلى أحـمـد

ولما أعاد المتمردين إلى صوابهم بسيفه الذي لا يرحم صمم على أخذ ثأره
من سعيد الأحول الذي عاد إلى تهامة واستقر في زبيد فسار في جموع غفيرة إليه
وبلغ تهامة في غرة رمضان سنة ٤٦١ هـ وحين علم بمقدمه سعيد الأحول سار
في جماعته إلى جبل الشعر ولكن المكرم لحق به ودارت بينهما معارك طاحنة
انتهت بمقتل سعيد الأحول وأعوانه والمئات من أتباعه ، فخضعت تهامة لدولة
أحمد المكرم الصليحي وتوارت سطوة آل نجاح .

(١) العوصاء: الشدة.

(٢) المؤبد: الداهية.

في سنة ٤٦٧ هـ توفيت الملكة أسماء فظهرت على المسرح الملكة أروى بنت أحمد الصليحي زوجة الملك أحمد المكرم وأول عمل قامت به نقل العاصمة من صنعاء إلى ذي جبلة قرب مدينة إب ولنقل العاصمة قصة ملخصها أن الملكة أرادت أن تقنع زوجها بضرورة نقل العاصمة إلى جبلة بلواء «إب» فقالت له ذات يوم : «يا مولانا ادع نواحي صنعاء فأمر الملك بذلك ولما احتشدوا قالت له اشرف عليهم ولما أطل لم يقع بصره إلا على حامل رمح أو متقلد سيف أو محتزم بخنجر ، ولما انتقل إلى جبلة طلبت منه أن يدعو أهالي جبلة وما جاورها ولما قدموا واحتشدوا قالت له اشرف عليهم فأطل ولم تقع عينيه إلا على حامل سمن أو بر أو عسل أو سائق خروف أو قائد بقرة فقالت له إن العيش مع هؤلاء أفضل لأن ذلك أقر للمملكة وثبوت قواعدها وهي متوسطة بين اليمن الأعلى والأسفل» وفي سنة ٤٧٧ هـ توفي الملك أحمد المكرم الصليحي تاركا شؤون الدولة لزوجته أروى وكانت سنها حين وفاته سبعا وثلاثين سنة وتزوجته وهي في الثامنة عشرة من عمرها وقد قامت بتربيتها وتهذيبها الملكة أسماء بنت شهاب الصليحي زوجة الملك علي الصليحي ، وكانت الملكة أروى على جانب كبير من الجمال والذكاء والخلق الرفيع والاطلاع الواسع وكانت تقرأ وتكتب وتحفظ الأشعار والنوادر والفكاهات وكانت تلقب ببلقيس الصغرى وفاضحة الملوك وقد أصدقها الملك علي الصليحي حين زوجها من ابنه أحمد المكرم ضرائب عدن فكانت عوائد هذه الضرائب ترسل إليها سنويا وقد أنجبت عليا ومحمدا وفاطمة وأم همدان . وبعد وفاة زوجها تكتمت الأمر حتى جاءها

مرسوم المستنصر بالله الفاطمي من القاهرة بإقامة ولدها الأصغر عبدالمستنصر علي بن المكرم أحمد مقام أبيه وكان دون العاشرة وقد أطلق عليه المستنصر بالله الفاطمي هذا اللقب ليزداد شرفاً ورفعة ويحظى من الله عز وجل بالخير والبركة ! وحمل المرسوم إلى اليمن الأمير أبو الحسن جوهر المستنصري ، وكان المستنصر بالله يعلم أن الملكة أروى تستطيع القيام بأعباء الدولة والدعوة للفاطميين في آن واحد ، ولقد كانت كذلك في حياة زوجها الملك المكرم ، كما كان يعلم أن اختيار غيرها من صناديد الصليحيين قد يضطرها إلى اتخاذ موقف معارض ، وكان من أبرز الطامعين في الملك الأمير أبو حمير سبأ بن أحمد الصليحي وقد تمكنت الملكة بدهائها من استمالته ، إذ عينته نائباً للملك الصغير . وقد أبلى هذا الأمير بلاء حسناً في مقاتلة بني نجاح الذين عادوا في عهد الملكة أروى فاستولوا على تهامة من جديد والتف حولهم الشوافع ليدرؤوا عن تهامة خطر الدعوة الفاطمية وتغلغل المذهب الإسماعيلي ولم تطل الأيام بالملك الطفل فمات ، وبعد موته قويت مطالبة أبي حمير سبأ بن أحمد الصليحي بالملك ولكن الملكة أروى صدته بقوة ، فلم يجد بداً من التقدم إليها يطلب يدها للزواج فرفضت الطلب مدركة الغرض من وراء هذا الزواج ، وهي قبل ذلك استعفت زوجها المكرم حين شاطرته الحكم بقولها له : «إن المرأة التي تراد للفراش لاتصلح لتدبير الملك فدعني وما أنا بصدده» ولما يئس أبو حمير كتب للمستنصر بالله يأمرها بقبول الزواج ، وقد خاطبها رسول المستنصر وهو واقف بين يديها بقوله : «أمير المؤمنين يقرأ السلام على الحرة الملكة السيدة الرضية الطاهرة الزكية وحيدة الزمن سيدة ملوك اليمن عمدة الإسلام ذخيرة الدين عصمة المؤمنين كهف المستجيبين ولية أمير المؤمنين كافلة أوليائه الميامين» ويقول لها : «وما كان

المؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن
 يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً ﴿[الأحزاب : ٣٦]﴾ وقد زوجك مولانا
 أمير المؤمنين من الداعي الأوحّد المنصور المظفر عمدة الخلافة أمير الأمراء أبي
 حمير سبأ بن أحمد بن المظفر الصليحي على ما حضر من المال وهو مائة ألف
 دينار عينا وخمسون ألفاً أصنافاً من تحف ولطائف وطيب وكساوي» فوقع عليها
 أمر المستنصر بالله الفاطمي وقوع الصاعقة ولكن وزراءها والمقرين إليها مازالوا
 يخفون الأمر عنها حتى قبلت وتم عقد الزواج ، فسار إليها أبو حمير في جموع
 غفيرة وأقام شهراً بذئبلة فأنفقت على عساكره أضعاف أضعاف ما قدم لها
 من مهر . وقد قيل إنها لم تقابله ولم تجتمع به فارتحل نادماً على ما أقدم عليه وقد
 عرف عن هذا الأمير أنه كان تقياً ورعاً فاضلاً وقد توفي سنة ٤٩١ هـ وبعد وفاته
 خرجت صنعاء من مملكة الصليحيين ولم تستطع الملكة أروى استعادتها وعينت
 بعد وفاة أبي حمير المفضل بن أبي البركات الحميري على قيادة الجيش فأخلص
 لها وأبلى في سبيلها بلاء حسناً وبعد موته اضطربت الأمور وكثرت الثورات
 والفتن . لقد بذلت الملكة أروى في هذه الفترة جهوداً جبارة للإصلاح لم يبذل
 بعضها كثير من الملوك فاهتمت بالزراعة والتجارة والمواصلات والعلوم الدينية
 والعربية وبتحسين الثروة الحيوانية فقد عرف أنها وقفت أراضي شاسعة واسعة
 لشراء فحول البقر الممتازة رغبة منها في تحسين نسل الأبقار كما وقفت أراضي
 أخرى كثيرة لرعي الماشية . وقد علمت أن هذه الأراضي مازالت إلى اليوم
 معروفة بوقف السيدة أروى الصليحية . ولم تتوان في تعبيد الطرق في الجبال
 الوعرة لتسهيل التجارة بين مدن اليمن ، وأهم طريق عبده طريق نقييل سمارة
 الواقع بين تعز وصنعاء ، وأنشأت المدارس وبنيت المساجد ووسعت جامع صنعاء

الكبير بجناح مازال يعرف باسمها إلى اليوم وبنيت جامعا كبيرا في جبلة عاصمة مملكتها كما استعانت بالخبراء من الخارج .

الملكة أروى تطلب مستشارا من القاهرة

لم تجد الملكة أروى في رجالها الكثيرين من يسد مسد المفضل بن أبي البركات أو أبي حمير سبأ بن أحمد الصليحي لذلك اضطرت إلى الاتصال بالقاهرة تطلب إعارتها مستشارا لشؤون الدولة فأرسلت لها الدولة الفاطمية الأمير الموافق علي بن إبراهيم بن نجيب الدولة يصحبه عشرون فارسا من أمهر الفرسان ، وكان هذا الأمير متفقا في أصول الدعوة الفاطمية وفي المذهب الإسماعيلي ولما تشرف بمقابلة الملكة عيته قائدا للجيش فاستعان بالهمدانين وضرب الخولانيين الذين ضاقت الملكة بهم ذرعا ، وطردهم من العاصمة وقد سرت القاهرة للتوفيق الذي أحرزه ابن نجيب الدولة ، فأمدته بالرجال والمال والتوجيه ، فاستبد به النصر الذي أحرزه في أنحاء كثيرة من البلاد فعقد العزم على محاربة النجاشيين أصحاب زييد سنة ٥١٨هـ فغدر به أحد أعوانه من الأرمن من رماة السهام إذ ثقب بالسهم أنف فرس ابن نجيب الدولة أثناء المعركة ، فكبت به الفرس وظن أصحابه أنه قتل فانهزموا واستطاع الهمدانيون إنقاذه والهرب به إلى جبلة . ولقد ساءت العلاقة فيما بعد بينه وبين الملكة أروى فاستدعاه الأمر بأحكام الله الفاطمي فألقى القبض عليه في جبلة ووضع في قفص وسلمته الملكة لرسول الأمر الفاطمي سنة ٥٢٤هـ فأخذ الناس ينظرون إليه وهو محمول في قفص وكان يقول لهم : « ما تنظرون؟! أسد في قفص! » واستعانت الملكة بعده بعدد من المقرين إليها ولكنها لم تجد في واحد منهم كفاية

ابن نجيب الدولة ودرأيته ونباهته ولاقت ما لاقت من المحن والمشاكل حتى وافاها الموت في غرة شهر شعبان سنة ٥٣٢هـ عن عمر ناهز التسعين عاما ، وموتها تبعثرت هذه المملكة ، واستطاع أعداؤها أن يلتهموا منها ما شاؤوا ، وتقلص نفوذ الصليحيين فانكمش في جبلة وما جاورها من حصون وضياع وقلاع ، حتى حلت سنة ٥٦٩هـ وبحلولها دخلت اليمن في حوزة الأيوبيين على يد الملك المعظم توران شاه بن أيوب شقيق صلاح الدين الأيوبي إذ سار إليها من القاهرة في ثلاثة آلاف مقاتل ففضى على ما تبقى من نفوذ الصليحيين والأشراف والزعماء الآخرين وأمر بالخطبة للخليفة العباسي في جميع أرجاء اليمن ، وشدد على دعاة المذهب الإسماعيلي كثيرا ، فاضطر الإسماعيليون للتكتل بعيدا عن أصحاب المذهبين القويين - المذهب السني في تهامة واليمن الأوسط والأسفل والمذهب الزيدي في الشمال ، واتخذوا من مدينة مناخة وبلاد حراز المجاورة لها ملجأ يعتصمون به ولم يلتفت إليهم أحد بعد ذلك التاريخ لقلّة عددهم وضعف شوكتهم فبقوا في معاقلهم تلك يتمتعون بما يتمتع به كل يمّني وما زالوا إلى اليوم في هذه النواحي متمسكين بمذهبهم يعيشون في وئام وسلام مع إخوانهم من أبناء المذهبين متطلعين إلى مستقبل عربي زاهر لليمن السعيد .

من بعيد

١- صدمت حينما بلغني نبأ وفاة أخي وصديقي الشاعر المبدع الرقيق أبي أحمد محمد أحمد المشاري وهو الذي لم يشك في أي يوم من وعكة ذات بال ، وقد عرفت المرحوم طالبا في القاهرة في الخمسينيات حين كنت أزورها في مهمات رسمية ، وتوطدت العلاقة بيني وبينه بعد تخرجه وعمله في دائرة المطبوعات والنشر ، وبعد الاستقلال صيف ١٩٦١م حاولت الاحتفاظ به في وزارة الإرشاد والأبناء غير أنه أثار أن يعمل في وزارة الخارجية ، وفوجئ بعد فترة بتعيينه سفيرا في نيروبي فصعب على والدته أن يرحل عنها وحيدها إلى بلد بعيد وبقيت تحته على العودة إلى الكويت فعاد وقدم استقالته وتفرغ للعمل الحر .

قال لي - وهذا ليس بسريستحسن أن أخفيه - «حينما تركت وظيفتي كنت لأملك غير خمسة وعشرين ألف دينار» وهذا ليس بمستغرب على شاب فقد أباه وهو صغير دون أن يترك له ثروة ، وقد كان والده أديبا وشاعرا وقلما وافق المال على الاجتماع بالأدب والشعر ، ولقد عرفت والده في الأربعينيات - قبل النفط - عضوا في مجلس المعارف وكان يزور المدارس ليستمع لمدرسي اللغة العربية وهم يشرحون قواعد اللغة للطلاب ، وكان مدرسو اللغة العربية وأنا منهم يهتمون بوقوف الشيخ يوسف بن عيسى القناعي مفتي الكويت أو الأديب أحمد خالد المشاري أمام باب الصف ؛ ولم يرث أبو أحمد محمد المشاري وحده

حب الأدب والشعر من والده فقد سبقه أخوه من والده إلى ذلك ومن اجتمع بالمرحوم خالد أحمد المشاري وجد فيه أدبياً واسع الاطلاع .

لقد نزل المرحوم أبو أحمد إلى العمل الحر بمبلغ زهيد وشاء الله أن يوفقه توفيقاً عظيماً فأصبح من تجار العقارات النابهين ، ومع ذلك لم يتعد عن الأدب والشعر وبقي يكتب خواطره شعراً كلما حفزه حافز ، وأعتقد أن مزرعته في الوفرة قد شهدت مولد أكثر قصائده التي نشرها في ديوان منذ بضع سنوات .

ومن عادة صديقي رحمه الله أنه لا يذيع قصيدة من قصائده قبل أن يسمعني إياها ، وكان يشرفني بالزيارة ليقرأ ما كتب من شعر جميل ، وقبل مغادرتي إلى هذا المصيف البعيد حظيت بزيارة المرحوم وسألته إن كان مزماً قضاء الصيف في أوربا أو غيرها فقال لا أظن قد نسافر إلى دبي لقضاء فترة وجيزة ونعود لنكمل الصيف في الكويت ، وسافر إلى دبي ثم عاد ليلاقي وجه الله ؛ فإننا لله وإنا إليه راجعون ، ولا أملك إلا أن أقول :

حُكْمُ الْمَنِيِّةِ فِي الْبَرِّيَّةِ جَارِ

مَا هَذِهِ الدُّنْيَا بَدَارُ قَرَارِ

وألف عزاء وعزاء لأسرتي المشاري والفراس الكريميتين على هذا المصاب الجلل ، وكلنا للاحقون ، والركب لا يتوقف ، وفي جنة الخلد أيها الراحل العزيز .

٢- ومع النبأ المحزن بوفاة الصديق العزيز جاء نبأ الاتفاق على الحدود البحرية بين الكويت والمملكة العربية السعودية وهو نبأ سار دون شك ، وقبله بأسبوعين تم الاتفاق بين المملكة العربية السعودية والجمهورية اليمنية على

الحدود البرية والبحرية بين البلدين الشقيقتين ، وبهذه الخطوة المباركة أزيحت الغيوم من سماء العلاقات السعودية اليمينية ودخلت الدولتان في علاقات جديدة ملؤها الثقة التامة والتعاون المطلق والتفاؤل بالمستقبل المنشود .

وكل أملي أن تقود الدولتان الكبيرتان بقية دول الجزيرة إلى الاتحاد الذي دعا إليه الكثيرون ، وكنت من أوائل من دعا دول مجلس التعاون إلى اتحاد كونفدرالي يصنع القوة والهيبة للجزيرة العربية ؛ فنحن في جزيرتنا العربية بدولنا السبع لانستطيع أن نكون أقوياء في أعين الآخرين ما لم نقض على فقدان التنسيق في السياسة الخارجية والشؤون العسكرية والاقتصادية ، ولن يتحقق لنا ذلك إلا إذا قامت دولة الوحدة الكونفدرالية أسوة بالوحدة الأوربية التي نهضت حديثا وأصبحت ملء السمع والبصر . إن كل دولة من دول جزيرتنا العربية لن تخسر شيئا بل إنها ستكسب كثيرا من الاتحاد وستبقى أمور كل دولة من هذه الدول كما يريد أبنائها وقادتها ؛ فلا شأن للاتحاد في الأمور الداخلية الخاصة بكل دولة ، وهذه أمور ستوضع في دستور الدولة الاتحادية ، وفي التجربة الأوربية خير مرشد عند البدء في وضع دستور الاتحاد .

ولعل من محاسن الاتحاد الاهتمام بحقوق العامل العربي في الجزيرة العربية ؛ ذلك أن أرزاق مئات الألوف من أبناء الجزيرة تذهب إلى جيوب العمال الأجانب القادمين من وراء البحار ، وهذا ظلم لا تفره الوشائج والقربي فخير الجزيرة لأبناء الجزيرة في المقام الأول ، وإذا كانت أخطاء بعض القادة قد أدت إلى ما أدت إليه فقد آن الأوان بعد ترسيم الحدود والتصافي أن تعود المياه صافية نقية إلى مجاريها وتزول القيود والسدود أمام هؤلاء القابعين في بيوتهم دون عمل

يعلكون الجوع ، فلقد عوقبوا دون ذنب عشر سنوات ، والله عز وجل يقول : ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ [النجم : ٣٨] وأبناء الجزيرة العربية أسرة واحدة ، وقد نفر أجدادهم في الفتوحات متضامنين يفتحون الأمصار وبينون مجدا خالدا للأمة العربية .

٣- لم يشهد العالم منذ فجر التاريخ سلب شعب وطنه وتقديمه لطائفة دينية مرت عليه ذات يوم غازية معتدية عدا ما حل بشعب فلسطين الذي نكبه الاستعمار البريطاني بوعد بلفور ، وما جاء بعد الوعد من انتداب مكن الهجرة الصهيونية من تشييد المدن والقرى في أرض هذا الشعب تحت حماية الخراب البريطانية . وحين رحل البريطانيون جاء التقسيم تنويجا للمؤامرة الاستعمارية وقامت دولة هذه الطائفة التي رفضتها المنطقة في بداية تاريخها ؛ فتشتت في الآفاق .

وعلى الرغم من إدراك جميع العقلاء في العالم أن الأوطان لا تسلب بدعاوى دينية كتبت بهذيان سخييف يمجح الأطفال كالدعاوى التوراتية إلا أن النفوذ اليهودي الصهيوني العالمي يتشبث بهذه الأكاذيب لأنها حجته الوحيدة التي لا يملك سواها في فلسطين . لذلك لانستغرب إذا ما فشلت مفاوضات كامب ديفيد كما فشلت من قبل اتفاقات أوسلو ومدريد وشرم الشيخ وواي ريفر ؛ فالصهيونيون النازيون المتشدقون بالديمقراطية المفصلة عليهم وحدهم ، يصعب عليهم أن ينسحبوا من الأرض العربية التي احتلوها عام ١٩٦٧م ويعيدوها إلى أهلها ليعم السلام والأمان والاطمئنان المنطقة كلها ، وتنصرف الشعوب إلى التنمية والتقدم والحضارة .

إن استجداء الحق من اللثام الطغاة مضيعة للوقت ، وقد عاش اللاجئون حياة لا تليق بكرامة الإنسان العربي عشرات السنين بعيدا عن ديارهم ، وعانى أولى القبليين وثالث الحرميين الشريفين ما عانى من دنس المحتل ، كما عانى الفلسطينيون تحت الاحتلال البطش والإرهاب والتدمير ؛ فلتتوقف هذه المفاوضات العقيمة مادام عناد العصابات الصهيونية يرفض القرارات الدولية ، وليتدارس الفلسطينيون ما يجب أن يتخذ بعد أن وصلت الأمور إلى ما وصلت إليه ، ولدى إخوانهم في جنوب لبنان الدواء الناجع لعناد هؤلاء الجبناء .

علينا أن نعي هذه الأمور

١- لا أدري لم أنظر إلى الجزيرة العربية ؛ كما أنظر إلى إنسان ماثل أمامي ؛ فأرجوه وأتوسل إليه بالشعرتارة وبالنشرتارة أخرى ، ويبدو أن توحد الجزيرة العربية واندفاعها لطرد الفرس من العراق ، واقتلاع الرومان من بلاد الشام ومصر وشمال أفريقيا هو وحده الذي جعلني أخلق من الجزيرة العربية إنسانا عربيا ملزما بالحفاظ على سمعته المجلجلة عبر التاريخ ؛ فلا غرابة والأمر كذلك إذا ما جفلت مضطربا حينما يرفع سلاح الجزيرة العربية في وجوه أبناء الجزيرة العربية تحت أي زعم من المزاغم .

إن هذا الإنسان العربي الذي كرمه الله مرتين الأولى حينما شرفه بحمل الرسالة ؛ فحملها ، وفتح بها الأمصار وبني دولته العظيمة المبدعة المتسامحة ، والثانية حينما فجر له الرزق في القرن الماضي من باطن الأرض ، وجعل حياته حياة سعيدة رغيدة بعد العوز والشقاء والحرمان .

إن هذا الخير الذي تنعم به دول مجلس التعاون الخليجي لم يقتصر على شعوب دول هذا المجلس بل تعداها إلى الأشقاء في كثير من أقطار الوطن العربي الكبير ؛ فنهضت مشاريع حيوية في هذه الأقطار عن طريق صناديق وبنوك دول مجلس التعاون وهيئاتها الرسمية ، وقد وضعت هذه الدول وفي مقدمتها المملكة العربية السعودية والكويت نصب الأعيان الأقربين ؛ فكان لليمن الكثير

الكثير من العون السخي على المستويين الحكومي والشعبي ؛ حتى حلت كارثة الكويت صيف ١٩٩٠م فإذا بقيادة اليمن يتخذون موقفاً أقل ما يقال عنه إنه مخيب للآمال . ولا حاجة إلى الحديث عن ذلك الموقف ؛ غير أننا لم نسمع من القادة في صنعاء حتى الآن ما يعتبر نقداً شجاعاً يزيل المرارة من نفوس إخوانهم في السعودية والكويت .

وليت الحال قد بقي على ما هو عليه ، وإنما فوجئنا ببعض الأحزاب في صنعاء ، تحاول تكدير الخواطر من جديد عن طريق التطاول بالفتيح من الكلام .

وليعلم الإخوة في صنعاء أن أي عربي مخلص لا يرضيه أن يرى الأجانب يلهمون فرص العمل في دول مجلس التعاون الخليجي ويحرم منها أشقاؤهم أبناء الجزيرة العربية ؛ غير أن استمرار المكابرة والتطاول في الصحف الحزبية لا يخدم قضية نسيان الماضي وعودة الإخاء والوئام ، والاهتمام بأمر مئات الألوف من العاطلين القابعين في بيوتهم يعلكون الجوع .

إن الألفية الثالثة قادمة تحتاج إلى استعداد العقول لاقتحامها ومازالت عقولنا -نحن أبناء الجزيرة العربية بدولنا السبع في إجازة طويلة على الرغم مما نراه في دول العالم المتحضر ولتينا نعتبر بالدول الأوربية وهي أعراق مختلفة وقوميات متباينة ، ولغات شتى طحنتها الحروب عبر التاريخ ، وأججت فيها العداوات والأحقاد إلى الأمس القريب حينما تنادت إلى اتحاد ضم شملها ؛ فكان لها اقتصاد موحد ، وسياسة خارجية واحدة ، وتصميم على دفاع مشترك لدى الملمات .

ولنا بعد ذلك أمل عظيم في صوت العقل الرافض للاستفزاز المنادي

بالاتحاد - من موقع القيادة والريادة- فمستقبل الجزيرة العربية يجب أن يعلو على الذين يسلون أنفسهم بالتافه من الأمور .

٢- أسفت أشد الأسف حينما قرأت في صحفنا اعتراض بعض المتشددین المتطرفین على شهر الترویح والتسوق الذي نحن فيه ودهشت لقولهم إن هلا فبراير لايعني غير الانحلال وهدر الفضيلة ، وكنت أود أن يساهم هؤلاء في شرح فوائد هذه المناسبة من منطلقات اقتصادية وترویحية وإعلامية ؛ فمحرارية قدوم الناس من جميع البلدان لمشاهدة ما في الكويت من تطور حضاري نفخر به كثيرا محاربة للعمل الإعلامي الذي نحرص عليه أشد الحرص ، ولا تقتصر هذه المحاربة على الناحية الإعلامية فحسب ، وإنما تتخطاها لتصل إلى التأثير على البيع والشراء في الأسواق ؛ أما الحفلات الغنائية التي نالت الكثير من التحامل فهي وسيلة من وسائل الفرح ، وإذا لم يفرح الناس في مثل هذه المناسبة فمتى يفرحون ؟ !

ثم إنني أود أن أعرف متي كان الغناء ممنوعا أفي عهد الراشدين أم في عهدي الخلفتين الأموية والعباسية؟

يجب أن يتذكر هؤلاء الإخوة الأفاضل أن الغناء لم يمنع أيام الرسول الكريم فقد ثبت أنه وقف ذات يوم ينظر إلى قوم يرقصون ويغنون ويضربون بالدفوف وينفخون في المزامير وقد وقفت عائشة رضي الله عنها إلى جواره فأخذ يظللها بجزء من رداءه فنهرها والدها فكان رد الرسول عليه «روحوا القلوب ساعة فساعة فإنها إن كلت عميت» .

لقد كانت المغنيات يطربن الناس في الأفراح ويثرن الحزن في الأتراح حينما يموت عزيز في أسرة من الأسر القادرة على دفع أجر القيان النادبات ، وفي عهد

الصحابة بعد موت الرسول ﷺ كانت في الساحة عَزَّةً الميلاء وهي بمثابة أم كلثوم في جيلنا هذا ، وتخرج على يديها بضع معنيات مبدعات كسلامة القس ، وعمارة جارية عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وغيرهما أما المغنون في ذلك العهد -عهد الصحابة- فقد كان في مقدمتهم الغريصُ ، وابن سُرَيْجُ ومَعْبُدُ وطُويسُ وقد تتلمذ على يد نشيط وسائب خاثر بعض هؤلاء ، وكان معبد قد احتل مرتبة تماثل المرتبة التي احتلها عبد الوهاب في جيلنا هذا وفيه يقول الشاعر :

أجاد طُويسٌ والسُرَيْجِيُّ بعدهُ وما قصباتُ السَّبْقِ إلا لمعبدُ

ولم نسمع أن أحداً قد انبرى وطلب منع الغناء .

ليس الترويح عن النفس مجلبة للمفاسد واندفاعاً نحو الفاحشة وإنما المنع والكبت والتضييق هي التي تدفع نحو المتعة المحرمة حينما تغلق أبواب التسلية البريئة أمام الناس ، إن شهر فبراير ليحتاج إلى جموع من المطربين والمطربات وإلى الكثير الكثير من وسائل الفرح والمرح والابتهاج ففيه العيد الوطني للكويت الحبيبة بعد حماية أجنبية دامت أكثر من ستين عاماً ، وفيه طُرد الغزاة المستبدون الذين تسللوا إلى هذا الوطن الغالي فجر الثاني من أغسطس ١٩٩٠ م . فلنزرع جميعاً البهجة في كل مكان من الكويت في هذا الشهر ولنردد مع المغنين والمنشدين : هلا هلا فبراير .

٣- العدوان النازي الإسرائيلي على لبنان مساء الإثنين الذي استهدف محطات الكهرباء في جنوب بيروت وطرابلس وبعلمك يدل دلالة قاطعة على أن هؤلاء الغزاة الراضعين من ثدي النازية ، غير قادرين على العيش بجوار الدول العربية .

إن التوراة التي يعتمدون عليها تقول بصراحة إن بني إسرائيل القادمين من مصر في عهد منفتح ملك مصر حاولوا مرارا اقتحام فلسطين فصدتهم سكانها الكنعانيون ، وتسرد التوراة الحروب التي خاضوها ليتمكنوا من احتلال أجزاء من فلسطين دون جدوى فقد استمات الفلسطينيون في الدفاع عن وطنهم ، وحينما تمكنوا من احتلال أورشليم جاءهم الآشوريون فسحقهم ، ولما عادوا من جديد إلى احتلال أورشليم قدم إليهم بختنصر من جنوب العراق فدك معبدهم وأخذ ملكهم وكبار قومهم إلى بابل لينبأ مع العمال قصره المنيف . ومعنى ذلك أن الفلسطينيين لم يتنازلوا لهؤلاء الغزاة حتى مقدم الرومان وبعد ذلك جاء العرب بفتوحاتهم التي جعلت فلسطين جزءا من الإمبراطورية العربية الإسلامية . إن أي غاز لشعب من الشعوب لا يحق له أن يتشبث بأرض ليست في الأساس أرضه وإلا لجاز للإنجليز أن يعودوا إلى استعمار الهند ، وجاز للفرنسيين العودة إلى الجزائر ثم إن الأوطان لا تمنح بدعاوى دينية ، وإلا لحق لأية طائفة مسيحية أن تشد الرحال إلى فلسطين لتنشئ فيها دولة مسيحية ، ولحق أيضا لأية طائفة مسلمة أن تشد الرحال إلى مكة وتزعم أن لها الحق في أن تقيم فيها دولة إسلامية خاصة بها . إن المجتمع الدولي مسئول عن هذه العريضة التي تنتهجها إسرائيل ؛ فالسلام لا يمكن أن يتحقق بالأسلوب النازي الفاشستي البغيض .

ولقد بدا واضحا أن إيهود باراك نسخة طبق الأصل من سلفه ننتياهو فقد جعل من عدوانه هذا رسالة موجهة إلى سورية ليختطف منها ما يمكن اختطافه من تنازلات في أثناء المفاوضات وإلا فطريق السلام غير هذا الطريق ومجلس

الأمن قد أصدر قرارا يوجب على إسرائيل الانسحاب من جنوب لبنان دون قيد أو شرط ، وليت القلعة الشامخة تبقى شامخة في وجه هذا الشرير فالمفاوضات مع أمثاله ضرب من العبث والوهان .

إن الأمة العربية تستطيع تجميع عناصر قوتها والوقوف بحزم في وجه هذا الصلف الأحمق ؛ غير أن بعضنا مازال يردد ما رددته إسرائيل من أكاذيب عن بطولاتها وانتصاراتها وإذا ما رجعنا إلى الصراع العربي الإسرائيلي لوجدنا أن العرب لم يخوضوا غير حرب واحدة هي حرب ١٩٧٣م حينما دك الجيش المصري خط بارليف في ساعتين وحرر الجيش السوري هضبة الجولان ، ولم تختل موازين القوى إلا بعد التدخل الخارجي لنجدة إسرائيل بجميع الأسلحة المتطورة الحديثة ثم جاء قرار مجلس الأمن بوقف القتال .

أما حرب ١٩٦٧م فقد انتهت قبل أن تبدأ بعد تحطم الطائرات وهي جاثمة على الأرض ، ومع ذلك فقد رفض العرب تلك الهزيمة فاندلعت حرب الاستنزاف وأعيد إعداد الجيش المصري إعدادا حديثا ظهر أثره في حرب أكتوبر ١٩٧٣م وكانت إسرائيل تمنى النفس بزرع الهزيمة في قلوب وعقول شباب الأمة العربية من الخليج إلى المحيط .

٤- المتباكون على أطفال العراق لا يتباكون إلا على من يدفع أما أطفال العراق فقد خصص لهم مجلس الأمن المليارات من الدولارات للعناية بصحتهم وغذائهم فلتكف هذه المزاعم المضحكة التي لا تجد قبولا لدى السامعين ، وإذا كان هؤلاء المتباكون يشعرون كما يشعر الناس الأسوياء فليبكوا على احتجاز أكثر من ستمائة أسير كويتي في سجون الطغاة .

لقد مضت عشر سنوات وهم يعانون دون ذنب اقترفوه ومع ذلك نجد
في بعض الديار العربية من ينادي بالمصالحة ولا أدري كيف يمكن أن تتم
المصالحة وقضية هؤلاء الأسرى التي ندد بها العالم أجمع مهمة لدى تعنت
الطغاة في بغداد .

عام رحل وعام أطل

١- ودعنا عام ١٩٩٩م بما حمل من كوارث طبيعية وحماقات دولية ، وانحرافات باسم الدين همجية ، ودعونا الله تعالى ليلة مقدم العام الجديد أن يوقف كوارثه ، ويعيد الصواب إلى عقول بعض قادة الدول كي لا يستمروا في التلذذ بعذاب الأبرياء ، ممن لا حول لهم ولا قوة أمام المدافع والطائرات والصواريخ ، ودعونه أيضاً أن يهدي الضالين ممن يتحدثون باسم الدين عن جهل ورعونة ويعيشون فسادا في الأرض وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

ففي الشيشان تندفع الدولة الروسية في تدمير كل شيء بحجة أنها تحارب الإرهابيين غير عابئة بالنداءات الدولية لوقف جنون الحرب ؛ مستغلة الخطأ الذي اقترفه نفر من المغامرين الشيشانيين حينما تركوا بلدهم ، واقتحموا حدود جمهورية داغستان ؛ ليحرروها من الاتحاد الروسي وما علموا أن ذلك الاستقلال الذي اغتصبوه من أفواه الروس منذ بضع سنوات قد جعل الحكومة الروسية تبحث عن مسوغ للعودة إلى الشيشان لتمسح عار الهزيمة التي حلت بها على أيدي الشيشانيين وتعلي سمعة الجيش الروسي بين جيوش العالم من جديد .

لأدري كيف فات أصلا مسخادوف وأركان حكومته هذه البدهية ؛ فروسيا تستطيع -وقد استطاعت فعلا- زعزعة التضامن الشيشاني ، وهي قادرة في الوقت نفسه على تمزيق جميع المرافق وتدمير كل شيء في المدن الشيشانية

وقد فعلت ذلك مع الأسف الشديد . ثم كيف يصح أن يقفز نفر من المقاتلين الشيشانيين - مهما كانت شجاعتهم وبطولاتهم إلى جمهورية داغستان لتحريرها من الاتحاد الروسي دون أن تكون هناك ثورة داغستانية تطالب بالاستقلال عن الروس؟ لذلك رأينا التأييد للرئيس بوتن من جميع الأحزاب الروسية لاعتقاد هؤلاء أن روسيا قد أهينت حينما خرج جيشها من الشيشان يجر ذيل الهزيمة قبل بضع سنوات ، فجاءت مغامرة المقاتلين الشيشانيين في جمهورية داغستان أخيرا تحديا نكأ الجروح ودفع الروس إلى تصفية الحساب .

أما التخريب المتجلبب بجلباب الدين فقد آلمنا منه ما ظهر في البلد الصغير الجميل لبنان في آخر يوم من أيام العام المنصرم ؛ فقد أبت جماعة متحدثة باسم الإسلام إلا أن تكون كغيرها من الجماعات الظالمة الباغية التي تقتل الأبرياء وهي تردد الله أكبر الله أكبر ، وإنها والله لمحنة ابتلي بها العرب في بعض أقطارهم ، وابتليت بها شعوب أخرى في بعض الديار الإسلامية ، فمائة عاطل عن العمل أو مائة وخمسون زعموا أن المجتمع اللبناني كافر وهم وحدهم المؤمنون الصالحون المرشحون لدخول الجنة ؛ فأخذوا يقتلون جنود بلدهم غدرا في وقت يقف فيه لبنان في وجه الاحتلال الصهيوني موقفا بطوليا يصفق له العرب من الخليج إلى المحيط .

إن هؤلاء المرضى الضائعين الذين يسمون أنفسهم جماعة التكفير والهجرة ليحتاجون أشد الحاجة إلى تربية وطنية سليمة ؛ فقد استغلهم المتاجرون بالدين فغسلوا أدمغتهم وساقوهم بعد ذلك إلى ما ساقوهم إليه وهم لا يدركون ما يفعلون ، وكان هؤلاء المرضى الضائعين في مناهات تكفير الناس قد كانوا على

موعد مع جماعة أخرى في مصر انطلقت مثلهم تقتل إخوانهم وبني جلدتهم في أيام الأعياد في إحدى قرى الصعيد ناسين أن النيل الذي يجري ماؤه شفاء للناس من الأحقاد والضغائن والفرقة والخلاف يرفض أن تقترب هذه الجرائم البشعة حول شاطئيه وهو الذي احتضن المصريين منذ آلاف السنين على المحبة والإخاء وحسن المعاملة ، والعرب في جميع أقطارهم يلعنون من يؤججون نيران الفتنة الطائفية في أية بقعة من بقاع الوطن العربي الكبير ويلعنون أيضا من يتاجرون بالدين .

٢- وما جاء به هذا العام الجديد الذي احتفلت به الدنيا كلها بتصميم رئيس وزراء العدو الصهيوني على إنهاء الاحتلال لهضبة الجولان السورية في محادثات شبردزتون بالولايات المتحدة الأمريكية إيمانا من الإسرائيليين بأن الاستمرار في الغرور والعريضة لن يؤدي إلا إلى دمار إسرائيل ؛ فالعرب لا ينامون على حق سليب وهم مستعدون لبذل الأرواح رخيصة في سبيل استرداد ما احتل من أرضهم في عام ١٩٦٧م وقد كان شعارهم وما زال ما سلب بالقوة لا يسترد إلا بالقوة ، ولو لم تكن القوة قد ظهرت للعدو الصهيوني جلية واضحة لما فكر في الانسحاب من الجولان . إن أسلحة الدمار الشامل المكسدة في مستودعات العدو ليست عسيرة على الدول العربية ، ومن السهولة أن ينتصر العدو في معركة بالمرأعة والخداع والعون الخارجي غير أن من الصعوبة أن يجد مسئولا عربيا واحدا يستسلم للهزيمة وأعظم مثال على هذا ما حدث عام ١٩٦٧م فقد انتهت المعركة قبل أن تبدأ حين أصدرت القيادة العسكرية في مصر أمرا يدعو إلى سحب القوات من سيناء بعد تحطيم الطائرات وهي جاثمة على

الأرض ، ورقص الإسرائيليون فرحا ووطنوا أن المعركة قد انتهت فإذا بالإرادة العربية القوية ترفض الاستسلام وتشن حرب الاستنزاف وتبني قوتها من جديد لتدك بها خط بارليف عام ١٩٧٣ م ، وتمرغ التبرجح الإسرائيلي تحت أقدام الأبطال المؤمنين بقدرة الشعب العربي على البناء والتغيير .

لقد باغت اليابانيون الأمريكيين في الحرب العالمية الثانية وحطموا لهم أسطولهم القابع في المحيط الهادي بضربات انتحارية من أسراب الطائرات ، وكانت تلك المفاجأة فوق احتمال الأمريكيين غير أنهم لم يركعوا فهبوا رجالا ونساء للمنازلة سنوات وهزمت اليابان شر هزيمة ، وكذلك كان حال الإنجليز حين هربوا تاركين سلاحهم للألمان في معركة دنكرك فقد رفض الشعب البريطاني الهزيمة وكسب الحرب بالإرادة القوية والإصرار على هزيمة الطغيان والعدوان .

إننا نحتاج إلى الإيمان بهذه الأمة العظيمة وسنكون أقوياء متى شعرنا بأننا قادرون على ردع الأعداء وصيانة هذه الديار الغالية العزيزة .

٣- ومن مفاجآت هذا العام الجديد ما قيل في إحدى الفضائيات التلفزيونية عن الدين والقومية ؛ فقد زعم بعضهم أن الدين لا مكان له في قابل الأيام وهو يقصد الألفية الثالثة وكذلك القومية ، وهذا الرأي لا يستند على أساس فالدين غير قابل للانحسار مادام القرآن يتلى صباح مساء ومادامت المساجد عامرة بالمصلين ، والمرشح للانحسار حقا إنما هو الإرهاب الفكري والإرهاب المسلح والتطرف والمتاجرة باسم الدين ؛ فالألفية الثالثة القادمة ألفية الاقتصاد والتكنولوجيا والعلوم ، ومن يتخلف في ميدان هذه القضايا يصبح في مؤخرة

الركب يستهلك ما تنتجه عقول المبدعين ، والنتيجة الحتمية الفقر والبطالة والثورات والأزمات .

أما القومية فإنها اليوم أقوى مما كانت عليه قبل العقد العاشر من هذا القرن ؛ فمحاولات دمج القوميات في بوتقة الشيوعية الدولية قد فشلت فشلا ذريعا ، وخرجت من الاتحاد السوفييتي دول كانت تصارع الذوبان فاعتزت بقومياتها ورسخت أركان استقلالها ، ورفضت أحلام الاتحاد السوفييتي في تجريدها من القومية وصهرها في مواطنة سوفييتية على مدى ستين عاما .

غير أن القومية العربية التي لا تعني غير التضامن العربي ترفض متاجرة المتاجرين بشعاراتها ، وكل من يتنكر للقومية العربية على أساس أنها لم تحقق الوحدة العربية يكون كمن يرغب في جني الربط من النخلة بعد أسبوع من تلقيح الطلع . إن قضية الوحدة العربية مرتبطة بالنضج الفكري والسياسي والاجتماعي للمواطنين العرب في كل إقليم من أقاليم الوطن الكبير ؛ وهي إن قامت فلن تكون أكثر من وحدات كوندراالية بين دول متقاربة متجانسة تجمعها مصالح مشتركة كالاقتصاد والدفاع المشترك والسياسة الخارجية ؛ أما الوحدة الاندماجية من المحيط إلى الخليج فهي بعيدة المنال .

وعلى أية حال فطرح موضوع الوحدة الفورية هروب واضح من العمل على إعادة التضامن العربي الذي عانى ما عانى من طغيان الطغاة ، ولا يلجأ إلى حكاية الوحدة الفورية إلا الذين لا يريدون لم الشمل العربي على أسس واقعية والمثل يقول : إذا أردت أن تحارب مشروعا فاخلق مشروعا أكبر منه .

ثم إننا جميعا نتطلع إلى الألفية الثالثة برهبة لا تحجب لعجزنا عن بناء بلداننا

كما يجب أن تبني البلدان المتحضرة ، ولو عملنا ما عمله الآخرون من توجه نحو العلم بحماسة شديدة وعزائم قوية متحدية لكننا اليوم ننتظر قدوم الألفية الثالثة بثقة المقتدرين على اجتياز ما فيها من مفاجآت . إن ضياع الوقت في الأمور الصغيرة مَجْلَبَةٌ للخيبة والندم ؛ فلقد سئم الناس الدوران حول المسائل التي تلوكها الألسنة منذ مئات السنين ، وأن الأوان لاقتحام الجديد من قضايا العلم والمخترعات والاكتشافات فالله سبحانه وتعالى قد خص الإنسان بالعقل وطالبه في كتابه العزيز بأن يفكر ويستعمل عقله فيما يعود عليه بالخير ، وتكررت عبارة لعلمكم تعقلون في مواضع كثيرة من كتاب الله ؛ غير أن الذين لا يريدون الدين أن يكون دين علم وقوة وإبداع قد حصروه في العبادات وأمور الجنة والنار ، وهذه غفلة يجب أن تنتهي مع بداية العام الجديد وقرب مطلع الألفية الثالثة ويبدأ اقتحام عصر الإنجازات الكبيرة التي ترفع من شأن هذه الأمة العربية ؛ سواء أتوحدت خلال قرن أو ربع قرن أو عقد واحد من الزمن ؛ ذلك أن التوحد ليس مهما في حد ذاته ؛ وإنما تغيير العقول هو الأهم دون ريب . إن دول شبه الجزيرة العربية قد تتوحد على سبيل المثال ، وتبقى كما هي تدور في متاهات الاجترار المعهود ؛ فلنكن إذن قادرين على اللحاق بالركب المُعَدِّ نحو الاختراعات والابتكارات والاكتشافات ذات التأثير العظيم في حياة أمم الأرض ، وإلا فالتخلف المفرع نصيب أمتنا العربية .

٤-- ونودع عاما ونستقبل عاما والأحبة في أسر الطغاة الظالمين ؛ فقد توالى الأعوام منذ تلك الأشهر المضرجة بالدماء والمثقلة بأنات القهر والقتل والتعذيب ، وهم ينقلون من معتقل إلى معتقل ، ومن سجن إلى سجن ؛ شباب

وشيوخ وأطفال ونسوة تخطفتهم أيدي النازيين الجدد من شوارع الكويت ومن بعض الأزقة والبيوت حينما حلت الهزيمة ، وانطلقت بهم إلى العراق ؛ دون ذنب اقترفوه سوى أنهم من الكويت البلد الطيب المعتدى عليه . ويدور في خلدي وأنا أكتب هذه النفثة المتأججة ما قدمت الكويت للعراق على مدى ثمانين سنوات لإثناؤه من السقوط تحت أقدام الجيوش الإيرانية ؛ فلم تبخل الكويت قيادة وشعبا على العصابات الحاكمة في بغداد بأي شيء كانوا يحتاجون إليه في تلك السنوات العجاف ؛ فما من هزيمة هددت البصرة أو بغداد إلا انبرت الكويت مُسَعْفَةً هؤلاء القوم بسخاء جم ، وشهامة عربية أصيلة ؛ لعلم الشعب والقيادة في الكويت بأن المصير العربي واحد ، والهزيمة إن حلت بقطر عربي حلت بالعرب جميعا لاسيما أن القيادة في إيران رفضت وقف القتال ، وأصرت على إسقاط الحكم في بغداد ، ولم يدر في خلد أحد أن يكون الجزاء هذا التنكر المرذول الذي لا تقدم عليه أية قبيلة من القبائل المتوحشة الهائمة في المستنقعات والأدغال .

ومن المضحك والمبكي معا أن يطلق المعتدون لفظة المفقودين على أسرانا ، وهم يعلمون أنهم غير مفقودين . إن الأسرى الكويتيين موجودون في سجون ومعتقلات حكام بغداد والتلاعب بالألفاظ لا يستطيع أن يخفي الحقيقة فليعلن هؤلاء الطغاة البغاة القساة عن تاريخ محدد لإطلاق سراحهم ، وليتركوا حكاية المفقودين فهي حكاية لا يصدقها الأطفال .

من بعيد

البرنامج الوثائقي الذي بثه تلفزيون الشرق الأوسط عن العدوان العراقي على الكويت ابتداء من مساء يوم الثالث من أغسطس الحالي حمل الرد الكاسح على أكاذيب الفئة الباغية في بغداد ، ونحن نعتقد أن الجماهير العربية المبرأة من الحسد والارتباط المصلحي بالطغاة ستأكد لديها بشاعة ما حدث في الثاني من أغسطس ١٩٩٠ م ؛ أما الذين يحسدون الجزيرة العربية على ما آتاها الله من فضله فسيظلون يعانون داء الحسد حتى يموتوا بغيبظهم ، ولن يجد أبناء الجزيرة العربية من وسيلة لتقويم تفكيرهم ومنطقهم حين يتحدثون عن العدوان غير الصبر الجميل متمثلين بقول الشاعر :

واصبر على كيد الحسو د ، فإن صبرك قاتله

كالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

أما المشاركون في ذلك البرنامج من أبناء الكويت والمملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية المتحدة وجمهورية مصر العربية فإنهم قد وفقوا توفيقاً تاماً في إزاحة جميع ما جاء على ألسنة المعتدين ، فليست هناك مؤامرة على حكام بغداد ، ولا نفط مسروق ، ولا تجاوز في الحدود .

ومن المؤسف أن يتشبث بعض المعتدين بمحاولات الدولة العثمانية للسيطرة على الكويت ، مع أنها لو نجحت لما كانت حجة على أن الكويت جزء من

العراق ؛ فالدولة العثمانية دولة أجنبية استعمرت البلاد العربية باسم الإسلام ، وأفعالها ليست حجة يعتد بها بعد خروجها من ديارنا العربية ، وما كان العراق ولن يكون وارثا للخلافة العثمانية فقد كان هو نفسه مجزأ إلى ثلاث ولايات مرتبطة مباشرة بمركز الخلافة إستنبول ، وعلى المكابرين أن يتذكروا التاريخ القديم حينما كانت الكويت والبحرين والأحساء دولة واحدة تعرف بدولة ديلمون ، وامتدت حدودها حتى شمال سفوان ، وليتذكروا كذلك معركة ذي قار بين ملك الفرس وقبيلة بكر بن وائل حينما أمر ملك الفرس عامل سفوان بأن يمنع قبائل الجزيرة العربية من دخول العراق في أثناء المعركة فقد كان موقع سفوان هو الحد الفاصل بين الزاوية الشمالية الشرقية لجزيرة العرب - الكويت - وبين العراق ، وليرجعوا إلى الكامل لابن الأثير والطبري وابن خلدون وإلى غيرها من كتب التاريخ .

لقد أصاب كبد الحقيقة مدير المخابرات العسكرية العراقية السابق وفيق السامرائي حين اختصر الأسباب التي دعت صدام حسين إلى غزو الكويت حين قال إنها الحاجة إلى الأموال ، وقد شجعه في تقديره على ذلك غياب القوة العسكرية الرادعة لدى دول مجلس التعاون الخليجي ولو أن هذه الدول الست قد أقدمت منذ قيام المجلس على إنشاء اتحاد كونفدرالي ، وأنشأت قوة عسكرية متطورة لما أقدم صدام على ما أقدم عليه ، وآمل أن يوظف هذا الصلف الذي سمعناه من الزمرة الباغية في بغداد همم القادة في مجلس التعاون الخليجي ؛ فيقدموا على إنشاء ما دعونا إلى إنشائه منذ وقت طويل ألا وهو الاتحاد المنشود لتمتع الجزيرة العربية بالقوة والهيبة والأمن والاستقرار ؛ ذلك أن المعتدين

الأمميين قد أعلنوا بكل عنجھية و صلف و غرور أنهم غير نادمين على فعلتهم التي طعنت التضامن العربي و فرقت صفوف العرب ، و جلبت القوات الأجنبية إلى الخلیج و دمرت العراق على نحو مفرج ، و لقد كان موفقا جدا النائب الأول لرئيس الوزراء و وزیر الخارجية الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح حين قال ردا على سؤال في مقابلة بثها تلفزيون الشرق الأوسط حول المصالحة «لا يمكن أن نمد أيدينا لهؤلاء الناس» .

٢- قلت في مقال سابق نشر قبل انعقاد قمة كامب ديفيد إن هذه القمة لن تتمخض عن شيء ذي قيمة لعملية السلام في فلسطين ؛ لأن هذه الفترة فترة انتخابات في الولايات المتحدة الأمريكية ، و راعي القمة لا يستطيع الضغط على رئيس الكيان الصهيوني مادام محتاجا إلى أصوات الناخبين اليهود فقد تحقق ما ذهبت إليه و عاد الطرفان الفلسطيني المعتدى عليه و الصهيوني المعتدي إلى فلسطين دون اتفاق .

و لقد أخطأ الرئيس الأمريكي خطأ جسيما حينما أعلن أنه سينقل السفارة الأمريكية إلى القدس إذا لم يقبل ياسر عرفات بما يمليه عليه الإسرائيليون ، و هذا التصريح الخطير أثار العرب و المسلمين في جميع أرجاء الأرض ، و كان من واجب الرئيس الأمريكي أن يدرك أن تصريحه كهذا ليس في مصلحة الولايات المتحدة الأمريكية و لا في مصلحة عملية السلام المنشود . إن الرئيس الأمريكي مطالب بالعدل في هذه القضية إن أراد لعملية السلام النجاح ، فالقدس منذ بداية التاريخ البشري ملك لسكانها الأصليين فقد عاش فيها اليبوسيون و الكنعانيون سكان فلسطين الأقدمون ، و لما جاءهم بنو إسرائيل هاريين من مصر

قاتلوهم قرونا فرحلوا - وهم طائفة دينية - إلى بلدان كثيرة من بلدان الأرض واستوطنوا فيها ؛ فتركهم أوطانهم في مطلع هذا القرن والرحيل إلى فلسطين بتشجيع من الاستعمار الغربي خطأ لا يجوز أن يتحملة شعب فلسطين ؛ فالأوطان لأصحابها وليست للطوائف الدينية الوافدة ؛ فالولايات المتحدة الأمريكية مثلا لديها طوائف دينية كثيرة فهل هي مستعدة لتلبية مطالب هذه الطوائف في الاستيلاء على بعض الولايات لإقامة حكومات لهذه الطوائف ؟ إن الطائفة البهائية في إيران كبيرة فهل من العدل أن يقتطع إقليم كرمشاه أو إقليم شيراز لإقامة دولة لهذه الطائفة ؟

وفي رأيي أن من الواجب في هذا الظرف الذي تمر به القضية الفلسطينية أن تعقد قمة للملوك والرؤساء والزعماء العرب لدعم هذه القضية والوقوف بحزم في وجه الطمع الصهيوني ولاسيما طمعه في القدس الشرقية التي تحتضن أولى القبليتين وثالث الحرمين الشريفين .

لقد عشنا حتى رأينا ضياع نصف فلسطين ولا يجوز اليوم أن نتهاون فيما للفلسطينيين من حق صريح يؤكده قرار التقسيم والقرارات الدولية المتعاقبة أما هذر المتعصبين ، وفي مقدمتهم حاخام حزب شاس اليميني المتطرف ؛ فهو مدعاة للضحك ويصلح أن يقال فيه المثل العربي الشهير «رمتني بدائها وانسلت» فالأفاعي هم قتلة الأنبياء ، ومصاصو دماء الشعوب بالغش والريا ، ومن يزعمون في توراتهم التي كتبوها وهم في الأسر ببابل أن الرب نادى بني إسرائيل فقال لهم : «اقتلوا الفلسطينيين رجالا ونساء صغارا وكبارا واقتلوا ماشيتهم لا تتركوا غنما ولا بقرا ولا حميرا ولا جمالا» . هؤلاء هم الأفاعي السامة أيها

الحاخام الأحمق ؛ أما المعتدى عليهم ضحايا المتعصين من أمثالك القابعون تحت الخيام ؛ فليسوا بالأفاعي ؛ إنهم عرب ظلمتهم الصهيونية الباغية ، والاستعمار الغربي البغيض .

ونقول للحاخام النازي المتطرف إن هذا الوصف يصلح تماما لقتلة النساء والأطفال والعجزة غدرا في دير ياسين عام ١٩٤٨م ومذبحة قبية في الضفة الغربية عام ١٩٥٣م ومذبحة قرية كفر قاسم وخان يونس عام ١٩٥٦م ومذبحة قرية السموع عام ١٩٦٦م .

ونقول للحاخام الغبي المذعور من السلام إن الأفاعي السامة هم الذين قتلوا الأسرى المصريين في حرب يونيو ١٩٦٧م ودمروا مدن قناة السويس على رؤوس السكان وهم أيضا أيها الحاخام النازي الأحمق الذين قتلوا طلاب مدرسة بحر البقر في حرب الاستنزاف حينما شنت الطائرات الإسرائيلية هجومها على المدرسة في فبراير ١٩٧٠م ، والأفاعي السامة أيها الحاخام المعتوه هم الذين أشرفوا على مذابح صبرا وشاتيلا وفي مقدمتهم الجنرال الخنزير إريل شارون صيف ١٩٨٢م وهي مذابح بشعة لم يقترف هتلر مثلها أيام السيطرة النازية على أوروبا ، ونقول لحاخام شاس النازي الأحمق إن الأفاعي السامة من ضربوا مكاتب منظمة التحرير في تونس بالطائرات وقتلوا الموظفين الأبرياء . ونقول لهذا الحاخام المجنون إن الأفاعي من نفذوا مذبحة المسجد الإبراهيمي عن طريق العنصري المرذول جولد شتاين عام ١٩٩٤م ومن نفذوا مذبحة قانا عام ١٩٩٦م وغيرها من المذابح كثير كثير كثير أيها الحاخام النازي المعتوه .

هاتوا برهانكم

تزعم الصهيونية أن لها حقاً تاريخياً في فلسطين ، ولقد قلنا إن اليهود طائفة دينية شأنها شأن الطوائف الأخرى وكما لا يحق لأية طائفة من الطوائف الدينية أن تطالب بوطن مستقل على حساب السكان الأصليين في أي بلد من بلدان العالم الذي تعيش فيه ؛ لا يجوز أيضاً للطائفة اليهودية المنتشرة في كثير من بقاع الأرض أن تطالب بوطن في فلسطين على حساب الفلسطينيين سكان الأرض . إن من الغرابة أن يستند الزعم الصهيوني إلى ما جاء في التوراة ، وما جاء في التوراة يؤكد أن فلسطين أرض الكنعانيين ، وأن الذين سموا أنفسهم بني إسرائيل قديماً ينحدرون من الأسباط أبناء يعقوب حفيد إبراهيم الهارب من العراق إلى فلسطين عن طريق الأردن ؛ ولم يبق الأسباط في فلسطين ، وإنما هاجروا إلى مصر مع أبيهم يعقوب وأمهاتهم الأربع بتشجيع من أخيهم يوسف هرباً من العيش في أرض الكنعانيين كما تقول التوراة وكان الحكم في شمال مصر قد سقط في أيدي الهكسوس أو الرعاة القادمين من سيناء ؛ فقربهم الملك الهكسوسي ، وسمح لهم بالاستقرار في الشمال الشرقي من مصر لخصوبة الأرض وكثرة المراعي وهم قوم رعاة . ولما طرد الملك أحمس الهكسوس من مصر أخذ الحكم الجديد في مصر يضيق الخناق على بني إسرائيل الذين كانوا عوناً للمحتلين الهكسوس ، وفي عهد منفتح فرعون مصر خرج بنو إسرائيل

هاربين بقيادة موسى ؛ بعد أن أخبرهم موسى كما تقول التوراة بأن «يهوه» طلب منه إخراجهم من مصر . يقول كتبة التوراة عن خروج بني إسرائيل من مصر في الإصحاح الثالث من سفر الخروج إن «يهوه» إله بني إسرائيل قال لموسى حين أمره بإخراج بني إسرائيل من مصر «فيكون حينما تمضون لا تمضون فارغين بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة ، وأمتعة ذهب ، وثيابا وتضعونها على بنيكم وبناتكم ، فتسلبون المصريين» .

أمر من «يهوه» إله بني إسرائيل الذي خلقه خيالهم المريض وفصله تفصيلا عليهم وحدهم ، فهو يبيح لهم قتل الفلسطينيين للاستيلاء على أرضهم ، ويبيح لهم سرقة المصريين والغدر بجميع شعوب العالم ، وانظروا في هذا الأمر الصادر عن الكاهن صموئيل إلى الملك شاول حين احتدم القتال بينهم وبين العماليق المقاتلين الأشداء من أبناء فلسطين فهو يقول لشاول «إن الرب قال إنني لم أنس ما عمل عماليق بإسرائيل حين وقف العماليق في وجه إسرائيل لدى قدومهم من مصر ؛ فالآن اذهب يا شاول واضرب العماليق ولا تعف عنهم ، بل اقتل رجلا وامرأة طفلا ورضيعا ، بقرا وغنما ، جملا وحمارا» . الإصحاح الخامس عشر من سفر صموئيل الأول .

وهل نفذ الأمر شاول؟ نعم لقد أباد العماليق وقتل جميع المواشي . إنها سفسطات الأسر فقد كتبوا هذيانهم هذا وسموه التوراة وهم تحت سيات بختنصر يبنون له الجنائن المعلقة في بابل .

وها نحن نرى اليوم العماليق يقاتلون بشجاعة نادرة ويقدمون قوافل من الشهداء لتحرير فلسطين من رجس الصهيونية وستبقى فلسطين لسكانها

الكنعانيين وللمقاتلين العماليق . وهذا نموذج آخر من الهذيان الممجوج والسخف المرذول فالإصحاح التاسع عشر من سفر الخروج يقول إن الرب الذي هو «يهوه» نادى موسى قائلاً : «هكذا تقول لبيت يعقوب وتخبر بني إسرائيل أنتم رأيتم ما صنعت بالمصريين ، وأنا حملتكم على أجنحة النسور وجئت بكم إليّ ؛ فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب ؛ فإن لي كل الأرض ، وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة» . إن التوراة كتبت بين القرن الخامس والقرن الرابع قبل الميلاد على ضفاف نهر الفرات بعد أن ساق بختنصر زعماء هذه الطائفة والبارزين من أتباعهم أسرى إلى بابل وسخرهم في بناء الجنائن المعلقة في قصره فعكف على كتابة التوراة نفر من الكهنة ينحدرون من يهوذا بن يعقوب أحد الأسباط الاثني عشر ، لذلك سميت ديانتهم الديانة اليهودية وسمي المنتسب إليها يهوديا وقد حل الدال محل الدال والنطق متقارب بين الحرفين .

إن المبالغات المضحكة التي ساقها كتبة التوراة في كتابهم هذا الذي يحكي تاريخ بني إسرائيل تفوق كثيرا ما كان يقدمه النجمان الظريفان بيجو وأبو لمعة في الحفلات والبرامج التلفزيونية ، وما على المرء إلا أن يقلب صفحات هذه التوراة ويغرق في ضحك متواصل . لقد افتروا على موسى عليه السلام حين نسبوا إليه ما خطته أيديهم والله سبحانه وتعالى يقول ﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ، فويل لهم مما كتبت بأيديهم وويل لهم مما يكسبون ﴾ [البقرة : ٧٩] . ويقول الله تعالى في كتابه العزيز مفندا دعاوى كتبة التوراة بالانتساب إلى إبراهيم عليه السلام وإلى إسحق ويعقوب والأسباط فيما هم يفعلون ﴿ أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط

كانوا هودا أو نصارى قل أنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون* تلك أمة فددخلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون ﴿البقرة : ١٤٠ ، ١٤١﴾ .

ولقد استغربنا حين سمعنا أن قتالا اندلع قرب قبر يوسف أو قرب قبر أمه راحيل ويوسف مات في مصر ودفن فيها ، وأمها راحيل ماتت ودفنت هناك كذلك أبوه يعقوب وإخوته الأحد عشر ، فقد هاجروا إليها بطلب منه واستقروا فيها أكثر من أربعمئة سنة ؛ فمن أين كانت لهم القبور في فلسطين ؛ ومع ذلك أثبتوا في توراتهم أن يوسف قبر في فلسطين ، وكذلك أمه راحيل وأبوه يعقوب ، وغرضهم - وقد كتبوا التوراة بعد الأسر البابلي - التأكيد على أن لهم حقا تاريخيا في فلسطين ، وأن أجدادهم دفنوا فيها .

وحقيقة الأمر أنهم قدموا من مصر هاربين بعد تعاونهم مع المحتلين الهكسوس ، وحاولوا الاستيلاء على أرض فلسطين فدارت معارك بين أصحاب الأرض والغزاة استمرت وقتا طويلا حتى جاء إليهم بختنصر وهدم معبدهم وساقهم أسرى إلى بابل في منتصف القرن السادس قبل الميلاد فقتلتوا في كثير من أقطار الأرض .

أما تشدقهم بالصهيونية - وهي حركة عنصرية تشبه الحركة النازية - فمردده الرغبة في الانتماء إلى هضبة قرب أورشليم بنى عليها اليبوسيون سكان فلسطين الأقدمون قلعة عرفت بقلعة صهيون ، ولما جاء الكنعانيون من جزيرة العرب ، واختلطوا بقومهم اليبوسيين غيروا اسم العاصمة من ييوس إلى أورشليم ، وكان هذا قبل نزوح إبراهيم عليه السلام من العراق بقرون كثيرة .

والتأمل في سخافاتهم التي تملأ هذه التوراة يجد الاعترافات الصريحة بمقاومة الفلسطينيين الباسلة لغزو هؤلاء القادمين إلى فلسطين من الخارج ؛ ففي الإصحاح الثلاثين من سفر صموئيل الأول يقولون بالحرف الواحد «وغزا العماليق الجنوب وسبوا النساء ، ولم يقتلوا أحدا لا صغيرا ولا كبيرا بل ساقوهم ومضوا في طريقهم ووجد داود أن زوجته بين السبايا ولكن داود استطاع أن ينتصر على العماليق وينقذ السبايا وتعود إليه زوجته ثم يعود الفلسطينيون لمحاربة بني إسرائيل فتهرب إسرائيل من أمام الفلسطينيين وسقط بنو إسرائيل قتلى في جبل جلبوع واستعاد الفلسطينيون جميع المدن» .

وإذا كان هذا قد حدث أيام الملك داود فما الذي حدث أيام ابنه الملك سليمان يقول الإصحاح الحادي عشر من سفر الملوك الأول «إن الملك سليمان لم يعبد «يهوه» إله بني إسرائيل وإنما عبد آلهة الفلسطينيين الإله مولك أو ملكوم والإله كموش ، والإلهة عشتاروت والإله بعل تقريبا من الفلسطينيين أصحاب الأرض ؛ كما أنه لم يتزوج من البنات الإسرائيليات ، وإنما اختار زوجاته من الفلسطينيات واللبنانيات والمصريات ، وكان عددهن ثلاثمائة زوجة عدا العشيقات ، ومعنى هذا أنه انحاز نحو الفلسطينيين ، واندمج فيهم» .

ولو آمن بنو إسرائيل حين قدموا إلى فلسطين هاربين من مصر بأهمية الاندماج في المجتمع الفلسطيني ، ولم يخلقوا من خيالاتهم إلههم «يهوه» الذي تفرغ لهم وحدهم ورحل معهم وسكن بينهم وحارب من أجلهم وأمرهم بقتل الفلسطينيين والاستيلاء على أرضهم لكانوا اليوم جزءا لا يتجزأ من نسيج المجتمع الفلسطيني ولما قامت حروب تلك العصور ولا حدث ما حدث اليوم .

والأمل في هذه الانتفاضة العظيمة فقد تدفع الصهاينة الذين لا يمتون إلى الإسرائيليين بصلة المعروفين بالأشكناز إلى ترك الإقامة في فلسطين والرحيل إلى بلدانهم التي قدموا منها ليتجه بعد ذلك الإسرائيليون والفلسطينيون نحو إنشاء دولة موحدة في فلسطين تضم المسلمين والمسيحيين واليهود العرب المبرأين من عقد الاستعلاء الصهيوني وخرافات الحاخامات على نمط ما هو حاصل في لبنان ؛ فقد كان تقسيم فلسطين من أعظم جرائم هذا العصر .

القومية العربية والتحديات

من يقل إن الحماسة القومية مازالت كما كانت في الخمسينيات والستينيات فقد أخطأ ، وليس من متحمس لقضايا الأمة العربية من ينكر هذه الحقيقة ؛ غير أن هذه الحماسة المنتزعة من روح الأمة الواحدة مازالت موجودة ، وأكبر دليل على هذا أن الثورة الإيرانية حينما اغتنمت التخلخل القومي بعد زيارة أنور السادات للقدس ، وإبرام اتفاقية كامب ديفيد ووجهت جميع وسائل إعلامها للنهش في العروبة والقومية العربية من أول يوم تسلمت فيه السلطة ، مقدمة البديل الذي طرحته ورفعت شعاراته ألا وهو تصدير الثورة وولايه الفقيه ؛ فازداد الرفض العربي لخطاب الثورة الإيرانية ، ووقف العرب العقلاء في وجه تلك الشعارات التي أدت إلى حرب أكلت الأخضر واليابس على مدى ثماني سنوات .

إن القومية العربية لاتعني غير الإحساس بالحاجة إلى القوم ، وهذا الإحساس موجود لدى العرب منذ عصور الجاهلية حتى هذه الساعة ، ومهما اختلف العرب أو احتربوا فإن هذا الإحساس لا يفارقهم البتة .

لقد اعتقد أرباب النهج المتشدد في إيران بقيادة الخميني أن التهييج الإعلامي يكفي لإسقاط أنظمة الحكم المجاورة لهم غير مدركين أن الحس القومي في هذه البلدان يصعب قهره وتحجيمه ، وأن البديل الذي طرحته الثورة الإيرانية مرفوض لافي ديار العرب وحدها بل في جميع الديار الإسلامية ، ولم يجد قادة الثورة

الإيرانية من متنفس غير استدرج العراق إلى الحرب ، ولوبقي الجيش العراقي على حدود بلاده ، ولم يندفع في الأراضي الإيرانية صباح يوم ٢٢ / ٩ / ١٩٨٠ م لصان الدماء والثروات والتنمية ، ولجنب الدول المجاورة للصراع ذلك الإرهاق والتزف المادي الهائل ؛ غير أن حاكم بغداد خشي أن يؤدي التهييج الطائفي الهادر في وسائل الإعلام الإيرانية إلى سقوطه وسقوط حزبه المتفرد بالسلطة المطلقة منذ صيف ١٩٦٨ م فكان ما كان من أمر تلك الحرب الضروس .

ومن المهم أن أشير إلى محن أخرى اعترضت المد القومي قبل قيام الثورة الإيرانية ، ولعل من أهم تلك المحن موقف الاتحاد السوفيتي من القومية العربية ومناصرته المكشوفة للأحزاب الشيوعية في البلاد العربية ، وليس من عربي واحد يمكن أن ينسى هجوم خروتشوف على جمال عبدالناصر بعد قيام الوحدة بين سورية ومصر ؛ فقد اعتقدواهما أن الوحدة قد أضاعت عليه فرصة قيام حكم شيوعي في سورية برئاسة خالد بكداش ، وكانت القومية العربية في تلك الفترة تتلقى التجريح من ست عشرة محطة إذاعة بعد هزيمة الأعداء في معركة تأميم قناة السويس عام ١٩٥٦ م وهروب فلول الأحزاب المنحلة إلى أوروبا ، وقد كان لانحراف ثورة العراق عن النهج القومي الذي حدده لها الضباط الأحرار في العراق في تلك الفترة أثر كبير في مسيرة العمل القومي الذي قاده جمال عبدالناصر ؛ فتحول العراق من رديف للمسيرة القومية إلى عدو يؤجج التناقضات ويكيل السباب والشتائم في الإذاعات والصحف والتظاهرات ويسحب بالحبال الرافضين الردة الشيوعية الشعبية ؛ التي احتتم بالزعيم الأوحد عبدالكريم قاسم .

ولاشك في أن الحزب الشيوعي العراقي كان من أقوى الأحزاب الشيوعية في البلاد العربية ، وقد تأسس هذا الحزب على يد الرفيق بيتروف الذي نزل مدينة الناصرية في جنوب العراق عام ١٩٢٩م وكنيته لدى العراقيين في تلك المدينة أبو ناصر وهو روسي متخصص في الفكر الماركسي ، وقد فتح محلا لخياطة الملابس ؛ فتعلم على يديه في الفكر الماركسي يوسف سلمان وغالي الزويد ، ولما رأى أبو ناصر أن تلميذه يوسف سلمان يصلح للقيادة أرسله إلى موسكو للتخصص ، ولما عاد عام ١٩٣٧م تولى الإشراف على التنظيم الماركسي ورجع أبو ناصر إلى موسكو ، وقد انضم إلى يوسف سلمان أو فهد كما كان يعرف في العراق كثير من اليهود العراقيين .

ولانستطيع أن نهمل موقف الإخوان المسلمين من المسيرة القومية فقد اتخذ هؤلاء موقفا معاديا للباس فيه ولاإبهام لهذه المسيرة بعد اختلافهم مع عبدالناصر حينما حال دون وصولهم إلى كراسي السلطة عام ١٩٥٤م وقد زعم هؤلاء بعد نكسة حزيران عام ١٩٦٧م أن القومية العربية قد انهزمت ، وأن مواجهتهم قد اتجهت نحو الماركسيين والشيوعيين في البلاد العربية ، وما علموا أن القومية العربية لاتنهزم إلا بسلخ الإنسان العربي وارتدائه جلدا آخر مستوردا من إيران أو أفغانستان أو الاتحاد السوفيتي ؛ فالقومية العربية كما أسلفت لاتعني غير الإحساس بالحاجة إلى القوم وهذا الإحساس باق ما بقيت الأمة العربية .

والغريب العجيب أن يقف الإخوان المسلمون إلى جانب الشيشان المطالبين بالانفصال عن روسيا بحجة أن قومية الشيشان لا علاقة لها بالقومية الروسية فإذا كان هؤلاء يؤيدون القوميات في حق تقرير المصير فكيف ينكرون على العرب قوميتهم الضاربة في أعماق التاريخ ؟

إن نقد المسيرة القومية واجب ، وهو مفيد في الوقت نفسه ؛ غير أن التجريح لا يقنع أحدا ، وإطلاق النعوت المستهجنة عليها لا يطرب غير الشعبين ؛ فالقومية العربية بريئة من أخطاء بعض القادة العرب ؛ ؛ وإذا جاز محاسبة القومية العربية على أخطاء المتحدثين باسمها جاز لنا محاسبة الدين الإسلامي على المجازر الرهيبة التي يقترفها المتحدثون باسم الإسلام في الجزائر وصعيد مصر وفي أفغانستان وغير أفغانستان .

لقد كان الحس القومي يشتد بقوة منذ مطلع هذا القرن وقد أدى جمال السفاح خدمة - من حيث لا يدري - حينما علق على المشائق في دمشق وبيروت الطلائع القومية في أثناء الحرب العالمية الأولى ، فأدى عمله هذا إلى اندلاع الثورة العربية على الأتراك صيف ١٩١٦ م ، وفي هؤلاء الشهداء يقول جميل صدقي الزهاوي من قصيدة له :

على كل عود صاحبٌ وخليلٌ	وفي كل بيت رنةٌ وعويلٌ
رجالٌ عليهم من سنا الفضل رونقٌ	وللمجد فيهم غرةٌ وحجولٌ
مشوا في سبيل المجد يحذوهم الردى	وللحق بين الصالحين سبيلٌ
قبورٌ ببيروت وأخرى بجلق	تجرُّ عليها للرياح ذبولٌ
سرت روحهم تطوي السماء لربها	وما غير ضوء الفرقدين دليلٌ
لعمرك ليس الأمر ذنبا أصابه	قصاصٌ ولكن يعربٌ ومغولٌ

وما كادت الثورة تنتهي ويرحل الأتراك عن ديار العرب حتى ظهر تحد جديد للمسيرة القومية التي كان شعارها «الدين لله والوطن للجميع» تمثل في

هجرة اليهود إلى فلسطين تنفيذاً لوعده بلفور في خلق وطن قومي لهم في هذا البلد العربي العزيز ، وتبخر الوعد الذي ناله الشريف حسين من أصدقائه الإنجليز وهيمن الفرنسيون على سورية ولبنان ، وهيمنت بريطانيا على العراق والأردن وفلسطين ؛ فقامت الثورات في هذه البلدان ، وكان من أشدها ثورة الفرات عام ١٩٢٠م وثورة سورية عام ١٩٢٥م وثورة فلسطين عام ١٩٣٦م وحركة رشيد عالي الكيلاني في العراق عام ١٩٤١م ثم حرب فلسطين عام ١٩٤٨م وثورة ٢٣ يوليو في مصر وبعدها ثورة المغرب العربي ، وثورة الجزائر ، وثورة تونس ، وثورة العراق التي قضت على النظام الملكي عام ١٩٥٨م وجاءت بعدها ثورة اليمن بشطريه ، وكانت هذه الثورات تستمد العون من الشعوب العربية كافة ؛ فثورة ٢٣ يوليو في مصر وهي أم الثورات سيطرت على قلب الإنسان العربي وفكره وضميره ، وكان معها في كفاحها العادل في أثناء تأميم قناة السويس وبعد نجاح التأميم وساندها في جميع تلك المواجهات الشهيرة ؛ أما ثورة الجزائر فقد تردد صداها في الضمائر العربية من الخليج إلى المحيط ، وهكذا كان الحال في جميع ثورات الاستقلال ولاغرو في ذلك فهاهي قضية فلسطين قد سلبت اهتمام العرب كافة منذ نهاية الحرب العالمية الأولى حتى هذه الساعة وكم من الشهداء العرب سقطوا على أرضها الطاهرة مشاركين إخوانهم الفلسطينيين في ميادين الشرف والفداء .

والعرب الواعون ذوو الأفهام السليمة يدركون كم تحملت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م من أعباء حين نهضت لتخليص الأقطار العربية من الاستعمار ، وكم بذل المؤمنون بالأمة والوطن من تضحيات ؛ فقوافل الشهداء في العراق بعد

انحراف ثورة ١٩٥٨م يعدون بالآلاف ، وكان المد الشيوعي الشعبي يتخطف القوميين بالحبال ، ويعلق النساء على أعمدة النور ؛ ثم جاء بعد هذا الحكم من ادعى العروبة وتغنى بالقومية العربية غير أنه لم يترك قوميا واحدا خارج السجون والمعتقلات فمن كان رافضا لهيمنة صدام وحزب صدام فهو رجعي متآمر ناهيك بالقوافل البريئة التي ساقها إلى ساحات الإعدام ثم التفت أخيرا إلى التضامن العربي فجر الثاني من أغسطس ١٩٩٠م وسدد إليه طعنة نجلاء في الظهر ، وترك التغني بالعرب والعروبة وردد شعارات الجهاد ليخدع من يتحدثون بسداجة في قضايا الإسلام والمسلمين .

أفتحاسب القومية العربية على ما أصابها من عبث العابثين وفجور المارقين ونذالة الصغار المخربين أم أننا جميعا مطالبون بالوقوف في وجه الانحراف والفجور والتخريب؟! !

إن القومية لفظة مشتقة من القوم ولا يستطيع أي مكابر أن يزعم أن العرب ليسوا بقوم ، وهم بعد هذا يشعرون بالحاجة إلى التضامن شأنهم شأن الشعوب الأخرى ، وليس من شعب في هذه المعمورة يرضى أن يكون بلا قومية ، فجميع شعوب الأرض لها قومياتها ، وقد ناضل العرب منذ مطلع هذا القرن للحصول على الاستقلال وهم يستلهمون مشاعرهم القومية ، ولم يكسب شعب من شعوب الأمة العربية الحرية والاستقلال إلا بفضل التضامن العربي المستمد من الشعور بالحاجة إلى القوم ، وجامعة الدول العربية التي يركض القادة العرب إليها في الملمات ويقصدها وزراؤهم للتشاور والتنسيق مشروع قومي جليل ، وهو مطالب بتحقيق ما يجب تحقيقه للقرن القادم ؛ ثم إن الكويت لم تنقذ من

احتلال صدام إلا بفضل الغطاء العربي ويكفي أن تقف الدول العربية القوية
المؤثرة إلى جانب الكويت وتشارك مع قوات التحالف في حرب التحرير .

وليعلم من يريد أن يعلم أننا في عصر القوميات والتكتلات ونظرة عجلية
على القوميات التي رفضت استمرار هيمنة روسيا تكفي لإقناعنا بأهمية الخطاب
القومي لإيقاظ الشعوب العربية ، ولا يجوز والحالة كذلك أن تسدد السهام نحو
القومية العربية إلا إذا كنا لانريد لهذه الأمة أن تنتصر في كفاحها العادل وتحتل
المكانة اللائقة بها وتاريخها بين شعوب العالم المتحضر .

العرب وكارثة آب

في كل آب - أغسطس - بعد الغزو الغادر نصاب بذهول يمنعنا من التفكير ، ويحول دون التناسي مهما بذلنا من الجهد ، فلقد كان ذلك العدوان فوق التصور ، وكانت مجازره وآثامه فوق الاحتمال ويزيد الطين بلة تذكرنا ما حدث في اجتماع القادة العرب بمبنى جامعة الدول العربية حينما صوتت أكثرية القادة على وجوب خروج القوات العراقية من الكويت دون إبطاء ، وتحفظ الموالون للعدوان والمتخاذلون على القرار وطالبوا بوجوب البحث عن حل عربي كأنما القرار الذي وافقت عليه الأكثرية ليس بحل عربي يحول دون اندلاع حرب رهيبة مدمرة ، وظهر للعيان الانقسام العربي في قضية لا يجوز فيها الانقسام في ذلك الاجتماع الذي تكشف فيه جميع الأوراق . وعلى الرغم من ذلك كله فقد وقفت الأسرة العربية الكبيرة بدولها ذات القدرة الفاعلة المؤثرة إلى جانب الكويت فكانت جمهورية مصر العربية والمملكة العربية السعودية ، والجمهورية العربية السورية في مقدمة الدول المتصدية لذلك العدوان ؛ ومعنى هذا أن أكثرية العرب لم يفقدوا الرؤية الصحيحة في ذلك الامتحان العسير ، وبرهنوا بما لا يدع مجالاً للشك أنهم أمة لها وزنها بين جميع أمم الأرض .

والمتشكك في كون العرب أمة ينسى أنه لم يكلف نفسه الإمعان في المقومات المتوافرة في شعوب الأمة العربية من الخليج إلى المحيط ؛ تلك المقومات

التي جعلت هذه الشعوب أمة واحدة تفرح لدى المكاسب وتتألم وتحزن لدى النكسات والمصائب ، والمشكك أو المتشكك يريد أن يقول إننا لا نستطيع أن نتحمل أكثر فيكفي ما تحملنا منذ حرب ١٩٤٨م حتى هذه الساعة ؛ فنحن لا نريد منكم أن ترددوا في خطبكم ومقالاتكم أن الريادة والقيادة لهذا البلد الذي تحمل الكثير . والذي يهمني بادئ ذي بدء أن أعرف معنى الأمة ثم لننظر هل العرب أمة من أمم هذه الأرض أم أنها شعوب شتى تتكلم العربية كما ورد في زعم بعض المشككين والمتشككين بعد أن اصطدمت مسيرة السلام بالتعنت الإسرائيلي المرفوض؟

إن كل طائفة من بني الإنسان أو الحيوان أو الطير جاءت على شاكلة واحدة أمة من الأمم ، وقد أكد هذا البارئ عز وجل في كتابه الكريم فقال : ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمة أمثالكم﴾ [الأنعام : ٣٨] . فالنمل أمة والنحل أمة كذلك والعصافير والحمام والصقور والأسود والفيلة وما إلى ذلك . ومن البشر الصينيون والهنود والعرب وشعوب جميع القارات فمادامت الشاكلة واحدة تنتظم العرب من الخليج إلى المحيط فهم أمة واحدة ، وتتجلى هذه الشاكلة في اللغة والثقافة والدين والتاريخ والعادات الأساسية والتقاليد المشتركة ، والآلام والأمال ومن الخطأ أن نؤسس التشكيك على لهجات الشعوب العربية المتباينة ؛ فتعدد اللهجات موجودة في الشعب الواحد في جميع أنحاء الأرض ، ومصر على سبيل المثال لا الحصر تحظى بأكثر من لهجة ، ولا يستطيع أحد أن يجعل من تعدد اللهجات في الشعب المصري منطلقا للطعن في تماسك الشعب ووحدته ووحدة أماله وأهدافه ، ولا ننسى أن التشكيك في أمر هذه الأمة العربية لا يخدم غير أعداء العرب ومن الخطأ الجسيم أن نردد ما يريده

الأعداء ، ونحن نعلم تركيبة العدو الصهيوني المؤلف من أمم شتى كالأحباش والهنود والعرب والروس والبولنديين والأمريكيين والرومانيين إلى ما هناك من السلالات والأعراق ؛ ومع ذلك فقد اكتفى هؤلاء بمظلة التوراة وزعموا أنهم أمة ذات خصائص معروفة .

وليس من الصواب أن ننسى أن هذا التشكيك في أمر الأمة العربية ما كان له أن يظهر لولا تداعيات العدوان العراقي الغاشم على الكويت صيف ١٩٩٠م ؛ فلولا تلك الكارثة المروعة التي أحدثت شرخا عظيما في التضامن العربي لما عانينا ما عانينا من صلف ننتياهو وغرور الخاخامات المتعصبين ، واهتزاز الصورة العربية في عيون بعض الكتاب ممن عرفناهم في مقدمة المدافعين عن الأمة العربية ، ولما قرأنا بين حين وآخر اجتهادات متسرعة حول العروبة والقومية والأمة العربية بعد أن سكنت تلك الأصوات المنادية باستعمال اللهجات واعتماد الحرف اللاتيني في الكتابة بقيام ثورة الضباط الأحرار في مصر في الثالث والعشرين من يوليو ١٩٥٢م وسقوط الملكية الأجنبية ، ورحيل الاستعمار .

إن الكيانات العربية المتعددة لا تمنع كون العرب أمة واحدة ولقد كانت هذه الكيانات كيانا واحدا له صولته العظيمة ودولته المهابة الخطيرة ، وإذا كان العرب اليوم بهذه المثابة فليس هناك ما يمنع اتحادهم في قابل تحت ما يسمى بالكونفدرالية . فليس من المنطق في شيء أن ينحصر تعريف الأمة في حالة تماسك جماعة من البشر واتحادهم في نظام واحد وزوال هذا التعريف حينما يصيبهم الانقسام والتشردم ؛ وإلا لفقدهم الفرنسيون صفة الأمة بعد انقسامهم في أثناء الحرب العالمية الثانية ، وفقدت ألمانيا هذه الصفة بعد التقسيم وسقوط النازية .

فالعرب والحالة هذه لم يروجوا لوهم عاشوه طويلا ثم صدقوه وزعموا أنهم أمة وهم ليسوا كذلك .

لقد ظهرت الأمة العربية قوية متماسكة أيام الفتوحات وقيام الإمبراطورية العربية القوية وظهرت في هذا القرن متماسكة أيضا وتجلت ذلك حينما أقدم عبدالناصر على تأميم قناة السويس فقد وقفت إلى جانبه جميع الشعوب العربية من الخليج إلى المحيط ، والتهبت حماسها القومية حينما غزا الإنجليز والفرنسيون واليهود قناة السويس لإبطال التأميم خريف ١٩٥٦م وقد رأينا هنا في الكويت شيوخا طاعنين في السن يحتضنون الراديو في الليل ويستمعون لصوت العرب وهو يردد نشيد (الله أكبر فوق كيد المعتدي) ؛ وهكذا كان العرب في صحاريهم وحقولهم وجبالهم ووديانهم ومدنهم وقراهم يتابعون ذلك الغزو الأثم ويدعون لمصر بالنصر المبين ، ولم يتأخر الشباب العربي عن التطوع لقتال المعتدين في ساحة قناة السويس ، ولم تجد الدول الكبرى وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية غير الوقوف في وجوه المعتدين ومطالبتهم بالخروج من الأراضي المصرية .

وفي ثورة الجزائر هبت الأمة العربية ترفد تلك الثورة بإيمان لا يتزعزع بالمصير الواحد ، ونحن هنا في الكويت - وكنا تحت الحماية لم نل الاستقلال بعد - قدمنا أكثر مما نستطيع وتغنى شعراء الكويت بتلك الثورة وفرض الشيخ عبدالله السالم ضريبة على تذاكر السينما لمساعدة الثورة الجزائرية .

أما ثورة فلسطين فقد احتلت قلوب العرب جميعا منذ اندلاعها عام ١٩٣٦م ، وكان الكويتيون يتسابقون في مساعدة هذه الثورة بالمال والسلاح ، وما زالت هذه القضية الشغل الشاغل لجميع العرب والمسلمين .

ثم ما الذي طلبته القيادة السياسية الفاعلة المؤثرة اليوم من العرب ولم تحصل عليه؟ إن العرب على استعداد لأن يسيروا خلف هذه القيادة ويمنحوها من الدعم ما تريد لأنهم يعلمون أن هذه القيادة لن تستسلم لضغط الغزاة وأسياد الغزاة والحقوق العربية في فلسطين تستند إلى قرارات مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة؛ فهي غير قابلة للعبث والانتقاص .

ونحن حين نطلق صفة القائدة الرائدة على أكبر دولة عربية في الوطن العربي كله فإننا لا نطلقه جزافا ولا رغبة في التوريط وإنما نطلقه اعترافا بما قدمت هذه الدولة من توضيحات دخلت التاريخ من أوسع الأبواب ، ونؤكد بكل صدق أننا لا نريد أن تتحمل هذه الدولة القائدة الرائدة أعباء المعارك وحدها ؛ فيكفي ما تحملت في الماضي من أعباء من أجل فلسطين وفي سبيل تحرير كثير من الأقطار العربية .

إن معركة تحرير الأرض العربية في فلسطين وفي الجولان ولبنان معركة عربية ؛ وعلى العرب كافة أن يقدموا من أجلها ما يستطيعون وفوق ما يستطيعون ، ومن الإثم والظلم معا أن نطلب من دولة عربية واحدة أن تتحمل أعباء المواجهة لانتزاع الحقوق من أفواه الغزاة الطامعين .

لقد كنا نمني النفس بأن يقوم العراق بواجبه نحو قضية القدس وتحرير الأرض الفلسطينية وكنا في خندقه حين اتهم بامتلاك أسلحة متطورة ؛ فإذا به يقتحم جزيرة العرب في الثاني من أغسطس ١٩٩٠م تاركاً طف سفوان أو مرتفع سفوان خلفه وسفوان هو الحد الفاصل بين العراق والزاوية الشمالية الشرقية من جزيرة العرب المعروفة اليوم بدولة الكويت ، وطف سفوان أو مرتفع

سفوان جاء ذكره في الكامل لابن الأثير في الحديث عن معركة ذي قار حينما كان قيس بن مسعود الشيباني مسئولاً عن هذا المرتفع المعروف بطف سفوان إذ طلب منه كسرى منع القبائل العربية من اجتياز هذا الطف كي لا تنجد قبيلة بكر بن وائل .

ومن المحزن والمؤلم معاً أن يستهدف الغدر دولة الكويت هذه الدولة التي وقفت إلى جانب العراق ثماني سنوات في أثناء منازلته إيران غير عابئة بالخسائر والتضحيات الجسيمة وغير مهتمة بالتخريب والتفجير ووقوف المتعصين إلى جانب إيران . لقد رفضنا رفضاً قاطعاً الاعتقاد أن العراق يخطط لغزو الكويت ؛ فقد كنا مبهورين بالثناء المتواصل الذي يكيه صدام ورفاقه للكويت معلنين على رؤوس العباد أن فضل الكويت قد طوق عنق كل عراقي مدى الحياة ، وجاء الإعلان القومي الذي أذاعه صدام حسين في الثامن من فبراير ١٩٨٠م ليزيدنا ثقة وطمأنينة تجاه هذا الشقيق الجار والمادة الثانية من الإعلان تكفي لإزالة أي شك في نيات الزمرة الحاكمة في بغداد وهاهي كما جاءت في ذلك الإعلان :

* تحريم اللجوء إلى استخدام القوات المسلحة من قبل أية دولة عربية ضد أية دولة عربية أخرى ، وفض أية منازعات يمكن أن تنشأ بين الدول العربية بالوسائل السلمية وفي ظل مبادئ العمل القومي المشترك ، والمصلحة العربية العليا .

ومبادئ هذا الإعلان القومي كما سماه صدام حسين تقع في ثمانية بنود أهمها البند الذي أشرنا إليه .

وقد أعاد صدام حسين قراءة هذا الإعلان من إذاعة وتلفزيون بغداد قبيل

العدوان الغاشم على الكويت بفترة وجيزة وشرح المادة الثانية منه قائلا : فلو أن جيش العراق وجه سلاحه نحو أية دولة عربية لوجب على العرب جميعا أن يهبوا لردع جيش العراق ، وما علمنا مع الأسف الشديد أن ذلك لم يكن إلا تخديرا وبثا للطمأنينة في نفوس أبناء الكويت ليهجم بعد ذلك في ليل أليلٍ ويقتل وينسف ويهدم ويحرق ويدمر ويسرق وينهب ويأسر ويعذب ، ويرفض بعد هزيمته النكراء أن يفك قيد الأسرى الكويتيين رغبة منه في أن نبقى نتذكر بألم وحزن عميقين جريمته الرهيبة المفزعة .

ومع كل ما حدث على هوله وبشاعته ، وعلى الرغم من الجروح التي تنزف والعباب الذي تعلقه آلاف الأسر الكويتية على الأسرى والمحتجزين فإن إيماننا لن يتزعزع بقدرة الأمة العربية على النهوض من جديد ، وإن الأصوات التي تزعم أن العرب شعوب تتكلم العربية وليست أمة كسائر الأمم أصوات ضائعة غير ذات تأثير .

ولاشك أن التصدع الذي أصاب التضامن العربي قد جنى على إيمان كثير من الكتاب والفنانين العرب بالعروبة والقومية والأمة ، واختلطت على بعضهم الأمور فأخذوا يتحدثون في موضوع وهم يقصدون موضوعا آخر ؛ وهذا ما لمست في المقابلة التلفزيونية للممثل العربي الشجاع عادل إمام ؛ إذ قال مساء الثلاثاء السابع والعشرين من مايو المنصرم من قناة دبي الفضائية «إني لأخشى أن نترك سورية تقاتل وحدها لانتزاع الجولان من العدو الصهيوني ؛ فالحالة التي وصلنا إليها لا تسر ؛ ثم أردف قائلا : لقد عشنا أحلام القومية العربية في الخمسينيات أما اليوم فقد أصبحت القومية العربية كابوسا مخيفا» .

ولا أدري ما علاقة القومية العربية بأحلام الوحدة ؛ ففي تلك الفترة كانت أحلام الوحدة تتردد في بعض الإذاعات ليس غير وقد عصفت بأحلام الوحدة الحكم الشمولي قبل أن يعصف بها الضباط الانفصاليون ، وها نحن نتصدع بفعل حكم شمولي أرعن تغنى أيضا بالوحدة ، وأقدم على ما أقدم عليه من تدمير وتخريب في الثاني من أغسطس ١٩٩٠ م ، لذلك أصبح الحديث عن الوحدة ضربا من الهذيان . أما القومية العربية فليست كابوسا والخلط بينها وبين الوحدة العربية خطأ فادح ؛ فلقد كانت القومية العربية منذ الجاهلية حتى هذه الساعة لا تعني غير الحاجة إلى القوم ، والشعور بالحاجة إلى القوم من أجل التضامن مستمر وباق ويشتد في المحن والشدائد . ومن هذا ندرك أن كثيرا من الناس وإن كانوا كتابا كبارا أو فنانيين لهم منزلتهم الرفيعة بين جماهير أمتنا العربية لا يفرقون بين الآمال في الوحدة العربية وبين القومية العربية الداعية إلى التضامن واحترام حقوق الإنسان ورفض التسلط والحكم الشمولي وصد نزوات الطغاة المستبدين .

والأمل بعد ذلك أن يعود آب أغسطس في السنة المقبلة وقد عاد الأسرى والمحتجزون الكويتيون إلى وطنهم وأهلهم سالمين ، ولا عاش الجهلة المخربون أعداء العروبة والقومية والتضامن .

بعض ما يجب أن يقال

يحل ضيفا على الكويت ذو الرئاستين الصديق الجليل الشيخ عبدالله بن حسين بن الأحمر رئيس قبائل حاشد ورئيس مجلس النواب اليمني ، والرجل ذو مكانة ممتازة في قلوب جميع أبناء الجزيرة العربية ؛ فمواقفه الشجاعة في أثناء محنة الكويت لا تنسى ؛ فقد أدرك منذ الساعات الأولى للغزو العراقي الغاشم أن ما حدث كارثة أصابت التضامن العربي في النصميم ، وسابقة مرعبة تهدد الاستقرار في جميع الأقطار العربية ، ولم يكن الشيخ عبدالله الأحمر حينئذ رئيسا لمجلس النواب ؛ فقد حدث العدوان العراقي بعد قيام الوحدة بين شطري اليمن بشهرين اثنين باجتماع المجلسين في العاصمة صنعاء وكان الشيخ الجليل يجمع حوله الأنصار لإعلان قيام حزبه الذي أصبح الحزب الثاني بعد الحزب الحاكم ، ومع ذلك فقد كان صوته وصوت حزبه قويا في استنكار تلك الجريمة ورفض موقف السلطة ، والتنديد بجميع الأصوات الخزية التي حاولت الدفاع عن الجريمة ، وإن نسيت لا أنسى استقباله لي في منزله حينما زرت المسؤولين في صنعاء بعد الغزو الفاجر بأيام لاستكشاف الموقف ، وما سمعته منه من رفض شديد لذلك الطغيان ثم جاء قدومنا إلى صنعاء في ديسمبر بعد صدور قرار مجلس الأمن بطرد جيش الطغاة من الكويت بالقوة ، وكانت وليمته التي أقامها للوفد الشعبي الكويتي الفريدة في اليمن كلها فقد زاد عدد المدعوين للغداء على الألف .

إن هذا الرجل يؤمن إيماناً لا يتزعزع بوحدة الجزيرة ويتطلع نحو اليوم الذي
يقام فيه نوع من التوحيد بين دول الجزيرة العربية السبع ، وهو يحمل بين جانبيه
روحا عربية نبيلة مبرأة من عقد التفاخر الذي قضى على هبة العرب وسلطانهم
في العصر الأموي والعباسي والأندلسي حينما أجاج أعداء العرب العدوارة بين
النزاريين العدنانيين وبين القحطانيين اليمنيين فاضطربت الأمصار وانحرف
السلاح عن الأعداء ليصيب أبناء الأمة الواحدة ؛ فالشيخ يعلم أن الإسلام لم
ينتصر على كفار قريش في الحجاز إلا بفضل الله وبتضافر المهاجرين والأنصار
والتفافهم حول الرسول الكريم وجل المهاجرين كما نعلم من النزاريين
العدنانيين وجل الأنصار من القحطانيين اليمنيين وبعد ذلك زحف قادة القبائل
اليمنية طائعين مختارين إلى المدينة وأسلموا على يد رسول الله وعادوا ينشرون
الإسلام في ربوع اليمن ، وفي الفتوحات تشابكت أيدي القحطانيين والنزاريين
العدنانيين وساروا يقتحمون الأمصار حتى دبت الفتنة بينهم ، وكان ما كان من
اضطرابات وقلقل وانهايار .

واليوم لا يستطيع أن يزعم قحطاني في صنعاء أو عدن أو حضرموت أن
اليمن للقحطانيين وحدهم ، فالقبائل العدنانية في كل مدينة وكل قرية وهي
ذات أثر ونفوذ كما لا يستطيع نزارى واحد في الرياض أو مكة أو غيرها من مدن
المملكة العربية السعودية أن يزعم أن شمال الجزيرة للنزاريين العدنانيين
وحدهم ؛ فالقبائل اليمنية تملأ المدن والقرى والواحات في كل مكان من دول
مجلس التعاون ؛ فالجزيرة وعاء للقبائل النزارية العدنانية وللقبائل القحطانية
على حد سواء ، وإذا كان ذلك كذلك أيحق أن يمنع العمل عن ابن الجزيرة

العربية في جزيرته العربية لينعم به الأجنبي مهما كانت الأسباب والملابسات؟
فالشعوب لا تعاقب على مواقف القادة ورحم الله شوقي حين قال :

أَحْرَامٌ عَلَى بِلَابِلِهِ الدَّوْحُ حَالِلٌ لِلطَّيْرِ مِنْ كُلِّ جَنْسٍ؟

ويعتهدى الصدق والصراحة والوضوح أقول إن دول الجزيرة العربية السبع
بين أمرين اثنين إما الدخول في تكتل يضمن لها القوة ويدراً عنها الأخطار
ويؤهلها لدخول الألفية الثالثة وإلا فلتبق على ما هي عليه من تشرذم ، وضعف
وقلق وخوف وابتزاز ويقيني أن المملكة العربية السعودية قائدة هذه الدول السبع
تستطيع أن تدفع الجميع إلى نوع من التكتل إن بذلت ما ينتظر منها من جهد
وتعب وصبر واحتمال .

- ٢ -

الكرة الآن في الملعب السوري ؛ هذا ما قاله الرئيس الأمريكي بعد أن قدم
للرئيس الأسد مطالب إسرائيل ، وبعد أن فشل الاجتماع في جنيف ، والرئيس
الأمريكي معذور فأصوات اليهود في أمريكا يحسب لها ألف حساب في
الانتخابات وكليتون حريص على كسب هذه الأصوات لنائبه المرشح للرئاسة
آل جور ، وبقي موقف الأسد من حق الشعب السوري في أراضي المحتلة ومياهه
المغتصبة وموقف الأسد معروف في جميع البلاد العربية والأجنبية ومن
المستحيل أن ترقع سورية قلعة النضال والكفاح والإباء العربي للابتزاز
الصهيوني ؛ فهذه العصابات القادمة من جميع بقاع الأرض بقومياتها المختلفة
ولغاتها المتباينة لا تريد السلام ، وإنما تريد التوسع على حساب الآخرين .

ومن واجبنا أن نقول للأمريكيين يجب عليكم أن تخفوا هيامكم بأحبابكم

الصهاينة إن كنتم تودون مواصلة الجهود لحمل إسرائيل على الانسحاب من الأراضي العربية التي احتلتها عام ١٩٦٧م تنفيذا لقرارات مجلس الأمن الدولي أو ابتعدوا إن كنتم غير قادرين على إخفاء هذا الهيام .

-٣-

منذ شهر أو أكثر دعيت لإلقاء محاضرة بقسم الإعلام بكلية الآداب عن مجلة كاظمة التي أصدرتها صيف ١٩٤٨م مع المرحوم عبدالحميد الصانع مدير بلدية الكويت في ذلك الحين ، وقد نشر ملخص للمحاضرة غير دقيق ، وفي مساء الأربعاء الماضي أقيم تأبين لعبدالرزاق البصير في رابطة الأدباء ؛ فجاء في كلمة الأستاذ عبدالله خلف شيء عن مجلة كاظمة ؛ فرأيت أن أنشر نبذة عن هذه المجلة التي دخلت التاريخ لكونها أول مجلة صدرت وطبعت في الكويت .

ففي أواخر عام ١٩٤٥م فكرت في تنشيط الحركة الأدبية فدعوت إلى ندوة أدبية في منزلي وكنت مدرسا في المدرسة الشرقية فعقدت الندوة مساء خميس بعد صلاة العشاء وبعد تناول العشاء تحدث من تحدث في موضوع من الموضوعات الأدبية ثم تبارى كرام القوم في دعوة الحاضرين مساء كل خميس وجاء من ينصح بضرورة الرقابة على الكلمات فقد نقل عن الندوة أنها تتطرق إلى بعض الأمور ، ولما تأكد عندي أن الرقابة في غاية الصعوبة أعلنت وقف الندوة بمناسبة حلول فصل الصيف وكان ذلك في حزيران ١٩٤٦م وأخذت أفكر في وسيلة أخرى لتنشيط الحركة الأدبية ، وذات مساء من شهر سبتمبر من العام نفسه التقيت المرحوم مرزوق فهد المرزوق في السوق وكان عائدا من الجامعة الأمريكية ببيروت لقضاء أيام بين أهله فأخذنا نتحدث في موضوعات

شتى حتى جاء ذكر الندوة الأدبية المتنقلة المتوقفة ، وكان يتابعها من بعد ؛
فطرح عليه فكرة النادي الأدبي فرحب بالفكرة وأبدى استعداداه لوضع
ديوانيته تحت تصرفنا حتى نجد المكان المناسب وما هي إلا أيام حتى عقد اجتماع
ضم أكثر من خمسة وعشرين شابا في ديوانية مرزوق فهد المرزوق فتدارسنا
الفكرة من جميع جوانبها وانتخب الحاضرون بضعة نفر للسير بالمشروع إلى
الأمم كنت واحدا منهم غير أن ذلك الحلم لم يتحقق وادعى بعضنا أنه مرهق
بالعمل اليومي ولا فراغ لديه ، وفي مطلع عام ١٩٤٨م وصلت مطبعة بدائية
مستهلكة من البصرة اشتراها المرحوم أحمد البشر وحمود المقهوي لطبع
المستلزمات التجارية وحين علمت بوصولها قصدت المرحوم عبد الحميد الصانع
مدير بلدية الكويت وعرضت عليه فكرة إصدار مجلة أدبية ثقافية عامة فرحب
بالفكرة وطلب مهلة لمناقحة الأمير ، وكان من جلسائه ، وبعد أسبوعين بعثت إليه
بصديقي المرحوم عبدالصمد التركي لتذكيره ، فعاد إلي وقال إنه سيكون لديك
هذا المساء ليشرّب الشاي معك وتعلم منه الموافقة على المشروع ، وحضر
الصديقان أبو عبداللطيف عبد الحميد الصانع وأبو عبدالأمير إلى منزلي بعد
صلاة المغرب وتدارسنا أبواب المجلة وغلافها واسمها وطلبت من أبي عبدالأمير
عبدالصمد تركي أن يكون مديرا للتحضير فوافق وتجمعت المقالات اللازمة للعدد
الأول وحينما بدأ الطبع سافرت خارج البلاد لمدة يومين وعدت فوجدت المجلة
مطبوعة مهياً للتوزيع وفيها تقديم مدير التحرير على رئيس التحرير فعاتبته
عبدالصمد رحمه الله فأقسم أنه خطأ مطبعي لجهل العامل وقدم استقالته وأصر
وبقي من كتابها صديقا لم يتغير ، وحملت وحدي العبء مع عملي في
التدريس وطلب مني شريكي رحمه الله أن أثبت على المجلة الشركة التي بيننا

فصدرت المجلة وهي تحمل : صاحبها ثم اسم عبد الحميد الصانع واسمي ، وفي افتتاحية العدد الثامن تناولت فيما تناولت قضية فلسطين بشيء من القوة فجاء المرحوم عبد الحميد الصانع إلى مكتبة الخليج وأنا موجود فيها وهمس قائلاً المقال سياسي سياسي والمجلة غير سياسية لابد من الاعتذار وانصرف ولم أفهم ما يريد وصدر العدد التاسع ولم يحمل أي شيء يوجب وقف المجلة ، وتوقفت كإظمنة وهي مجلة شهرية بعد تسعة أشهر من حياتها القصيرة .

- ٤ -

الفرسان الثلاثة الذين اعتدوا نهاراً جهاراً على الفتاة وهي خارجة من كليتها بعد الدرس في حولي أرادوا أن يقدموا «بروفة» صغيرة متواضعة لعمليات قادمة في طول البلاد وعرضها ؛ فهم قد سمعوا دون شك أن مثل هذا الإرهاب يمارس في أفغانستان تحت حماية طالبان ومباركة أسامة بن لادن ، فيحوز أبطاله هناك على التقدير والتشجيع كما أن الأشاوس في الجزائر لا يكتفون بقص شعر النساء وإنما يغتصبونهن ويدبحونهن بعد ذلك باسم الإسلام والغيرة عليه .

والمهم أن تتحرك الحكومة ويتحرك المجتمع كله قبل فوات الأوان ، فنحن لا نريد أن نقول ما قاله الشاعر :

مَحَضَّتْهُمُ نَصْحِي بِمَنْعَرَجِ اللَّوَى

فلم يستبينوا النَّصْحَ إِلَّا ضُحَى الْعَدِ

حول المناظرات والتصريحات

* حينما هذى طارق عزيز هذيانه الزاعم بأن الكويت قد أنشأها الإنجليز لمحاصرة العراق ضربت كفاً بكف وقلت لا حول ولا قوة إلا بالله ؛ إن هؤلاء الجهلة إما أنهم لا يعرفون التاريخ وإما أنهم يعرفونه ويصرون على الكذب والافتراء والتزييف وفي كلتا الحالتين لا يعذرون .

فالكويت برزت على رمال ساحل الخليج العربي ، واحتلت الزاوية الشمالية الشرقية من جزيرة العرب أوائل القرن السادس عشر وكانت تسمى القرين ، ومن اعتقد أن الكويت ظهرت في منتصف القرن الثامن عشر فقد خلط بين وجود الكويت وظهور الأسرة الحاكمة التي تولت مقاليد الأمور في هذا التاريخ بعد فشل أمراء بني خالد في إدارة شؤون البلاد ، وفي هذه الفترة التي ظهرت فيها إمارة بني خالد التي عرفت بالقرين ثم تحول اسمها في مطلع القرن الثامن عشر إلى الكويت كان العراق مسرحاً لمعارك طاحنة بين الصفويين والأتراك انتهت بهزيمة الشاه الصفوي ، وتفرد الأتراك بحكم العراق حتى نهاية الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨ م ، وبعملية حسابية متواضعة يجد القارئ اللبيب أن العراق ظل جزءاً من الإمبراطورية الفارسية منذ دخول الملك كورش مدينة بابل عام ٥٣٩ قبل الميلاد حتى وقعت معركة القادسية بقيادة سعد بن أبي وقاص عام ٦٣٦ ميلادية ، وفيها أنقذ أسود الجزيرة العربية العراق من استعمار

فارسي دام ألفا ومائة وخمسا وسبعين سنة ، وأصبح العراق جزءا من الخلافة العربية الإسلامية حتى تفككت هذه الخلافة واستولى شاه إيران الصفوي على العراق فترة وجيزة ثم اندحر أمام الأتراك ، وظل العراق بأيدي هؤلاء الغزاة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى .

ومعنى هذا أن ظهور الكويت لم يصادف كيانا سياسيا مستقلا للعراق ، ولم يصادف أيضا وجودا للإنجليز في الخليج العربي فقد تسلل في القرن السادس عشر جزء من الأسطول البرتغالي إلى عمان وبعض أطراف الخليج العربي فنازله العمانيون بشجاعة نادرة وهزموه في أكثر من معركة وأنجدهم القرين - اسم الكويت القديمة - والبحرين وإمارة خرج وقطر ودبي وخورفكان ورأس الخيمة كما يقول الأديب العماني المرحوم عبدالله الطائي في كتابه «الشرع الكبير» أما في التاريخ القديم فقد كونت أرض الكويت والأحساء والبحرين مملكة ديلمون ، وكان للسومريين دولتهم في جنوب العراق

* وفي القناة الفضائية الكويتية قالت إحداهن إنها لا تحب أن تنتسب إلى العرب ، وتبرأ من العروبة لأن العرب لم يهبوا من أول يوم للغزو الأثم إلى طرد جيش صدام حسين ، واني لأستغرب ورود هذا الكلام من سيدة أو فتاة كويتية فالدول العربية ذات الوزن الفاعل المؤثر قد وقفت بقوة إلى جانب الكويت ، ولولا الأراضي السعودية الشاسعة التي استقبلت قوات التحالف ، ولولا جيوش مصر وسورية ودول مجلس التعاون وفي مقدمتها المملكة السعودية لما استطاعت قوات التحالف خوض حرب خاطفة قصمت ظهر العدوان والطغيان .

ولنعلم جيدا أن دول التحالف ما سارعت إلى ذلك الموقف إلا حفاظا على مصالحها الضخمة في المنطقة وردعا لمغامرة مجنونة لو تركت دون عقاب لساد طغيان الكبير على الصغير في جميع أرجاء المعمورة ، ولقضي على السلام والأمان وأصبحت البشرية تعيش في رعب كأثما الأرض قد انقلبت إلى غابة وحوش شرسة جائعة يأكل بعضها بعضا ؛ فتحامل السيدة أو الأنسة الكويتية على العرب والعروبة غير مقبول ، ويذكرني بتحامل أحد القادة العرب حينما رفضت الدول العربية تحدي قرارات مجلس الأمن المفروضة على بلاده ؛ فزعم أنه بربري أفريقي وليس عربيا ، وتبرأ من العروبة والقومية العربية ؛ كأثما العروبة قميص يلبس حيناً وينزع حيناً آخر .

إن العروبة جلد الإنسان العربي ولا يستطيع العربي أن ينزع جلده مهما كانت الظروف ، وإذا كان هذا القائد العربي جادا فيما قال فعليه أن يختار لغة غير اللغة العربية ، ولعل في لغة الهوتو أو التوتسي ما يحقق له هذا الطموح .

* ومما أثار الانتباه قول أحدهم في إحدى المناظرات موجهها كلامه إلى الشاب الكويتي الذي أمامه يجب أن تحسبوا حسابا لشعب العراق ، وإلا شب أطفال العراق على كرهكم ، والحقيقة أن طاغية العراق وزبانيته يلقنون أطفال العراق أشياء كثيرة غير أن الشعب العراقي الشقيق يعرف كيف يوجه أبناءه توجيهها آخر ؛ فالشعب لا يجهل الحقائق ، وليست الهتافات المصطنعة بقادرة على حجب المأساة التي يعيشها شعب العراق إن أطفال العراق سيلعنون من يستعملون عبارة شعب العراق للدفاع عن نظام القمع والإرهاب في بغداد ، ومازلنا نذكر موقف رجال الدين في جنوب العراق أيام الاحتلال الأثم حينما

أصدروا فتوى بتحريم بيع وشراء ممتلكات الكويتيين بعد أن سطت عليها
عصابات صدام وحملتها إلى العراق للمتاجرة ؛ فالوعي بالإخاء العربي موجود
والوازع الديني موجود ، ولن يسير شعب بأسره في ركاب الشيطان .

إن الشعب العراقي يدرك تماما أن الكويت كانت على مدى ثماني سنوات
سندا قويا للعراق حينما تورط في إيران ولولا الكويت لدخلت الجيوش الإيرانية
بغداد في الأسابيع الأولى ؛ من عمر تلك الحرب ، وهو يعلم أن صدام قد جازى
الكويت جزاء سنمار .

* ومن مناظرات القنوات الفضائية ما دار بين مفكر قومي مرموق من
مصر ، ومفكر بربري من المغرب ، ولأول مرة رأيت ما لم يدر في الحسبان ؛ فقد
كان البربري ينهش في العرب والعروبة والقومية العربية على نحو يعجز عتاة
الصهيونية عن أن يتفوهوا ببعضه ؛ فالعروبة سخافة والقومية العربية هراء في
هراء والعرب لا وجود لهم في بلدان المغرب العربي ؛ فالبربر هم وحدهم في
الساحة متناسيا هذا الفاشستي أن الموجات العربية الكاسحة التي احتلت بلدان
المغرب وهزمت البربر أيام الفتوحات الإسلامية قد قلبت الأوضاع بعد أن
استوطنت هذه البلدان وتناسلت وكثر نسلها وفرضت لغتها وثقافتها على البربر
حتى أصبح هؤلاء جزءا لا يتجزأ من نسيج الشعوب العربية في تونس والجزائر
والمملكة المغربية ، وما هذه النعمة الانعزالية إلا محاولة من الحاقدين أعداء الأمة
العربية لتمزيق الإخاء العربي البربري المصان بالوحدة الوطنية والمصير المشترك
والتعايش الممتد منذ الفتوحات العربية حتى هذه الساعة . وإذا كان الأخ البربري
قد أفزعه ما فعل صدام حسين بالأكراد وهو يتغنى بالقومية العربية ؛ فليعلم أن

القومية العربية قومية إنسانية وهي لا تعني غير التضامن العربي وإنها والله لبريئة من صدام ومن أعوان صدام .

* وإذا كنت قد تحدثت عن الآراء الغريبة العجيبة التي جاد بها المفكر البربري المتعصب لقوميته البربرية فإن هذه الفقرة جديرة بأن تتبع ذلك الحديث لكونها مرتبطة ببعض الرجال الذين أيقظوا الشعور القومي في العراق بعد قيام الحكم الوطني عام ١٩٢١م وقد أصبحوا اليوم يحاكمون وهم في قبورهم بعد أن جعل صدام حسين القومية العربية وسيلة لنازيته العدوانية المرعبة .

ومن العدالة أن نتذكر حال العراق بعد خروجه من قبضة الأتراك ونتذكر أيضا ذلك اليوم الذي نصب فيه العراقيون فيصل بن الحسين ملكا فقد وقف أمامه الشاعر المرحوم ناجي القشطيني عم الكاتب المرموق الأستاذ خالد القشطيني وألقى قصيدة مطلعها :

فُؤم باسم ربك حيي صاحب التَّاج وقدم الشكر والإخلاص يا ناجي

إلى أن قال واصفا حال العراق :

هذا إلى الفرس محسوبٌ ومُنْتَسَبٌ وإذا إلى الترك موثوقٌ بأوشاج

ولكي يخرج الشعب العراقي من الارتباط بهؤلاء وأولئك استعان الملك فيصل الأول بالأعلام من المفكرين العرب وفي طليعتهم ساطع الحصري ، وكان يرعى هذا التوجه القومي نخبة من رجالات العراق في مقدمتهم ياسين الهاشمي ومحمد رضا الشيببي ، واشتدت الحركة القومية بفضل المثأت من الأساتذة القادمين من مصر وسورية ولبنان وفلسطين والأردن ؛ فكان من هؤلاء

عبدالرزاق السنهوري وزكي مبارك وأحمد حسن الزيات وعبدالرحمن
الوشاحي وعثمان خليل ومصطفى الوكيل ودرويش المقدادي وأحمد بديع
المغربي وفرحان شبيلات وزكي الأرسوزي وفريد زين الدين وأكرم زعيتر
وعثمان الحوراني وعبدالقادر الحسيني وعمر أبو ريشة وبدوي الجبل وغيرهم
كثير ، وما علم هؤلاء أن زمنا سيأتي بشخص يدعى صدام حسين يسدد طعنة
في ظهر القومية العربية ويدفع بعض من تعلق بها إلى الانقلاب عليها وتجريح
روادها الأوائل .

لقد قلت وكررت القول مئات المرات إن القومية العربية رابطة روحية تدفع
العرب إلى التضامن ، وأي عمل يضر التضامن العربي يعتبر عدوانا تلعبه القومية
العربية وتلعب فاعليه ؛ فليس من العدل أن تحاكم القومية العربية على جرائم صدام
حسين وإلا جاز لنا أن نحاكم الإسلام على جرائم الإرهابيين في الجزائر والصعيد
وأفغانستان والسودان ؛ ثم إنني أود أن أؤكد أن القومية العربية - التي لا تعني غير
التضامن العربي - لن تخرج منهزمة من العراق فهي باقية ما بقي شعب العراق
وسيهزم أعداؤها من النازيين الطغاة ؛ لأن الكثرة الساحقة من شعب العراق عرب
أفحاح لهم جذورهم الضاربة في الجزيرة العربية ، ولن يقف في المستقبل أي شاعر
ليقول ما قاله الشاعر ناجي القشطيني عن حال شعب العراق .

* إن من واجبي في الختام أن أعيد ما سبق أن قلته حول احترام القيادة
والريادة للعمل العربي ، وإلا فلا معنى لوجود جامعة الدول العربية ؛ فإذا كانت
الجامعة العربية خيمة العرب فإن مصر قائدتهم ورائدة تحركهم وسط العواصف
والأعاصير ، فالأمة العربية ذات الدول الكثيرة محتاجة أكثر من غيرها إلى

احترام الدولة القائدة كي لا يسهل على أعداء الأمة استغلال التطاول والتمرد لتنفيذ المآرب الخبيثة ، وويل وألف وويل للقافلة التي لا يحترم دليلها ولا يطاع ؛ فمصير هذه القافلة الهلاك والضياع .

ولقد صدمت حينما شن الجهلة الطغاة في بغداد هجوما في صحفهم ووسائل إعلامهم على جمهورية مصر العربية ناسين ما قدمت مصر من تضحيات لإنقاذ البلاد العربية من الاستعمار في وقت كان فيه حكام بغداد مشغولين بالحلف المشؤوم -حلف بغداد- حيناً وبسحب المواطنين الشرفاء بالحبال حيناً آخر ، وليس من قطر عربي واحد لم تقف مصر إلى جانب نضاله العادل ، ومن العار أن يكون جزاء مصر القائدة الرائدة السباب والشتم ، وكان الأجدر بهؤلاء الجهلة أن يطلبوا المشورة والنصح صباح مساء من هذه القيادة الواعية في محاولة للتخفيف من آثار الكارثة التي وقعوا فيها وساقوا العرب جميعا إلى آلامها وأحزانها .

إن ما أقدم عليه الطغاة فجر الثاني من أغسطس ١٩٩٠م قد أحدث شروخا في التضامن العربي ولن يعود التضامن مادام أعداؤه باقين في السلطة ، وماذا تفيد القمة العربية إن عقدت والحال كما نرى اليوم . إنني لأصدق أن هؤلاء الذين يضيفون إلى رصيدهم من الأعداء عددا بعد عدد يريدون مؤتمرا للقمة العربية ، ولو كانوا صادقين لمدوا أيديهم بادئ ذي بدء نحو من غدروا بهم في أغسطس ١٩٩٠م ، فأطلقوا سراح الأسرى والمحتجزين ونقدوا ذلك التصرف بشجاعة ؛ أما الاستمرار في السباب والشتم والتطاول على قيادة العمل السياسي العربي ، واستفزاز الولايات المتحدة وبريطانيا لتكثيلا الضربات للمنشآت العسكرية في العراق فلا تدل كل هذه التصرفات إلا على التزام المسيرة الأتمة التي ألفها هؤلاء القوم .

القدس شرف الأمة العربية والإسلامية

القدس التي عرفت في تاريخها القديم باسم «يبوس» ثم أورشليم أي مدينة السلام حينما كانت عاصمة للكنعانيين أحفاد اليوسيين قبل ظهور بني إسرائيل بقرون طويلة خصها الله بالقداسة ، ولذلك قال عز من قائل في كتابه الكريم ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله﴾ [الإسراء : ١] . والقدس تعني في اللغة العربية تنزيه البارئ عز وجل ، والتقديس التطهير والتبريك ، وتقدس أي تطهر وفي القرآن الكريم ﴿ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك﴾ [البقرة : ٢٠] . ومعنى نقدس لك أي نظهر أنفسنا من أجلك ، وبيت المقدس البيت المطهر أي المكان الذي يتطهر به من الذنوب ، والقدس أيضا البركة ، والأرض المقدسة هي مدينة القدس ، والأرض المقدسة الطاهرة تطلق على دمشق وفلسطين وأجزاء من الأردن ، وأرض مقدسة مباركة طاهرة . واليوم تحتدم المواجهات بين الفلسطينيين أصحاب الأرض الشرعيين والغزاة اليهود حول القدس بعد أن استسلم قادة المقاومة الفلسطينية لرغبات الصهيونية العالمية وبعض الدول الكبرى فقبلوا الوجود الصهيوني في فلسطين نزولاً عند قرار التقسيم الصادر عام ١٩٤٧م ومع هذا كله فوجئوا بصلف حزب الليكود المدعي دون وجه حق أن القدس الشرقية جزء لا يتجزأ من الدولة العبرية ، وأنها عاصمة أبدية لإسرائيل رغبة منهم في تدمير أولى القبلتين

وثالث الحرمين الشريفين ومسرى الرسول الأعظم وتدمير كنيسة القيامة لبناء معبد لهم على أنقاض هذه المقدسات ، وقد هبت الأمة العربية من محيطها إلى خليجها ، وهبت الدول الإسلامية وشعوبها في كل مكان ترفض هذا الادعاء الكاذب : فالقدس الشرقية جزء لا يتجزأ من الأراضي التي احتلت في حزيران عام ١٩٦٧م وقرارات مجلس الأمن وقرارات هيئة الأمم المتحدة تدعو إسرائيل إلى الجلاء عن جميع الأراضي العربية المحتلة .

ولقد وعدت الدولة العبرية الفلسطينيين - في اتفاق أوسلو - بالالتزام بهذه القرارات وتنفيذها على مراحل ؛ فإذا بالقيادة الجديدة للدولة العبرية - قيادة حزب الليكود - تقدم على بناء مستوطنة في جبل أبو غنيم بالقرب من المسجد الأقصى المبارك ؛ ففجرت ما في صدور الفلسطينيين من معاناة واضطهاد وآلام وأحزان وعادت المواجهات في الشوارع كما كانت في أواخر الثمانينيات ؛ وتنادى العرب والمسلمون والمسيحيون الشرفاء لإنقاذ بيت المقدس .

ولقد اتضح لكل ذي عقل سليم أن إسرائيل لا تريد السلام ولا الأمن والاستقرار إلا إذا استحوذت على ما تشاء من الأراضي العربية المحتلة ، ومعنى آخر إن إسرائيل تريد السلام والأمن والأرض ، وقد اتخذت من اتفاقات أوسلو وسيلة للضغط على السلطة الفلسطينية كي تتولى نيابة عنها ضرب المقاومة الفلسطينية سعياً وراء اندلاع حرب أهلية بين الفلسطينيين .

ومن العجيب والغريب أن يسأل أحد المسؤولين الإسرائيليين الدكتور عصمت عبدالمجيد أمين عام جامعة الدول العربية قائلاً : متى يتم قبولنا في جامعة الدول العربية؟ وكان رد الدكتور عصمت عبدالمجيد متى تكلمتم اللغة

العربية ، ولا شك في أن اهتمام الدولة العبرية بالتغلغل في الجسم العربي ليدل دلالة صارخة على سعي هؤلاء الصهاينة نحو استثمار خيرات الوطن العربي ليصبح مصير هذه الأمة بيد هؤلاء الغزاة ؛ الذين ما تغلغلوا في بلد إلا جعلوا أعزة أهله أذلة ، ويكفي ما نراه اليوم من خضوع أرباب القرار السياسي لنفوذ الصهاينة في بعض الدول العظيمة ، مع الأسف الشديد .

إن السلام الذي تظاهرت بقبوله إسرائيل ما هو إلا خدعة لتمكينها من تبادل التمثيل الدبلوماسي مع بعض البلدان العربية وإبرام الاتفاقات الاقتصادية والتجارية والسياحية ، وما إلى ذلك ؛ كي تتغلغل في المجتمعات العربية لضرب الأمة العربية من الداخل لقد اتضحت نيات المسؤولين اليهود في تلك المحاور التي بثتها محطة الأوريت بين الأستاذ عماد أديب ورئيس وزراء إسرائيل نتنياهو ؛ فقد أدرك المشاهد العربي والمتتبع لهذه القضية الخطيرة أن هؤلاء المتعصبين غير مستعدين لإعطاء عرب فلسطين حقوقهم المشروعة ، ويكفي أن يتذكر القارئ الكريم ذلك السؤال الذي وجهه الأستاذ عماد إلى نتنياهو حين قال له عماد ما موقف إسرائيل من حق لاجئي ١٩٤٨م في العودة والتعويض عن أملاكهم التي تركوها في فلسطين؟ وكان رد نتنياهو إن كنتم تريدون تعويضات ؛ فنحن نريد تعويضات أيضا لليهود العراق واليمن ومصر والمغرب وتونس وغيرها من البلدان العربية بعد طردهم ومصادرة أملاكهم ، وقد دهشت جدا لصمت الأستاذ عماد وهو معذور فالأستاذ كان صغير السن ولم يواكب هجرة اليهود من البلدان العربية إلى فلسطين قبيل قيام الدولة العبرية وبعد قيامها .

لقد أرسلت الوكالة اليهودية في فلسطين أتباعها إلى البلدان العربية لإغراء

اليهود بالهجرة إلى فلسطين منذ أواخر العشرينيات حتى مطلع الخمسينيات وقد زينت الصهيونية العالمية لليهود العرب ترك بلدانهم وأمدتهم بالأموال لمساعدة الفقراء منهم ، وشجعتهم على بيع أملاكهم لدفعهم نحو الهجرة إلى فلسطين ، ليحققوا حلم هرتزل وروتشيلد في قيام دولة عبرية قوية تكون لها الكلمة العليا في منطقتنا العربية . ومهما تبادت المغالطات فإن العالم أجمع ليعلم حق العلم أن يهود العراق كانوا يتمتعون برعاية خاصة من لدن الإنجليز وبعض الساسة العراقيين السائرين في ركاب الإنجليز وعلى رأسهم نوري السعيد فقد حصلوا على وكالات الشركات البريطانية منذ دخول البريطانيين العراق عام ١٩١٦م حتى انتهى النفوذ البريطاني بثورة عبدالسلام عارف صيف ١٩٥٨م ولم يفكر أحد منهم في ترك العراق والرحيل إلى إسرائيل حتى تسلفت إلى شبابهم أفكار الصهيونية العالمية ، ورأوا انتصار اليهود بقرار تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧م ، فإذا بأولئك الشباب ينشئون الجمعيات السرية لضرب المراكز الاستراتيجية في بغداد ؛ ولما وقفت حكومة نوري السعيد على تلك المخططات في مطلع الخمسينيات دعت الحاخامات وكبار القوم منهم ، وأطلعتهم على ما لديها من وثائق ؛ وخيرتهم بين المواطنة الخالصة المخلصة وبين مغادرة العراق ؛ فخضع الكبار المنعمون بخير العراق لحماسة الشباب المخدوع بالشعارات الصهيونية وردوا معلنين الرغبة في الرحيل إلى فلسطين ، وشرعوا يبيعون أملاكهم ويسقطون الجنسية العراقية ويغادرون إلى إسرائيل ليصبحوا مواطنين من الدرجة الثالثة دون طرد أو مصادرة أملاك كما زعم نتنياهو زعيم النازية في إسرائيل أما إمام اليمن يحيى حميد الدين فقد كان يعتبر اليهود أمانة في عنقه غير أن الإعلام الصهيوني أبي إلا أن يلعب بعقول الشباب من أبنائهم ؛ فتحمسوا للرحيل وباعوا

أملاكهم بمحض إرادتهم وغادروا صنعاء وعمران وتعز وغيرها من مدن الشمال اليميني إلى عدن ؛ فاستقبلتهم البعثة الصهيونية فيها بالترحاب وسهل لهم الإنجليز كما سهل ليهود عدن المغادرة إلى تل أبيب .

ومثل هذا حدث في مصر وتونس والمغرب وسورية ولبنان ؛ أما اللاجئون الفلسطينيون فقد هربوا تاركين المساكن والمزارع والمصانع والمتاجر طلبا للنجاة بعد المذابح المروعة التي هزت العالم بأسره وما مذبحه دير ياسين بسر من الأسرار .

لقد آمنت أكثر فأكثر بأن رئيس وزراء إسرائيل لا يختلف في شيء عن شيلوك الذي تحدث عنه الشاعر الإنجليزي الكبير شكسبير فهو لا ينظر إلا إلى باطله الذي يردده بغباء متجاهلا حقوق الآخرين ، ومن المحال أن تنجح مفاوضات السلام في ظل حكومة هؤلاء الذين يريدون الأرض قبل الأمن والسلام والاستقرار وهذا عمري لمن عاشر المستحيلات .

إن المشكلة الأساسية تكمن في وعد بلفور ذلك الوزير البريطاني الذي أعطى زعماء الصهيونية وعدا بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين بعد أن عرضت عليهم الحكومة البريطانية أماكن كثيرة في أفريقيا وجزر الكاريبي لإنشاء مثل هذه الدولة غير أنهم تشبثوا بموقع في فلسطين لإثارة ما في أذهان الحاخامات من ذكريات توراتية تساعد هؤلاء التوراتيين على حث الشباب اليهودي على ترك أوطانهم والتوجه نحو فلسطين ، والحقيقة أن فلسطين لم تكن لليهود في يوم ما ؛ فاليهودية لم تعرف إلا بعد ظهور التوراة ، والتوراة لم تكتب إلا في أثناء الأسر البابلي لبني إسرائيل ، ومن يتصفح التوراة يجد في كل سفر

من أسفارها اعترافا صريحا بأن فلسطين أرض كنعان ، والكنعانيون كاليبوسيين الذين سبقوهم جاؤوا من جزيرة العرب مهد الموجات السامية منذ أقدم العصور ، وحينما خرج الإسرائيليون من مصر خروج المضطهدين بقيادة موسى عليه السلام لم يستطيعوا دخول فلسطين وقالوا لموسى عليه السلام : ﴿إن فيها قوما جبارين ، وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون﴾ [المائدة : ٢٢] . وأطلقوا على سكان فلسطين اسم العماليق ، ولتقرأ ما يقولون عن اللقاء بين يوسف عليه السلام وأبيه وإخوته وبين فرعون في الأصحاح السابع والأربعين من سفر التكوين «و حين اجتمع الشمل قال يوسف لفرعون إن أبي وإخوتي جاؤوا من أرض كنعان - يقصد فلسطين - وهامهم في أرض جاسان - أرض جاسان جزء من دلتا النيل إلى الشمال الشرقي من القاهرة - فقال فرعون لإخوة يوسف ما صناعتكم فقالوا عبيدك رعاة غنم نحن وآباؤنا جميعا جئنا لتغرب في الأرض لأن الجوع شديد في أرض كنعان» . إذن فهم يعترفون بأن فلسطين أرض الكنعانيين ومن فمك أدبتك ؛ ويعترفون بأن عددهم - أعني الأسباط مع أبيهم وزوجاتهم وأبنائهم وخدمهم - سبعون فردا وإذا ما علمنا أن هؤلاء الأسباط قد مكثوا في مصر أربعمئة سنة تقريبا أدركنا أنهم قد ذابوا في المجتمع المصري وأصبحوا مصريين لا فرق بينهم وبين غيرهم من السكان وقد اختلفوا وهم تحت زعامة موسى عليه السلام مع الفرعون متفتح في قضية التوحيد .

وأبناء يعقوب الذين يطلق عليهم الأسباط هم : رأوبين وشمعون ولاوي ويهوذا ويساكر وزبولون وأم هؤلاء ليثة . وجاد وأشير من زلفة خادمة ليثة أما يوسف وبنيامين فمن راحيل أخت ليثة . ودان ونفتالي من بلهة خادمة راحيل ،

ولا غرابة في الجمع بين الأختين ليثة وراحيل فقد كان يعقوب يمني النفس بالزواج من ابنة خاله راحيل تلك الفتاة الصغيرة الجميلة غير أن خاله زف إليه ليلة الدخول ليثة ، وحينما أصبح الصباح عاتب خاله فقال له خاله إننا لانزوج الصغيرة قبل الكبيرة انتظر أسبوعا وسأزوجك راحيل وهكذا كان .

• أما يعقوب عليه السلام فهو ابن إسحق ، وإسحق بن إبراهيم الخليل من زوجته سارة التي خرجت معه من العراق ، وأما هاجر فقد تزوجها إبراهيم وهو في مصر لدى زيارته لها أيام حكم الهكسوس فولدت له إسماعيل عليه السلام ، ولحبه لها وخوفا عليها من غضب سارة سافر بها إلى الحجاز وأنزلها بواد غير ذي زرع وبقية القصة معروفة .

والذين كتبوا التوراة على ضفاف الفرات بعد الأسر البابلي هم من ذرية يهوذا أحد الأسباط وقد جاء ذكره عند ذكر أبناء يعقوب وكتبت التوراة بين ٥٨٠ ق م و ٤٠٠ ق م ؛ وما فيها من عقوبات يشبه ما جاء في شريعة حمورابي ، وقد سبقتها بقرون كثيرة . ولم يخل إصحاح ولا سفر في التوراة من التأكيد على أن فلسطين ملك أهلها اليبوسيين الكنعانيين وهام يتحدثون عن داود عليه السلام في الإصحاح الخامس من سفر صموئيل الثاني لدى مبايعته ملكا عليهم بعد وفاة شاول فيقولون : «إن شيوخ إسرائيل قدموا إلى حبرون - مدينة الخليل - وقطع الملك داود معهم عهدا أمام الرب ومسحوا داود ملكا على إسرائيل وكان ابن ثلاثين سنة وبعد سبع سنين تقدم نحو عاصمة اليبوسيين سكان الأرض» .

إذن فهم يعترفون بأن الأرض أرض الفلسطينيين ، وعاصمة اليبوسيين سكان فلسطين الأقدمين هي ييوس أو أورشليم باللغة الآرامية . ثم يتابعون

فيقولون في هذا الإصحاح «وأخذ داود حصن صهيون» وهذا اعتراف من هؤلاء الذين كتبوا التوراة في الأسر البابلي بأن الحصن قديم وهو حصن ييوس الذي كان يعرف بحصن صهيون وقد بناه اليبوسيون قرب عاصمتهم ييوس أو أورشليم كما عرفت في عهد الكنعانيين بعد ذلك وقد انتسب اليهود إلى هذا الحصن زورا وبهتانا فقالوا عن أنفسهم إنهم بنو صهيون ، ولكن الفلسطينيين لم يسكتوا عن هؤلاء القادمين إليهم من مصر فحاربوهم حربا ما توقفت قط ؛ وقصة أوريا الحثي الذي وقع داود عليه السلام في حب زوجته معروفة لمن اطلع على التوراة ؛ فقد زعموا أن داود عليه السلام كتب إلى قائد جيشه يوآب - وهو يقاتل الفلسطينيين جنوب القدس - وقال له : اجعل أوريا الحثي في المقدمة لدى حصار بني عمون ليقتل فلما قتل أوريا الحثي ضم داود عليه السلام زوجته إلى نسائه وكان منها الملك سليمان عليه السلام ؛ فالفلسطينيون سكان الأرض الشرعيون ما استسلموا لبني إسرائيل ولم يتخلوا عن أرضهم وأرض أجدادهم . ويعترف كتبة التوراة بقوة سكان فلسطين فيقولون في الإصحاح الثالث عشر من سفر العدد إن موسى عليه السلام أرسل رجالا يتجسسون أرض الكنعانيين وقال لهم «انظروا الأرض ماهي والشعب الساكن فيها أقوى هو أم أضعف ؟ ، قليل أم كثير؟ ، وكيف هي الأرض التي هو ساكن فيها أجيدة أم رديئة؟ ، وما هي المدن أمخيمات أم حصون؟ ، وكيف هي الأرض أفيها شجر أم لا وخذوا من ثمر الأرض» .

وحينما عادوا قالوا له : «قد ذهبنا إلى الأرض التي أرسلتنا إليها وحقا إنها تفيض لبنا وعسلا وهذا ثمرها وكانوا قد حملوا معهم شيئا من العنب غير أن

الشعب هناك معتر والمدن حصينة جدا وفيها بنو عناق والعمالقة في جنوبها والحثيون واليبوسيون والأمريون في الجبل والكنعانيون يسكنون عند البحر وعلى جانب الأردن وهم طوال القامة وقد رأينا الجبابرة بني عناق فكنا في أعيننا وفي أعينهم كالجراد . فبكى الشعب وتذمر على موسى وهارون وقال لهما كل الجماعة ليتنا متنا في أرض مصر أو ليتنا متنا في هذا القفر - يقصدون سيناء - ولماذا أتى بنا الرب لنسقط بالسيف وتصير نساؤنا وأطفالنا غنيمة أليس خيرا لنا أن نرجع إلى مصر؟»

لقد قدمت نبذة عن سماء أنفسهم بني إسرائيل وتسللوا من مصر إلى فلسطين هربا من الفرعون منفتح ، وحينما تمكنوا من اختراق فلسطين بعد أن أقاموا أربعين سنة في سيناء جوبهوا بحرب ضروس من أصحاب الأرض الشرعيين استمرت قرونا حتى جاءهم بختنصر وسحقهم وقاد جميع حاخاماتهم وزعمائهم أسرى إلى بابل لينوا له الجنائن المعلقة ، ويكتبوا التوراة كما شاءت أهواؤهم . أما لفظة إسرائيل فهي تعني الإسرائ إلى إيل ، وإيل باللغة الآرامية الإله الكبير ، وكان إيل يعبد في فلسطين وله ابن في الجنوب الشرقي من لبنان يدعى بعل بنوا له بيتا للعبادة ، وبيت العبادة بالآرامية بك أو بكة فصارت الكلمة بعلبك أي بيت الإله بعل قال الله عز من قائل في كتابه الكريم ﴿أتدعون بَعْلًا وتذرون أحسن الخالقين﴾ [الصفافات : ١٢٥] . وهم يزعمون أن يعقوب وأولاده خافوا الأذى من جيرانهم الفلسطينيين فتركوا البلدة واتجهوا نحو بلدة أخرى فداده الرب قائلا : «لا يكون اسمك يعقوب فمن الآن اسمك إسرائيل» ومعنى إسرائيل الساري إلى إيل . وحينما دخلوا مصر أيام يوسف عليه السلام دخلوها تحت اسم بني إسرائيل .

وليس من سلام ينتظر أن يعم الفلسطينيين والإسرائيليين إلا إذا ثاب هؤلاء المتعصبون إلى رشدهم وأدركوا أن ابتلاع الأراضي العربية التي احتلت عام ١٩٦٧م من المستحيلات فالعالم بأسره يقف إلى جانب الحق العربي في فلسطين والجولان وجنوب لبنان ؛ ففي شهر واحد هو شهر مارس من هذا العام ١٩٩٧م صدرت هذه القرارات :

- ١- قرارات مجلس الأمن الدولي بمنع إسرائيل من الاستيطان في جبل أبو غنيم .
- ٢- قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة بمنع إسرائيل من الاستيطان في جبل أبو غنيم .
- ٣- قرارات مجلس الأمن - للمرة الثانية - في المعنى نفسه .
- ٤- قرارات الاتحاد الأوروبي الداعية إلى عدم تغيير معالم القدس بالبناء والإسراع في تطبيق اتفاق أوسلو .
- ٥- قرارات القمة الإسلامية في باكستان الداعية إلى وجوب وقوف جميع المسلمين إلى جانب الحق العربي في القدس .
- ٦- قرارات وزراء خارجية مجلس التعاون الخليجي في الرياض الداعية إلى مناشدة دول العالم ردع إسرائيل عن العبث بالقدس المشرفة والالتزام بالقرارات الدولية .
- ٧- قرارات لجنة القدس برئاسة الملك الحسن الثاني في الرياض الداعية إلى حشد الطاقات لمنع إسرائيل من البناء في القدس والدعوة إلى قطع جميع العلاقات مع الدولة العبرية .

لقد صدر وعد بلفور في وقت بلغ فيه الاستعمار البريطاني ذروته وكان الهدف من المشروع قيام دولة صهيونية في جزء مهم من فلسطين يحول دون التقاء مصر القائدة الرائدة ببلاد الشام وجزيرة العرب ، ولما صدر قرار التقسيم بعد انسحاب الإنجليز من فلسطين في نهاية عام ١٩٤٧م وقفت دول الغرب مؤيدة قيام الدولة العبرية ، وكان الاتحاد السوفيتي أول من أيد قيام هذه الدولة نكاية بالدول العربية المتخذة في خندق الغرب ، وكان عدد اليهود في فلسطين لا يتجاوز ستمائة ألف يهودي ثم استقبلت هذه الدولة العبرية كل من هب ودب من جميع أنحاء المعمورة فجاء إليها الأحباش والهنود والصينيون وطوائف من الاتحاد السوفيتي وطوائف أخرى من بولندا وألمانيا وشرق أوروبا وجنوب أفريقيا وكلها لا علاقة لها ببني إسرائيل وأصبح اليهود العرب مواطنين من الدرجة الثانية وهم الذين تتحدث التوراة عن أجدادهم الأوائل .

واليوم وقد أصبح السلام الذي اختاره الفلسطينيون والإسرائيليون في كف عفريت فإن من واجب الإسرائيليين أن يردعوا صلف تنياهو ومن يؤازره من المتعصبين كي لا يعم التعصب أرجاء العالم الإسلامي ، وتتفجر براكين الغضب ؛ فتنسف الأمن والاستقرار في كثير من دول الشرق الأوسط ؛ فالعودة إلى العنف والحروب ليست في مصلحة أحد ، وعلى الذين يعاتبون إسرائيل باستحياء أن يرفعوا أصواتهم إن أرادوا النجاح لمسيرة السلام .

في ذكرى الاستقلال

شاء الله عز وجل أن تنشأ الكويت في الزاوية الشمالية الشرقية من جزيرة العرب ، وهي تربض على ساحل الخليج العربي ، وتنعم بالعشب بجميع أصنافه الصحراوية ؛ حينما تجود السماء عليها بالأمطار في الشتاء وأوائل الربيع ، وكان سكانها الأوائل يزرعون في بعض أراضيها الجيدة أنواعا من الحبوب ، وتحمل إليهم شباكهم ما لذ وطاب من الأسماك .

ولقد بدأت الكويت بداية متواضعة في أوائل القرن السادس عشر ؛ حينما اتخذتها قبيلة بني خالد مرعى لإبلها ، وعرفت في ذلك التاريخ بالقرين ، وقد أكد هذا بعض المؤرخين فقالوا إنها عرفت كبلد متميز عام ١٦١١ ميلادية ؛ بعد أن قدمت إليها قبائل العتوب من الخليج والجزيرة العربية ، وكان لها حاكم من قبيلة بني خالد يكاتب أمراء الخليج ويكاتبونه ، ومما يقوي هذا الاعتقاد أن الدولة اليعربية في مسقط بعد هذا التاريخ طلبت المساعدة من أمير القرين - وهذا هو اسم الكويت القديم - لصد هجمات الأسطول البرتغالي ، فأنجدها القرين - كما جاء في كتاب الشراع الكبير للمرحوم عبدالله الطائي الأديب العماني المعروف - بسفينة كبيرة محملة بالرجال والعتاد والأموال ، وكان ذلك في مطلع القرن السابع عشر للميلاد ، وهذا دليل قاطع على أن الحس القومي لدى الكويتيين قديم ؛ فهو موجود في جلد كل كويتي ؛ ثم أصبح الموقع الذي تحتله القرين

يدعى الكويت لوجود حصن على الساحل ترسو حوله السفن بناه أحد أمراء بني خالد والكويت تصغير كوت ، والكوت الحصن باللغة البرتغالية على الأرجح ، وموقع الحصن قريب من موقع مجلس الأمة .

وقد قصد آل الصباح الكويت في وقت غير معلوم ، وإن كان زعيمهم قد اختاره الكويتيون حاكما عام ١٧٥٢م بعد أن اشتد الصراع بين بني خالد على النفوذ والزعامة ؛ فكان صباح بن جابر الحاكم الأول للكويت ، ولما مات عام ١٧٦٢م خلفه ابنه عبدالله ، وفي عهد عبدالله بن صباح التجأ إلى الكويت والي البصرة مصطفى أغا وأخوه معروف أغا والشيخ ثويني شيخ قبائل البصرة بعد أن هزمهم سليمان باشا والي بغداد سنة ١٧٨٧م وفوت عليهم الفرصة السانحة لاستقلالهم بالبصرة ، ولما ألح سليمان باشا والي بغداد في طلب اللاجئين الثلاثة رفض الشيخ عبدالله بن صباح رفضاً قاطعاً تسليم الرجال الثلاثة ، ولم تنفع وساطة المقيم التجاري الإنجليزي في البصرة فقد أصر الشيخ عبدالله الصباح على الرفض ، وهذا دليل قاطع على استقلال الكويت وعدم خضوعها للدولة العثمانية ، وقد كان الكويتيون مضرب المثل في الدفاع عن وطنهم وصد أطماع الطامعين ، وتتجلى شجاعة الكويتيين في كثير من المعارك ، ولعل في معركة الرقة أقوى البراهين على هذه الشجاعة ؛ فلقد هاجم الكعبيون - وهم من عرب الأحواز - مدينة الكويت بسفنهم الضخمة بعد أن رفض الشيخ عبدالله بن صباح أن يزوج ابنته مريم أميرا من أمرائهم كان قد تقدم لخطبتها ، واستعد الكويتيون بسفنهم الخفيفة ونازلوا الكعبيين في مياه ضحلة إلى الشمال الشرقي من فيلكا ، وكان قائدهم في هذه المعركة البحرية الجبارة جابر بن عبدالله بن

صباح أخو مريم ، ودام حكم عبدالله بن صباح أكثر من خمسين عاما ، وكان عهده عهد استقرار وازدهار ، ولما توفي عام ١٨١٥ للميلاد خلفه ابنه جابر المعروف بجابر العيش ؛ فقد عرف بالكرم والحلم والعقل الرزين وسماه الكويتيون جابر العيش لكرمه الذي تحدث عنه كل بيت في الكويت ؛ فقد كان يفرش الحصر في الأسواق ويملاها بالرز ليطعم الفقراء والمنقطعين ووقف في وجه الدولة العثمانية كأبيه حينما هرب من العراق راشد السعدون واحتفى به ، وهذا يدل من جديد على أن الكويت كانت مستقلة عن الدولة العثمانية ، وإذا ما رجعنا إلى الوراء وجدنا أن أرض الكويت كانت مرعى لقبائل الجزيرة العربية في الجاهلية وأيام الخلافة ؛ ولا شأن لها بالعراق فقد ذكر الإمام العلامة عمدة المؤرخين ابن الأثير في كتابه الكامل أن مرتفع سفوان هو الحد الفاصل بين العراق وجزيرة العرب . وقد جاء ذلك في حديثه عن معركة ذي قار إذ قال : إن كسرى ملك الفرس كتب إلى قيس بن مسعود الشيباني المعروف بذي الجدين ، وكان مسئولا في سفوان أو صفوان كما نسميها اليوم أن يمنع القبائل العربية من دخول أطراف العراق كي لا تنجد هذه القبائل قبيلة بكر بن وائل ، وأن يتوجه هو نفسه نحو إياس بن قبيصة لمساعدته في القتال ؛ بعد أن وجّه كسرى قائدين كبيرين من قواده هما الهامرز وهرمز في أكثر من عشرين ألف مقاتل لقتال هذه القبيلة التي رفضت أن تسلم إليه ما ترك النعمان بن المنذر من أهل ومال وسلاح بعد قتله النعمان لرفضه تزويج ابنتيه من ولدين لهذا الطاغية ؛ فالحد الفاصل بين العراق والزاوية الشمالية الشرقية من جزيرة العرب المعروفة اليوم بالكويت هو مرتفع سفوان منذ العصر الجاهلي حتى هذه الساعة ، ولم يحظ العراق بالاستقلال منذ دخول الفرس إليه واحتلاله بقيادة كورش قبل ميلاد المسيح ببضعة قرون حتى

ثورة الفرات على الإنجليز عام ١٩٢٠م فبعد قيام هذه الثورة بعام واحد أحضر الإنجليز الشريف فيصل بن الحسين من الحجاز ونصبوه ملكا على العراق ، وبقي العراق تحت النفوذ البريطاني حتى ثورة عبدالسلام ورفاقه عام ١٩٥٨م حينما صفى القواعد الإنجليزية وخرج من حلف بغداد ؛ ففي أية فترة كانت الكويت جزءا من العراق كما زعم طاغية بغداد صدام حسين ؛ أما الكويت فقد دخلت في الحماية البريطانية في عهد مبارك الكبير خوفا من الاجتياح العثماني وكان ذلك في مطلع عام ١٨٩٩ ميلادية وبقيت تحت الحماية إلى يوم ٢١ يونيو حزيران ١٩٦١م ففي هذا اليوم نالت الكويت استقلالها التام ، ولما كان شهر يونيو حزيران شديد الحرارة فقد قر الرأي على أن تكون الاحتفالات بذكرى الاستقلال في الخامس والعشرين من فبراير من كل عام ، وقد شاء الله أن يتم تطهير الكويت من دنس الغزاة القتلة جنود صدام حسين في الخامس والعشرين من فبراير ١٩٩١م .

لقد زج طاغية بغداد بشعب العراق وجيش العراق في حرب طاحنة في سبتمبر أيلول ١٩٨٠م ملييا دعوة المغامرين في طهران إلى المنازلة ولو أنه تمسك بحدود العراق بثبات ، وترك أرباب الشعارات يجلبلون بشعارات تصدير الثورة وولاية الفقيه لما حل بالعراق ما حل من كوارث الحرب المدمرة التي استمرت ثماني سنوات ، ولقد اتضح أن حسابات الطاغية لم تكن صحيحة ؛ فقد اعتقد أن الجيش الإيراني سيستلم في بضعة أسابيع ، ولما استنجد بالجزائر للوساطة أبت طهران وقف القتال .

وقد خرج صدام حسين من تلك الحرب المدمرة باقتصاد منهار وديون

تجاوز الستين مليارا من الدولارات وضاعت المعسكرات بالضباط والجنود العائدين من الحرب ساخطين ناقمين ؛ فزين له غروره و صلف المنافقين من حوله غزو الكويت ؛ وقد أراد جيش صدام أن يذكر العالم بما فعل التتار في بغداد منذ ثمانية قرون فهب يقتل ويدمر ويحرق على نحو لا مثيل له في تاريخنا المعاصر ، غير أنه اصطدم بأحفاد أبطال معارك الرقة والصريف وهدية والجهراء ؛ أولئك الذين سجلوا صفحات خالدة في سجل البطولات وشغلت أجهزة الإعلام العالمية بأخبار مقاومتهم الشعبية المذهلة ، وأمام إصرار الشباب من الجنسين على منازلة الغزاة دون خوف أو تردد أمر الطاغية أذنا به بالبطش والتنكيل ؛ فهب أذنا به يلقون القبض على الشاب بحجة أنه منتسب إلى المقاومة الشعبية وبعد حجزه يوما أو يومين يحضره إلى أهله ويطلقون الباب عليهم ، ويقولون لهم خذوا ولدكم ويطلقون عليه بضع رصاصات في الرأس فيخر صريعا يتخبط في دماؤه ، وكذلك الحال تجاه الفتيات فبعد حجزهن والاعتداء على شرفهن يأتون بهن إلى أهلهن ويطلقون النار عليهن أمامهم دون أي اهتمام بتحقيق أو محاكمة .

ومازلنا نعيش الحيرة والذهول والاستغراب من اندفاع طاغية بغداد نحو الكويت في فجر الثاني من أغسطس ١٩٩٠م وهي التي قدمت جميع ما تستطيع أن تقدم للعراق على مدى ثماني سنوات ، فما بخلت بمال ولا سلاح ولا طعام ولا إعلام ؛ وما علمنا أن الطاغية وأعوانه يبيتون شرا لدول الخليج العربي كافة ؛ فقد قال قبل الغزو بأشهر معدودات وهو يتحدث إلى أمير مرموق من أمراء الجزيرة العربية زاره مبعوثا من العاهل الكبير : «إن الجيش الفارسي حينما دخل

العراق قبل الميلاد ببضعة قرون أيام الملك كورش أخذ يتقدم ببطء شديد ويحتل بلدة بعد بلدة ومقاومة البابليين تشتد وذات يوم عاد من الجبهة قائد الجيوش الفارسية لزيارة كورش فقال له كورش أين وصلتكم في احتلال العراق قال له القائد لقد سقطت بأيدينا مدينة كذا ومدينة كذا ومدينة كذا فقاطعته الملك كوش قائلاً قل لي هل سقطت بابل قال لا قال الملك إذن لم تفعلوا شيئاً إلى الآن ، والتفت طاغية بغداد إلى الأمير الضيف وقال له أتعرف يا سمو الأمير ما هي بابل اليوم قال له نعم إنها مدينة الخلة ، وكانت تسمى بابل أيام الحكم البابلي قال الطاغية لا . إن بابل اليوم هي النفط ومن يضع يده على النفط فقد وضع يده على مصير العالم» .

لقد كان صدام حسين يحلم باحتلال شرق الجزيرة العربية كله ليركز علم العراق على قلعة مسقط ، ولولا عناية الله ويقظة الرجال من أبناء العروبة الصافية في المملكة العربية السعودية وقادة دول مجلس التعاون ، والرفض المصري الحاسم للغزو ، وموقف سورية البطلة ، والغضب العالمي العاصف لصعب تجميع قوات التحالف وإعدادها لضرب العدوان وتطهير الكويت من قوات الاحتلال الأثم .

لقد استغل أعداء العرب هذه الفاجعة المروعة فأخذوا يكيلون الحملات للقومية العربية ؛ ليشككوا العرب في قوميتهم ، وما علموا أن القومية العربية لا شأن لها بصدام وعصاة صدام ، ولقد كانت القومية العربية وستبقى الحافز الوحيد إلى التضامن والتكاتف والتآزر ، وما تلك الوقفة الشجاعة النبيلة التي وقفتها المملكة العربية السعودية ودول مجلس التعاون ومصر وسورية والمملكة

المغربية وغيرها من الدول والشعوب العربية إلا دليل قاطع على الحس القومي لدى أبناء الأمة الواحدة ؛ أما من أغمض العينين عن الجريمة أو صفق لها حسدا أو نذالة ؛ فإن موقفه لا يعتبر غير خروج صريح على الحس القومي الرفض للاعتداء والطغيان .

إننا لانكر أن من دوافع غزو الكويت الحسد الذي أعمى الأبصار والبصائر ؛ فلقد استكثر صدام حسين هذا الخير الذي تنعم به بلدان الجزيرة العربية ؛ فشعوب الجزيرة العربية في نظره وفي نظر المطبلين لعدوانه لا يستحقون هذه الثروة التي رزقهم الله بها بعد الفقر ومعاناة شظف العيش ؛ لذلك صمم هذا الطاغية الأحمق على اقتحام الجزيرة العربية رافعا شعار الجهاد الديني بعد أن تشدق بالعروبة وبالقومية العربية في أثناء حربه مع إيران . ولقد وجد أعداء القومية العربية من بقايا الأيديولوجيات المنهزمة الفرصة سانحة للتهجم على القومية العربية وما علموا أنها باقية ما بقيت الأمة العربية ، فالعربي غير قادر على الخروج من جلده كي يتنكر لأمته ولقومه الذين ينتسب إليهم ، والعربي يعلم من يؤمن بالقومية العربية التي لاتعني غير التضامن العربي ، ومن يتخذ القومية العربية وسيلة لتحقيق أهدافه العدوانية ، وإذا كنا لانُحمَل الإسلام أفعال أديائه فنحن أيضا لانستطيع أن نُحمَل القومية العربية ما فعله أدياء القومية العربية في بلدانهم ، وبلدان الآخرين . ولا جدال في أن العدوان على الكويت فجر الثاني من أغسطس ١٩٩٠م قد أحدث شرخا في القومية العربية التي لاتعني غير التضامن ومع ضخامة هذه المأساة ، وما تركته في نفوس كثير من العرب فقد استطاعت الأمة العربية أن تنهض لمواجهة غطرسة نتياهو في أواخر ربيع

١٩٩٦ م ، وانهقد مؤتمر القمة تحت قبة الجامعة العربية بدعوة من جمهورية مصر العربية قائدة النضال العربي ورائدته ووجم أعداء التضامن العربي في كل مكان حينما شاهدوا الموقف الموحد لأبناء الأمة الواحدة وخاب أمل من يتمنون للعرب والعروبة التمزق والهوان .

ولانملك بعد كل ما تقدم إلا أن نقول لطغاة بغداد وعلى رأسهم صدام حسين ذوقوا جزاء ما اقترفت أيديكم ، وهنيئاً للكويت مسيرتها الواعية بعد أن تجاوزت الكثير الكثير من تدمير العدوان وتخريبه ، وسيبقى المعتدي يعلك آلام أم الهزائم ، حتى يطلق سراح أسرى الكويت ، وينفذ جميع قرارات مجلس الأمن الدولي دون مراوغة أو خداع ، ولانامت عيون الطغاة والمتآمرين .

في أمرين مهمين

* خرج القائد الوالد من المستشفى بلندن سليماً معافى بعد الوعكة التي أصيب بها فجأة ، ولم يكن جابر الأحمد غائباً - وهو هناك بذلك المستشفى اللندني - وإنما بقي في قلوب جميع الكويتيين الذين يرددون اسمه صباح مساء داعين الله بأن يَمُنَّ عليه بالصحة والعافية ويرجعه إلى الوطن متسربلاً بالبهجة والغبطة والسرور .

لقد أحاطت قلوب الكويتيين بسرير الأمير في أثناء فترة العلاج بلندن ؛ ذلك أن جابر الأحمد لم يكن لدى أبناء الكويت قائداً للبلاد فحسب ؛ وإنما كان وسيبقى في عيونهم وقلوبهم الوالد العطوف المثقل بأرق المشاعر الإنسانية النبيلة ؛ كيف لا وقد خاض جابر الأحمد مع أبنائه الكويتيين محناً كثيرة ، وأهوالاً جمة بالإيمان والثبات والتواضع والصبر ، وأعطى أبنائه الكويتيين قلبه وفكره وأعصابه دوغماً التفات إلى راحة أو استجمام .

إن حاجة الكويت إلى هذا القائد الإنسان في هذه الظروف لأشد مما مضى غير أنني أعتقد أن الاستجمام بين حين وآخر ضروري لمن كان في موقعه ، وحفظ الله شيخنا المحبوب لشعبه الذي يحبه ويدعوله ويقلق عليه .

* الحادي عشر من سبتمبر يوم رهيب في تاريخ بداية القرن الحادي والعشرين ففي ذلك اليوم المرعب فوجئ العالم بأكبر كارثة حلت بأمن البشرية ،

وتلفت الناس في كل مكان يتساءلون عمن يقف وراء تلك الجريمة النكراء ؛ فقد صعب عليهم أن يتخيلوا أن ذلك الفعل البربري متعمد اقترفته زمرة من بني الإنسان ، ومن ياترى تلك الزمرة التي تستحل دماء الأبرياء المتتسبين إلى أعراق كثيرة وديانات شتى ؛ لتصبح بعد ذلك مثلاً لبشاعة الإرهاب على مدى العصور والدهور؟ وتوالت التعليقات والتكهنات ، وتوجه الاتهام نحو تنظيم القاعدة لأسامة بن لادن ، وقلت لنفسى كيف يقدم أسامة بن لادن على فعلة نكراء ترفضها شرائع الأرض والسماء وهو لم يخرج بعد من الحصار المضروب حوله بعد تفجير السفارتين وتفجيرات الرياض والدمام والمدمرة في عدن؟ أيستعدي أسامة بن لادن الولايات المتحدة الأمريكية على من رحبوا به في بلادهم من الماللي المتسلطين على شعب أفغانستان؟ وماذا عسى يجني بعد هذا الاستعداد؟ وما هي إلا أيام قلائل حتى ظهر أسامة بن لادن في قناة الجزيرة يشيد بأولئك الشبان الانتحاريين الذين نفذوا الأوامر فأقدموا على ما أقدموا عليه ، وبشرهم بجنة تجري من تحتها الأنهار ، وأطلق عليهم ما شاء من النعوت ، ولم ينس فلسطين فقد تشدق بقضيتها ؛ ليجعل من نفسه مدافعا عن شعبها البطل الراض للانتهازيين والمخربين .

وبقيت ساعة أفكر في محنة المسلمين بعد هذا العدوان الأثم على القيم الإسلامية ، وأقول لفلسطين أيتها القضية المقدسة إن شعبك يفتديك صباح مساء بأنهار من الدماء ، ولك التأييد من جميع شعوب العالم ، وهيهات تقبلين هذه الانتهازية الرخيصة ! أما وقد حصل ما حصل فإن من الواجب أن أوضح للقارئ الكريم أن موجة التطرف هذه لم تصل إلى ما وصلت إليه إلا بالمساعدات المقدمة

إليها من بعض أصحاب القرار في أكثر من دولة عربية وغربية وإسلامية . وهل ننسى سياسة السادات العرجاء حين حارب منتقدي سياسته بالمتطرفين المتحدثين باسم الإسلام ؛ أولئك الذين كانوا متوارين عن الأنظار أيام حكم عبدالناصر ؛ فأطلق السادات لهم العنان في جميع الجامعات المصرية ، وحينما مدوا رقابهم نحو الحكم وأراد تحجيمهم انقضوا عليه وقتلوه؟ وتكرر هذا العبث الغبي في الجزائر ؛ فقد ترك الشاذلي بن جديد الحبل على الغارب للتنظيم الديني ، ولم يكلف نفسه مراقبة هذا التنظيم المتطرف ولما جاوز الحزام الطَّبَّيْن واستيقظ بعد خراب البصرة لم يستطع أن يفعل شيئاً فهرب وترك الجزائر تسبح في أنهار من الدماء .

أما في بلدان الجزيرة العربية فإن التطرف الديني يعادي حياة هذا العصر ويود أن يعيش عهود الأجداد الأوائل ناسياً أن التاريخ لا يسير إلى الوراء ، وأن من يبكي على الأطلال لا يستطيع أن يحقق شيئاً في هذه الحياة .

ولقد اتضح بعد سقوط طالبان سقوطاً سريعاً أن القيادة والحكم يحتاجان إلى أناس يفهمون السياسة ، ويتمتعون ببعده النظر والكياسة ؛ أما المتخصصون في الفقه والتوحيد والتجويد فمجالهم التدريس في المساجد والكتاتيب ، وليس من عاقل يقبل بأن يحكم بجماعة شبيهة بجماعة طالبان .

ولاننسى أن بعض قادة طالبان قد نهلوا من مدارس دينية هندية ، مدارس عرفت عبر التاريخ بالنهج السلفي المتشدد ، لذلك بقيت جماعة طالبان ترى الأمور بمنظار لا يستعمله أحد ، حتى تورطت فيما تورطت فيه ، وجاء اليوم الموعد ، وسقطوا سقوطاً يدعو إلى الرثاء .

إن الإسلام دين الفطرة ، حث الناس على العلم والعمل ، ولم يفرق بين ذكر وأنثى ، وحرّم الاعتداء على الناس فقال عز من قائل : ﴿ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾ [البقرة : ١٩٠] .

وما حل بالمرأة في عهد هذه الجماعة الغبية ؛ فالحديث فيه يطول ويكفي أنها سجنت بالبيت ومنعت من التعليم والعمل ظنا من هذه الجماعة أنها تخدم الإسلام ، والرسول الكريم يقول «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة» .

لقد اكتفت هذه الجماعة بالعمامة السوداء الكبيرة ذات العذبة الطويلة ، وفرضت اللحي على الرجال بالقوة ورددت الشعارات الجوفاء ، وبايعت زعيمها محمد عمر بالخلافة ، وأكملت هذه الإنجازات باحتضان أسامة بن لادن ، وأيمن الظواهري وآلاف من الإرهابيين .

ولنعد إلى أولئك الذين ساروا إلى الانتحار راضين يوم الحادي عشر من سبتمبر ، ومن المؤكد أنهم قد سلموا أدمغتهم لقادة الإرهاب لغسلها بالشعارات ؛ فصدقوا ما قيل لهم من زيف وبهتان وهبوا يقتلون الآلاف في مكاتبهم من مسلمين وغير مسلمين ؛ عرب وغير عرب ، وأرجعوا اقتصاد العالم إلى أحلك أيام الكساد ، وكانت خسارة رجال الأعمال العرب المستثمرين في أمريكا فوق الاحتمال ، وأصبح العربي بمثابة المتهم أنى سار واغتنم الإعلام الصهيوني الفرصة فغذى حملات الكراهية على العرب والمسلمين مستشهدا بما حدث في ذلك اليوم المشؤوم ، ونسي هذا الإعلام ما فعل أرييل شارون في صبرا وشاتيلا من مذابح ، وما فعله قبل ذلك ، وما يفعله اليوم في فلسطين ، ولكن

السائرين في ركاب الصهيونية سواء أكانوا في أمريكا أم في أوروبا لا يرددون إلا أكاذيب هذا الإعلام . ولا شك في أن أحدا لا يستطيع أن يتهم أولئك الشبان الذين قتلوا الآلاف في الحادي عشر من سبتمبر وقتلوا أنفسهم أيضا بالسعي وراء جاه أو مال فالذي سار إلى الموت مبتسما لا يهمله المال ولا الجاه ؛ فأقطاب الإرهاب -أسامة بن لادن وأيمن الظواهري ، ومحمد عاطف المكنى بأبي حفص- قد زينوا لأولئك الشباب ما أقدموا عليه ؛ انتقاما من الولايات المتحدة الأمريكية حليفة إسرائيل ، وما علم أولئك الشبان المندفعون دون تفكير أن قادة الإرهاب لا تهتمهم فلسطين من قريب أو بعيد ؛ وإنما همهم الوحيد الوثوب على السلطة في البلاد العربية ، ومن استمع إلى أيمن الظواهري في إحدى المقابلات التلفزيونية يجده يقول لسائله حين سأله ألا تحن إلى مصر؟ قال أيمن : سأدخلها فاتحا إن شاء الله ، ولعل أسامة بن لادن كان يحلم بأن يدخل المملكة العربية السعودية فاتحا أيضا .

إن الإرهاب لا تقضي عليه الطائرات ولا الصواريخ ، وإنما يقضي عليه العدل متى طبق بتجرد وحسم ونزاهة ؛ أما الكيل بمكيالين ؛ فإنه وقود لتطرف المتطرفين في كل مكان .

ومن المهم في هذا المقام أن نتحدث عن تقصير المؤسسات والمنظمات والدول العربية والأجنبية في واجبها إزاء التطرف والإرهاب حتى وصل الأمر إلى ما وصل إليه الآن وليكن الحديث موجزا قدر الإمكان :

١- مؤسسة الأزهر الشريف ذات التاريخ العريق في تبصير الناس بأمور دينهم ، دين المحبة والإحياء والرحمة والعدل ؛ كيف غضت الطرف هذه المؤسسة

العظيمة عن المدارس الهندية التي عرفت بتدريس الفكر المتطرف ولم لم تبعث إليها من يصحح فهم أولئك المتطرفين من أساتذتها حتى انتشر تطرف تلك المدارس إلى كثير من البلدان الإسلامية كأندونيسيا وباكستان وأفغانستان وبلغ الجزيرة العربية ، وغزا عقول زمرة في مصر المحروسة ؛ وكان ما كان من أمر الإرهاب الذي فعل ما فعل من فواجع ، أما ما يحدث اليوم في بعض المدن الأندونيسية من مذابح بين المسلمين والمسيحيين ؛ فهو نتيجة حتمية لانتشار هذا الفكر المتطرف القادم من مدارس الجهل والتخلف ، ومن الغرابة ألا يتحرك الأزهر الشريف ؛ فيبعث إلى أولئك القوم من يرشدهم إلى سواء السبيل .

٢- منظمة المؤتمر الإسلامي وهي تعنى بشؤون المسلمين على نحو أشمل كيف لم تتدخل لصد رياح الإرهاب بعد الاطلاع على ما يدرس في المدارس المتطرفة سواء أكانت هندية أم غير هندية ، وهل الغارات والثارات بين السنة والشيعية في باكستان من الأمور الهينة لدى هذه المنظمة؟ وهل هي راضية عما يحدث بين المسلمين والمسيحيين في أندونيسيا؟

٣- جامعة الدول العربية - وهي معنية بثقافة الإنسان العربي - لم لم تتحرك للاعتراض على تدريس الأفكار المتطرفة بعد أن رأينا الفكر المتطرف القادم من الهند يغزو عقول كثير من الشبان المتحدثين في شؤون الإسلام والمسلمين ويدفعهم إلى قتل الأبرياء في مواقع الآثار وعلى أبواب الفنادق وفي الشوارع والساحات ويساق هؤلاء القتلة المضللون إلى المحاكم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

٤- الدول العربية وهي مسئولة عن التعليم في المدارس والمعاهد والجامعات الدينية -أين رقابتها على الأساتذة والمدرسين وهل هي على علم بما يبيته بعض الأساتذة من أفكار طائفية تنال من وحدة المجتمع وتؤجج فيه نيران التشردم والبغضاء .

إن هذه الدول أو بعضها لم تغض الطرف عن التطرف وحسب وإنما كانت تساند المتطرفين لتجعل منهم سندا لسياستها الخرقاء .

٥- أما الدول الأجنبية أوروبية كانت أو أمريكية فقد ظلت تستقبل الإرهابيين الهارين إليها من البلدان العربية بعد تنفيذ الجرائم بحفاوة واضحة ، وتقدم لهم المساعدات وفي مقدمتها اللجوء السياسي ، ولم تلتفت إلى اعتراضات الدول العربية ذات الشأن ، وبقيت عوناً للإرهابيين سنوات طويلة ومن المهم أن نشير إلى أن الإرهاب لم يقتصر يوماً ما على العرب والمسلمين ، وإنما هو موجود في جميع بقاع الأرض .

فالولايات المتحدة الأمريكية عانت ومازالت تعاني من هجمات مدمرة نفذها وينفذها بين حين وآخر إرهابيون أمريكيون مسيحيون ، والإيرلنديون قضاوا عقوداً ومازالوا في صراع طائفي يعتمد على القتل والتدمير ، وبالأمس القريب رأينا الآلاف يذبحون ويدفنون في مقابر جماعية والمنفذون ليسوا من طالبان ولا الأحداث في مجاهل أفغانستان وإنما المنفذون من دولة أوروبية متحضرة تسمى يوغوسلافيا كانت إلى الأمس القريب تحظى باهتمام العالم لأن قائدها واحد من مؤسسي حركة عدم الانحياز ؛ وفي اليابان انطلقت أكثر من منظمة إرهابية روعت الأمنين في السكك الحديدية وفي المتاجر والساحات ، أما

في ألمانيا فالنازيون الجدد يرفعون الأجانب بشتى صنوف الإرهاب . ولم نذهب بعيدا ولدينا إسرائيل تقتل الأطفال والنساء والعجزة في فلسطين لمقاومتهم الاحتلال وإذا ما جاءها الرد من بعض الفلسطينيين وجدت من يدافع عن جرائمها ويشجعها على المزيد من الإرهاب ؛ علما بأننا لانوافق على تصرفات الخارجين على السلطة الفلسطينية ونؤكد لهؤلاء أن احترام القيادة ، وقرارات القيادة هو وحده الطريق الصحيح لنجاح القضية المقدسة قضية فلسطين .

وأعود فأكرر أن القضاء على الإرهاب لن ينجز بالقنابل والصواريخ ، وإنما ينجز بالعدل المطبق بالحزم والحسم والنزاهة .

مقابلة مجلة الحدث

(١) يقول أبو الطيب المتنبي عن شعره :

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم

بينما يقول أحمد العدواني : «إن كل ما قلته من شعر لا يستحق أن يجمع
ويطبع ويفرض على الناس ، وإن الكلمة التي أريد أن أقولها لم أقلها بعد ، وكل
ما صنعته هو تجارب أولية لشيء لا زال يتكون» .

ما الفارق بين قول الشعارين وهل نظر الأعمى إلى شعر السقاف؟

* الفارق أن المتنبي معتد بشعره وهو جدير بذلك والمرحوم العدواني على
ما قدم من شعر جميل متواضع في هذا القول إلى أبعد حدود التواضع ؛ أما شعر
السقاف فالحكم عليه للجماهير التي تردده من الخليج إلى المحيط في المدارس
والجامعات والمنتديات وهاهو الشاعر الكبير محمد أحمد منصور يتصل بي
هاتفياً من مدينة تعز ويطلب مني أن أكتب ويُملي عليّ هذه الأبيات ، وأنا لا
أعرفه :

أيُّ شعرٍ مذاقُهُ كالسُّلافِ في رياضِ بديعةِ الأوصافِ

إن تلوّناهُ في المجالسِ أثريَ العقلِ والفكرِ في السنينِ العجافِ

ليس من طالَ أحمدَ المتنبي في القوافي كأحمدِ السقافِ

وقد سبقت هذه التحية تحيات كثيرة كان أولها للشاعر المرحوم عبدالله علي الصانع بتاريخ ٤ يناير ١٩٥٢م وآخرها لشاعر تونس المشهور أحمد اللغماني منذ بضعة أشهر .

(٢) يقول الشاعر ابن النحاس :

هان من أمّ بالمديح أناسا
يستوي الشعرُ عندهم والشعيرُ

هل أحس الشاعر أحمد السقاف بهذا البيت يوما ما؟

* أحمد السقاف لا يتكسب بشعره ؛ فأغراض شعره تدور حول القضايا الوطنية والقومية والمواضيع الإنسانية والغزل والوصف وما إلى هنالك من الأغراض الأخرى .

(٣) عرفت شاعرا ملتزما الوزن والقافية ومع ذلك كتبت شعر التفعيلة فهل وجدت صعوبة في شعر التفعيلة؟

* القضية ليست البذلة التي يرتديها الشعر ؛ وإنما القضية قضية الشعر نفسه سواء أ جاء عموديا أم شعر تفعيلة ، والصعوبة في خلق القصيدة الجديدة بالاهتمام .

(٤) بأية قصيدة خرجت من محيطك الصغير إلى البلاد العربية؟

* في عام ١٩٥٩م نشرت مجلة العربي قصيدة كنت قد حيت بها ثورة الجزائر ، فاستحسنتها وزارة التربية والتعليم في مصر وأدرجتها في النصوص الأدبية للمرحلة الإعدادية ، وكانت بعض البلدان المجاورة قد قررت في مدارسها في مطلع الخمسينيات قصيدة «يا ساكب الدمع» عن ضياع فلسطين ، وفي هزيمة

حزيران نشرت قصيدة «يا قائد العرب» فاستحسنتها وزارة التربية والتعليم في مصر وقررتها على الطلبة ثم زرت دول المغرب العربي ليبيا وتونس والجزائر والمملكة المغربية فوجدت شعري مقررا في المدارس والجامعات ، وهكذا الحال في جميع مدارس الوطن العربي الكبير .

(٥) يقول أحمد السقاف :

والشعر وحي ليس ألفاظنا تقال ولا كلاما

إذا كان الشعر وحيًا فعلى أي أساس يختار الوحي رسله؟

* يختار الوحي رسله من أولئك الذين يمتلكون قريحة وقادة ؛ أما الذين لا يمتلكون هذه القريحة فإن الوحي لا يقترب منهم مهما بذلوا من المحاولات .

(٦) في قصيدة بعنوان «لله بغداد» قال السقاف :

شعب العراق الحريا موقظا جموعنا بوركت من ديدبان
إليك أهديها خليجية صافية الرونق مثل الجمان

بعد «صيف الغدر» و«نكبة الكويت» هل مازال شعب العراق الشعب الحر الديدبان ، وهل هناك اختلاف بين يونيو ١٩٦٧م وأغسطس ١٩٩٠م؟

* هذان البيتان من قصيدة قتلها في الأسبوع الثقافي الكويتي خريف ١٩٧٩م بعد تولي صدام السلطة ببضعة أشهر وقبلهما هذه الأبيات :

نلعن بلفوراً ومن لا يرى في قومنا بلفور أو مكميلان
أيرجع الحقُّ بلا وحدة أو قوة تظهر ملء العيان
وهمٌ وتضليلٌ وكم محنة مرّت على الأمة من بهلوان

وغادرت بعد إلقائها بغداد مع المرحوم عبدالعزيز حسين تاركين الإخوة يكملون نشاطات الأسبوع الثقافي . بقي الحديث عن شعب العراق الحر الديدبان فوالله ما حمل قلبي غير الحب والإعزاز لهذا الشعب العربي الشقيق ، ومن المحال أن نحمل شعب العراق جرائم صدام فهو ضحية وسيتخلص من حكم الطاغية المعتوه قريبا إن شاء الله ؛ أما الاختلاف بين حزيران ١٩٦٧م وغزو صدام الكويت والجزيرة العربية ؛ فهزيمة حزيران جاءت من عدو بيننا وبينه حروب ، والحرب سجل يوم لك ويوم عليك ، وقد دفعت تلك الهزيمة العرب جميعا إلى اليقظة والاستعداد وجاء يوم ٦ أكتوبر ليمسح الهزيمة ويحجم غرور إسرائيل أما كارثة أغسطس فقد مزقت الشمل العربي ، ومازلنا نعاني التمزق ونحتاج إلى سنين حتى نتجاوز الكارثة .

٧) يقف العرب عاجزين أمام إسرائيل وهي تبني مستوطنة في القدس العربية فهل تشعر بالرغبة في أن تقف وتقول (بني قومي فواخجل القوافي)؟

* لا يقف العرب عاجزين أمام إسرائيل ؛ فلدى العرب من القوة ما يمكنهم من استرداد جميع حقوقهم ؛ غير أنهم مازالوا يعانون ما خلفه الغدر العراقي فجر الثاني من أغسطس ١٩٩٠م من تدخل في التضامن المطلوب ؛ ومتى ما عاد التضامن من جديد فلن تستطيع إسرائيل أن تعرقل مسيرة السلام .

٨) في قصيدة للسقاف بعنوان «تحية الكويت لمصر» فهل يحق للشاعر أن يتحدث باسم وطن كامل ونيابة عن شعب بأسره ومتى؟

* قصدت القاهرة رئيسا لوفد من رجال التعليم في الكويت ربيع ١٩٥٣م للاطلاع على المدارس النموذجية في مصر واستقبلنا استقبالا كريما وكنت ناظرا

للمدرسة الشرقية وهي من أكبر المدارس في تلك الفترة تضم المرحلتين الابتدائية والمتوسطة ؛ فكتبت القصيدة ونشرتها في الأهرام ، لذلك حق لي أن أبلغ شعب مصر تحية الكويت ؛ ومما جاء في القصيدة أقل مما يجب أن يقال في مصر العظيمة .

٩) نشرت قصيدة تحت عنوان «يا قائد العرب» قبيل اندلاع حرب ١٩٦٧م حينما شاهدت القوات الكويتية تنطلق إلى قناة السويس فهل غلب الوتر القومي لدى أحمد السقاف على الحس الوطني؟

* كل قومي وطني وليس كل وطني قوميا والقصيدة فيها اعتزاز وطني واعتزاز قومي في الوقت نفسه ألم أقل فيها :

وأما تعشقتُ إلا العز والشما	أفدي الكويت ترابا ملؤه شممٌ
والقلب فيها يعاني الهم والسقما	صددتُ عنها قريضي عاتبا زمتا
بطولة تصفع التشكيك والتهما	حتى تبدتُ كما ترجو أصالتها
نفظُ تفنن في تزييفه القلما	هي الكويت مُحالٌ أن يُزيّفها
لدى العطاء وترعى العهد والذمما	وفي الكويت رجولاتٌ تفيضُ ندى
على العُدّة فطارت تدعم الهرما	وفي الكويت أسودٌ تارثاثرها

إنه استنفار للحس الوطني والقومي معا .

١٠) كان الناس يعتقدون أن محطات الفضاء التلفزيونية ستعمم وتنشر اللغة العربية الفصحى غير أنها لم تهتم بهذه القضية واستمرت في استعمال العامية ما تعليقك على ذلك؟

* لا شك في أن هذه القنوات تنشر اللغة العربية الفصحى في كثير من برامجها ؛ غير أنها جميعا تكثر من استعمال العامية ، وهذا فيه ضياع للجهد المبذول للتقريب بين شعوب الأمة العربية زد على ذلك أن شعوب الأمة العربية لا تفهم هذه اللهجات بمعنى أن شعوب المغرب العربي لا تفهم اللهجات الخليجية ولهجات الجزيرة العربية والعكس صحيح ؛ كما أن المذيعين والمذيعات يستعملون ألفاظا عربية في غير ما وضعت له ؛ فعند الفوز مثلا يقولون مبروك وتتردد مبروك من الكويت إلى المغرب كما يقولون مثلا إنه برنامج شيق أو إنها حلقة شيقة وهذا خطأ أيضا إلى ما هنالك من الأخطاء .

(١١) على الرغم من أن أمير الشعراء قال عن المعلم :

قم للمعلم وفه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا

إلا أن الشاعر أحمد السقاف لم يخدم التعليم غير عشر سنوات فهل عائد التدريس لم يكن مجزيا؟

* الموضوع ليس ماديا والسنوات العشر ليست بالقليلة وإحلال ناظر محل ناظر مدرسة آخر أمر سهل غير أن الوظيفة القيادية تحتاج إلى رجال قياديين يتحلون بالتخطيط السليم والتنفيذ السريع والانطلاق إلى الأمام ؛ وهذا ما حدث في تلك الفترة التي انتقلت فيها الكويت من مشيخة إلى دولة ذات مؤسسات وقوانين ودستور وبرلمان وصيت يجلجل في الآفاق .

(١٢) عينت وكيلا لوزارة الإرشاد والأنباء عام ١٩٦٢م ثم استقلت عام ١٩٦٥م فهل عاقك المنصب عن أداء دورك شاعرا؟

* عملت منذ نوفمبر ١٩٥٦م في إعداد دائرة المطبوعات والنشر لأن تصبح
وزارة للإعلام وحينما نالت الكويت استقلالها صيف ١٩٦١م سميت دائرة
المطبوعات والنشر وزارة الإررشاد والأبناء - وزارة الإعلام - اليوم ومعنى هذا أنني
عملت زهاء ثماني سنوات في العمل الإعلامي وكان لي شرف المساهمة في بناء
هذه الوزارة وهذا يكفي .

(١٣) يقول الشاعر :

لا تحسب المجد ثمراً أنت أكله لن تبلغ المجد حتى تعلق الصبر

فهل لعق الشاعر أحمد السقاف الصبر وهو يعد نفسه لهذه المكائنة الأدبية والشعرية؟

* الاستعداد للأعمال الأدبية الجادة مرهق جداً يهون أمامه الصبر والحنظل ،

ومن اعتقد أن كتابة الشعر والنثر يمكن أن تأتي على طبق من ذهب فهو واهم .

(١٤) كم حفظت من الشعر الجاهلي؟

* حفظت المعلقات وغير المعلقات وكنت أترنم بشعر امرئ القيس وزهير

والأعشى وبأبيات كثيرة من اليتيمة ؛ فالمتطلع نحو قول الشعر عليه أن يحفظ

الكثير الكثير من الشعر الجاهلي والأموي والعباسي ثم عليه أن ينسى ما حفظ .

(١٥) هل الشعب الكويتي يتذوق الشعر؟ وما مستقبل الشعر في الكويت؟

* الشعب الكويتي من أكثر الشعوب العربية تذوقاً للشعر ومستقبل الشعر

في الكويت كمستقبله في جميع الأقطار العربية ومادمننا نحتاج إلى الغناء فنحن

محتاجون إلى الشعر غير أن الشعر يطالب المتطلعين إليه بأن يعدوا العدة بعد أن

يكونوا قد حُضُّوا من الله بالملكة الشعرية أو القريحة وعدة الشعر - بعد القريحة -

امتلاك زمام اللغة العربية وصقل الذوق بحفظ الكثير الكثير من شعر الأقدمين
كشعراء العصر الجاهلي والأموي والعباسي وشعر النهضة الحديثة .

(١٦) أحمد السقاف امتداد لمن من الشعراء؟ ومن من شعراء اليوم يرى
أحمد السقاف أنه امتداد له؟

* لست امتدادا لأحد فشعري يحمل نفسي بفتح الفاء ونفسي بسكون
الفاء ؛ كما أنني لأجد أحدا يعتبر امتدادا لي فلكل شاعر سماته الخاصة .

(١٧) يقول الشاعر أحمد السقاف :

خلقت للحب وآهاته ما أجمل الحب بآه وآه

بعد رحيل الشباب هل تغير مفهوم الحب عند أحمد السقاف أم أنه مازال
جميلا بآه وآه .

* هذه القصيدة كتبها عام ١٩٤٩م وأنا في عز الشباب وملايين الشباب
يوافقونني على أن الحب كما وصفت .

(١٨) ما رأيك في الهجوم الذي شنه الشاعر عبد الوهاب البياتي على نزار

قباني في مقابلة نشرتها له إحدى الصحف في شهر سبتمبر الماضي؟

* الود مفقود بين البياتي ونزار قباني وبعض الشعراء يعتقدون أن القمة لا
يقعد عليها غير واحد فهم يحتربون عليها ؛ مع أنها فسيحة يمكن أن يقعد عليها
كثير من المبدعين ؛ أنا اختلفت مع نزار في أمور هو يعرفها ويعرفها كثير من
القراء غير أنني لا أنتقص شعره .

(١٩) كثير من الشعراء يحبون أن يلقبوا بشاعر العرب فمن هو شاعر العرب

في نظرك؟

* شاعر العرب من جعل قضايا العرب نصب عينيه ومع ذلك فمن الممكن أن يقول هذا الشاعر أو ذاك إنه شاعر العرب باعتبار أن شعره باللغة العربية الفصحى ، وبالتالي فهو يقرأ في البلاد العربية .

(٢٠) يقول عمر بن أبي ربيعة :

ليت هندا أنجزتنا ما تعد وشففت أنفسنا مما نجد
واستبدت مرة واحدة إنما العاجز من لا يستبد

ويقول الكواكبي : إن الاستبداد طريق الناس إلى التسفل ؛ ما مفهوم الاستبداد عند أحمد السقاف ولأي الرأيين ينحاز؟

* الاستبداد هو التفرد بالأمر فحينما انفرد أعوان أبي بكر بالنظر في أمر الخلافة ساعة وفاة الرسول الكريم دون مشاركة علي رضي الله تعالى عنه وأبناء عمومته لانشغالهم بتجهيز الرسول للدفن وتمت مبايعة أبي بكر قال علي : كنا نرى أن لنا في هذا الأمر حقا ؛ فاستبددتم علينا .

والتفرد بالأمر في قضايا الشعوب مجلبة للكوارث ولدينا مثال صارخ لما ينتج عن الاستبداد كالعدوان العراقي على الكويت فجر الثاني من أغسطس ١٩٩٠م وتداعيات هذا الغزو المدمر ؛ فالاستبداد طريق الناس إلى التسفل أي الانحطاط ؛ ولو أن العراق يتمتع بحكم ديمقراطي لما استطاع صدام حسين أن يقدم على ما أقدم عليه .

(٢١) ما آخر قصيدة للشاعر أحمد السقاف؟

* آخر قصيدة لي هي قصيدة مونثرو وهاهي بين يديك .

في ذكرى العدوان

في فجر الثاني من أغسطس سنة ١٩٩٠م رُوعَ الوطن العربي بالعدوان العراقي الغاشم على الكويت ووقف الأحرار من أبناء الأمة العربية مُذهلين مشدوهين أمام ذلك الغزو البربري ، الهمجي المدمر ؛ واستعادوا في ذاكرتهم تلك التصريحات الخادعة الكاذبة التي كان يدلي بها صدام حسين حول حرصه الشديد على التضامن ، وصون الجسد العربي من التمزق لاسيما ما ورد في ميثاقه القومي الذي أذاعته محطات الإذاعة والتلفاز مرات ومرات ، وقال فيه لا يجوز أن يرفع أي جيش عربي سلاحه في وجه جيش عربي آخر مهما كانت الأسباب ، وإذا ما أقدم جيش العراق على ذلك فعلى العرب أن يهبوا لردع جيش العراق ، وما كادت سنة ١٩٩٠م تطل حتى كثر صدام حسين عن أنيابه ولعابه يسيل على ثروة شرق الجزيرة العربية .

لقد أمر صدام حسين جيشه باقتحام الحدود الإيرانية فجر الثاني والعشرين من شهر سبتمبر أيلول ١٩٨٠م معتقداً أن الجيش الإيراني لا يقوى على الحرب أكثر من أسبوعين ، وبعد ذلك سيطلب وقف القتال وسيملي حينئذ صدام حسين شروطه على إيران كما يريد ، وما علم صدام أن الإيرانيين كانوا مستعدين لخوض حرب استنزاف طويلة مهلكة ، فلديهم العمق الاستراتيجي الواسع ، ولديهم معين ضخم من البشر القادرين على حمل السلاح والمنازلة . وكان

الدافع الحقيقي لاقتحام الحدود الإيرانية ذلك التوتر الذي نشأ بين نظامي الحكم بعد سقوط الشاه ربيع ١٩٧٩م ، وإقدام صدام على تصفية حزب الدعوة في العراق ؛ فحزب صدام حسين -بعث العراق- لا يؤمن بالتعددية الحزبية ، وقد صفى من الساحة الناصريين والقوميين المستقلين والشيوعيين وحركة القوميين العرب والإخوان المسلمين في الأسابيع الأولى من حكمه ؛ ثم التفت نحو حزب الدعوة حينما رآه يردد شعارات الخميني ؛ أما المزاعم التي ردها صدام القائلة إنه حارب دفاعاً عن الجناح الشرقي للوطن العربي فهي مزاعم جوفاء لا تستند إلى أساس ؛ فهو لم يقتحم حدود إيران صباح يوم ٢٢ / ٩ / ١٩٨٠م إلا دفاعاً عن نفسه وعن نظام حكمه ؛ بعد أن وجهت الثورة الإيرانية جميع وسائل إعلامها نحو شيعة العراق محرّضة على إسقاط صدام حسين ؛ ومع ذلك ؛ فنحن لاننكر أن شعارات الثورة الإيرانية كانت مرفوضة في جميع الأقطار العربية والإسلامية ؛ فلا يقبل العرب بمنطق تصدير الثورة ولاهم يعترفون بولاية الفقيه ، ولم نجد نحن في الكويت بدا من أن نقف إلى جانب الشقيق في جميع مراحل تلك الحرب الطاحنة رافضين إسقاط صدام حسين بالدبابات الإيرانية ، ووضعت الكويت جميع الإمكانات في خدمة الأشقاء العراقيين كي لا يسجل التاريخ علينا أننا خذلناهم وقت الشدائد ودفعت الكويت من أجل ذلك الموقف البطولي التاريخي الكثير الكثير من أمنها واستقرارها ومواردها ، ووصل عدوان مرضى الطائفية إلى رأس أمير البلاد ؛ ففي صبيحة يوم ٢٥ / ٥ / ١٩٨٥م اعترض موكب الأمير أحد الإرهابيين بسيارته المفخخة والتطم بسيارات الحراسة ؛ فتمزق وتمزقت بضع سيارات بمن فيها ونجا الأمير من هذا العدوان المرذول ، ودوت في تلك الساعة أصوات الانفجارات في أماكن عدة من الكويت .

ولما طال الحرب ، واستطاع الإيرانيون النزول في الفاو هبت الدول الغربية
تمد صدام حسين بمصانع أسلحة الدمار الشامل ليتمكن من دفع الجيوش الإيرانية
خارج حدوده ؛ فقد كان صدام حسين منذ البداية رجل الغرب القوي في المنطقة
بعد أفول نجم الشاه ، وقد أدى صدام حسين خدمات جليلة للغرب باقتحامه
حدود إيران في أيلول ١٩٨٠م فقد اضطرت إيران إلى إطلاق سراح المحتجزين
في السفارة الأمريكية في طهران ، واضطرت دول المنطقة إلى شراء الأسلحة من
دول الغرب بمئات المليارات ؛ كما أن صدام حسين قد تمكن خلال نفوذه وحكمه
منذ صيف ١٩٦٨م من أن يحقق للدول الغربية هذه المكاسب :

١- الابتعاد بالعراق عن الرئيس جمال عبدالناصر ، وافتعال المعارك الإعلامية
ضده والتشهير به في جميع وسائل الإعلام العراقية ؛ خلافا لما كان عليه
الحال في عهد عبدالرحمن عارف المعروف بتأييده لحرب الاستنزاف التي
شنها عبدالناصر على إسرائيل عبر قناة السويس .

٢- تمزيق الحزب الشيوعي العراقي وملاحقة قادته بكل قسوة في كل مكان من
العالم .

٣- التحرش بدول الخليج العربي لدفع حكوماته إلى الارتقاء في أحضان الدول
الغربية وشراء الأسلحة على نحو مبالغ فيه ومن أمثلة ذلك العدوان العراقي
على مركز الصامته ربيع ١٩٧٣م ، وقد ترك ذلك العدوان أثرا في نفوس
جميع الكويتيين .

ولم يستطع صدام حسين اختراق الحدود الإيرانية صباح يوم ٢٢ أيلول
سبتمبر ١٩٨٠م إلا بعد أن جس نبض بعض قادة الدول الغربية ، وقد جعل إلغاء

معاهدة الجزائر لعام ١٩٧٥م المبرمة بينه وبين شاه إيران ذريعة لذلك العدوان بحجة أنه وافق على تلك الاتفاقية مكرها ، وحينما عرض الأمر على مجلسه الوطني وافق الأعضاء صائحين كالعادة : بالروح بالدم نفديك يا صدام ، واشتعلت الحرب وأخذت تحصد شباب البلدين ، وحاول الخروج من النفق المظلم بعد أسابيع ولم يجد سبيلا إلى الخروج ، ولما أيقن أبو الحسن بني صدر بأن المستفيد من تلك الحرب إنما هم تجار السلاح وأعداء العرب والإيرانيين طلب وساطة الجزائر فهبت الجزائر للوساطة ؛ غير أن الخميني ومعه المتشددون صمموا على إسقاط صدام ، وانبرت بعض الدول الغربية والشرقية - وفي مقدمتها الاتحاد السوفيتي - تمد صدام بكل ما يريد من السلاح ، ولم تبخل عليه الكويت ولا المملكة العربية السعودية بالمليارات والأسلحة والمواد الغذائية ؛ فالتخلي عن الشقيق في ساعة الضيق غير موجود في المعاجم العربية .

ولما توقف القتال صيف ١٩٨٨م خرج العراق بكوارث لاتعد ولا تحصى ؛ غير أن الكارثة الاقتصادية كانت الأشد والأقوى ورفض غرور صدام حسين عرض الأمر على المقتدرين من رؤساء الدول النفطية بود وتواضع ؛ ليساعده فقد غره الجيش العرمرم العائد من جبهات القتال وعدده يفوق المليون ؛ فصمم على غزو شرق الجزيرة العربية الغنية بالنفط ؛ ألم يقل لأمير كبير زاره أواخر ١٩٨٩م إن من امتلك النفط فقد احتل بابل؟

إن من الخطأ الوقوف على الأطلال والتباكي على التضامن العربي فالقافلة العربية يجب أن تسير ، ولم يكن صدام حسين الأول في تاريخ العراق يخرج على إرادة الأمة العربية ويسدد الطعنات للتضامن العربي ؛ فقد سبقه نوري

السعيد حينما طلب من المستر إيدن القضاء على جمال عبدالناصر وقد بلغهما نبأ تأميم قناة السويس وهما يتناولان العشاء في لندن صيف ١٩٥٦م فاستحسن المستر إيدن الفكرة وكون حلفا ثلاثيا في ذلك الصيف ، وفي الخريف غزت دول ذلك الحلف وهي فرنسا وبريطانيا وإسرائيل قناة السويس لاحتلالها بالقوة وإسقاط جمال عبدالناصر وإلغاء التأميم ، وكان ما كان من أمر بطولات المصريين في معارك بورسعيد ؛ حتى ضجت شعوب العالم بالاستنكار ، وسارت التظاهرات في المدن البريطانية والفرنسية مطالبة بخروج الغزاة من قناة السويس ثم جاء الإنذار الروسي ، وتبعه الموقف الأمريكي الراض للغزو وانسحب المعتدون يجرون أذيال الخيبة والهوان . وحينما قامت الوحدة بين مصر وسورية في مطلع عام ١٩٥٨م وقف عبدالكريم قاسم موقفا معاديا لها ، وقتك بالضباط المندفعين نحوها ثم سلط وسائل إعلامه للهجوم على جمال عبدالناصر ومول زمرة صغيرة من ضباط الجيش السوري للانقلاب في دمشق وإعلان الانفصال ؛ فأدى بعمله هذا خدمة جليلة لإسرائيل فقد كانت الوحدة تمثل كماشة حول الوجود الصهيوني الدخيل في فلسطين .

والذي أريد قوله إن هذا التصرف الغادر الفاجر الذي فاجأ به صدام حسين دول العالم في مطلع أغسطس ١٩٩٠م لم يكن غريبا على بعض المتسلطين العراقيين ؛ فقد حرم العراق من رجالته الأفاضل الذين يؤمنون بالتضامن العربي ويحرصون على سلامة المسيرة العربية بفعل النفوذ الاستعماري كما كان الحال أيام نوري السعيد وكما صار الحال من بعده بفعل الانقلابات العسكرية التي يسرقها بعض الجهالة المغمورين كعبدالكريم قاسم وصدام حسين .

على أنني أدرك تماما الفرق الهائل بين مساويء نوري السعيد وعبدالكريم قاسم وبين ما أقدم عليه صدام حسين صيف ١٩٩٠م فغزو الكويت والتنكيل بشعبها على نحو سافل مفرج وتدمير معالم حضارتها ونهب جميع ما في أسواقها ومخازنها ومكاتبها ، والاعتداء على الأعراض ونسف آبار النفط في أثناء الهرب من الكويت ، وتخريب محطات المياه والكهرباء واختطاف النساء والرجال والأطفال من الشوارع وترحيلهم إلى العراق للمساومة أمور حفرت في ذاكرة كل فرد من أبناء الكويت ، وستوارثها الأجيال جيلا بعد جيل .

إن غزو الكويت لم يصدع التضامن العربي فحسب ، وإنما أدى إلى كوارث أخرى مزعجة لعل من أبرزها :

١- فسح المجال أمام أعداء القومية العربية كي يتحاملوا عليها ويتهجموا على مسيرتها «مجيرين» أثناء صدام حسين للقومية العربية والقوميين العرب ، وهم يعلمون أن القومية العربية براء مما فعل هذا النازي العنصري الجاهل ، ويعلمون أيضا أن القومية العربية لا تعني غير التضامن العربي وهو مطلب لا يختلف فيه جميع عقلاء هذه الأمة .

٢- الترحيب بوجود قوات الدول الكبرى في شرق الجزيرة العربية ، وقد كانت هذه الدول تمني النفس قبل عدوان صدام حسين بموضع قدم في هذا الجزء من الوطن العربي .

٣- فصل شمال العراق عن الوسط والجنوب وقد كان صدام على علم بالروابط الهشة بين نظام حكمه والأكراد .

٤- تمتع جنوب العراق بوضع خاص بفضل المظلة الأمريكية المضروبة عليه بعد

عمليات القمع الوحشية التي نفذها الطاغية في مدن الجنوب بُعيد الهزيمة
الماحقة أوائل شهر مارس ١٩٩١ م .

٥- الاضطرابات الشاملة التي يعيشها وسط العراق كالسرقات والاعتقالات
والمحاولات الانقلابية ، وانهيار العملة ، وما إلى ذلك .

٦- الحصار الاقتصادي المفروض على العراق والمعاناة التي يعيشها شعب
العراق الشقيق بسبب تعنت نظام الحكم في تطبيق قرارات الأمم المتحدة .

٧- تدمير جميع أسلحة الدمار الشامل والبحث عن مخابئ لهذه الأسلحة التي
أنفق حكام بغداد عشرات المليارات في شرائها بعد أن استعمل بعضها في
إخضاع بعض القرى الكردية ، وهزت المأساة جميع سكان العالم .

٨- اضطرار القيادة الفلسطينية إلى إبرام اتفاق أوسلو المشلول ، وتنكر نتنياهو
لبنود هذا الاتفاق ولو لم يقم صدام حسين بتصديع التضامن العربي فجر
الثاني من أغسطس ١٩٩٠م لما أقدم الفلسطينيون على إبرام مثل هذا
الاتفاق الكسيح .

٩- تدمير الجيش العراقي المنسحب من الكويت واستسلام عشرات الألوف من
قواته ، وهم في أسوأ حال ، وتدمير طرق مواصلاته وثكناته وتجهيزاته
العسكرية ومصانعه الحربية ، والجسور والمطارات ، ومحطات المياه
والكهرباء .

١٠- إرهاب حكومات دول مجلس التعاون الخليجي بالإنفاق على تلك
المواجهة ، وفي مقدمة هذه الدول المملكة العربية السعودية ؛ فقد تجاوز
إنفاقها من أغسطس ١٩٩٠م حتى أغسطس ١٩٩١م أربعين مليارا من

الدولارات ؛ وكذلك كان حال الكويت ؛ فقد أنفقت على الحرب وإعادة بناء الكويت أكثر من خمسين مليار دولار .

١١- الضرر الفادح الذي أصاب أكثر من ثلاثمائة ألف فلسطيني كانوا يعيشون في الكويت بعد أن أجبرهم ياسر عرفات وممثلوه في الكويت في أثناء الاحتلال على تأييد صدام والتهاتف له في التظاهرات التي أشرف عليها رجال مخابراته .

١٢- الخلاف الذي شجر بين قادة الدول العربية في مؤتمر القمة الذي انعقد بعد الغزو في القاهرة وأدى إلى تشجيع صدام حسين على البقاء في الكويت ليحل بالعراق ما حل ، مازالت ذبوله باقية إلى اليوم ، فالدول التي ساندت العدوان بحجج واهية تعاني اليوم أشد المتاعب وتنعت حتى هذه الساعة بدول الضد ؛ وفي هذا ما فيه من تصدع للتضامن العربي .

ولم تكن الكوارث التي مر ذكرها هي وحدها التي خلفها الاعتداء الأثم وراءه ، ولكنها الأشد والأعتى ؛ فهناك كوارث كثيرة تحتاج إلى حديث طويل ، ومع ذلك فإن على الغياري من قادة هذه الأمة ومفكرها وأدبائها وشعرائها أن يثيروا همم الشعوب العربية للنهوض والوقوف بصلافة والسير بشجاعة نحو الأهداف الجليلة ، وفي مقدمتها إعادة التضامن العربي إلي ما كان عليه قبل العدوان الغادر ومساعدة شعب العراق على التخلص من طغيان الديكتاتورية الغبية المدمرة ، والعيش في ظل الديمقراطية والتعددية الحزبية والكرامة الإنسانية ، والوقوف بحزم في وجه الصلف الصهيوني الذي فضح نفسه أمام حكومات وشعوب العالم لانتزاع الحق الفلسطيني على أساس قرار التقسيم

الصادر عام ١٩٤٧م على الرغم مما في هذا القرار من ظلم لأهل الأرض الشرعيين ومحاباة للصهيونية العالمية .

والأهداف هذه ما هي إلا وسيلة لدخول القرن القادم المليء بالتحديات ولعل من أهم هذه التحديات القدرة على مشاركة الدول المتقدمة في صنع حضارة جديدة تعتمد على تعايش الأديان والحضارات وشعوب العالم أجمع فكلنا من آدم وآدم من تراب وأخيرا فإننا لانملك في هذه الذكرى الأليمة - ذكرى العدوان الغادر الفاجر على الكويت - فجر الثاني من أغسطس ١٩٩٠م إلا أن نترحم على شهداءنا الأبرار الذين سقطوا دفاعا عن تربة هذا الوطن الغالي العزيز ، ونشارك كل بيت في البكاء والآلام حين يتذكر ابنا من أبنائه صرعه ضباط صدام بمسدساتهم أمام باب منزله أو فتاة حملوها إلى أهلها وقد تمزق جسدها بطلقات الرصاص بعد الاعتداء الخسيس على شرفها وهي تحت التعذيب بحجة أن هؤلاء الشباب أعضاء في المقاومة الشعبية ومن المؤلم والمخزن في آن واحد أن نقارن بين العدو الصهيوني ، وهذا الشقيق الذي قدمنا له ما لا تستوعبه المجلدات في أثناء تورطه في إيران علي مدى ثماني سنوات ؛ فنجد أن الصهاينة لم يعدوا فلسطينيا واحدا ويكتفون بالمحاكمات والسجن بينما الشقيق استحل دماءنا بكل حقد واستهتار على مدى سبعة أشهر مرت كأنها سبعة عقود ؛ ومازلنا نعاني الآلام ونذرف الدموع .

من بعيد

١- أذهل العالم من أقصاه إلى أقصاه مصرع الطفل محمد الدرة وهو يحاول الاحتماء بأبيه بجانب كتلة من الحجارة وقد حالف التوفيق المصور الذي التقط الصورة وكان على بعد عشرين مترا يتابع المشهد المثير المفجع من أول الهجوم الذي نفذه الجنود الإسرائيليون على الهدف البريء المسالم حتى لفظ الطفل محمد الدرة أنفاسه وهو قابع بجانب أبيه وصعدت روحه الطاهرة إلى السماء تشكو بغى الأندال الجبناء حثالات الشعوب .

أما الأب فقد ذهبت إشارات المتكررة للجنود بعدم الاستمرار في إطلاق الرصاص نحوه ونحو ابنه الصغير سدى ؛ فنالته رصاصات البغي في أكثر من موضع من جسمه ؛ فحمل إلى المستشفى ونقل ابنه الصغير إلى القبر ، ونشرت هذه الصورة المفجعة في جميع أرجاء العالم فجردت إسرائيل مما تدعيه زورا وبهتانا من ديمقراطية ورغبة في السلام .

لقد كان تمزيق جسم الفتى محمد الدرة الذي لم يتجاوز العاشرة دليلا على وحشية هذه الحثالات التي جمعها الاستعمار الإنجليزي من جميع أقطار الدنيا منذ بداية الانتداب على فلسطين عام ١٩١٧م حتى قرار التقسيم عام ١٩٤٧م وقد كان الإنجليز ومن خلفهم الأمريكيون على علم بما تحمل تلك الهجرة اليهودية لفلسطين وللعرب أجمع من قلق واضطرابات ؛ فالطائفة اليهودية

معروفة بالتآمر والحقد وكرهية من يعيشون بينهم ، وقد عاشت عبر التاريخ على الكذب والخداع والتزوير والدعاوى الفارغة الجوفاء ؛ فهي أمة مقدسة كما تزعم ، ولها إله خاص بها اسمه «يهوه» ومملكتها يجب أن تمتد من النيل إلى الفرات ، وقد أمرها «يهوه» أن تقتل الفلسطينيين رجالا ونساء وشيوخا وأطفالا وأن تقتل معهم مواشيهم ؛ فلا تترك غنما ولا بقرا ولا جمالا ولا حميرا كل حيوان للفلسطينيين يجب أن يقتل ؛ إلى غير ذلك من الهذيان الذي كتبوه في التوراة المزعومة وهم على ضفاف الفرات يبنون لبختنصر الجنائن المعلقة بعد أن ساقهم أسرى من فلسطين ودك هيكلهم استجابة لنداء وجهه إليه الفلسطينيون في منتصف القرن السادس قبل الميلاد .

إن من يطلع على التوراة المزعومة التي ينهل منها المتعصبون اليهود يقتنع تماما بأن الذين كتبوها قد كتبوا من وحي أفكارهم ما يروق لتلك الأفكار المهزومة المطرودة من فلسطين لقد سطوروا هذيانا يمجج الذوق ويرفضه العقل ولا يرضى به الطبع السليم ، ولقد كان موقفا كل التوفيق ابن حزم الأندلسي في كتابه «الملل والنحل» حين قال عن هذه التوراة المزعومة : «لأدري من الذي كتب لهم هذا الهذيان الهابط وسخم به وجوههم» . والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز ﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ﴾ [البقرة : 79] فالتوراة لا تخرج عن كتاب تاريخ لليهود كتبه جهلة بدائيون ملئت قلوبهم حقدا على شعوب العالم وخصوا الفلسطينيين بالنصيب الأوفى من هذا الحقد ، ويلمس القارئ اللبيب التشبث بفلسطين استنادا إلى قول إلههم «يهوه» «أرضك يا إسرائيل من النيل إلى الفرات» ؛ أما إهدار دم الفلسطينيين وقتل أطفالهم فقد

نزل به الأمر من يهوه حين قال لهم : اقتلوا الفلسطينيين رجالا ونساء شيبا وشبانا وأطفالا واقتلوا مواشيهم معهم لا تتركوا غنما ولا جمالا ولا بقرا ولا حميرا .

ومن هذا يعلم القارئ العربي أن قتل الفلسطينيين واجب ديني لدى هذه الطائفة الملعونة التي ضاقت بها أقطار العالم فساقها الاستعمار إلى فلسطين ، وبالتالي لا غرابة فيما رأينا من تصميم الجنود الإسرائيليين على قتل الطفل محمد الدرّة على ذلك النحو من الحقد والخسة والنذالة ، فقد كان محمد الدرّة يسير مع والده لشراء شيء من الدكان وحوصر في ذلك الموقع وسدد إليه وإلى والده أذال الصهيونية الجبناء رشاشاتهم وأخذوا يطلقون إليهما القذائف بغزارة والوالد يحتضن ولده ويرفع يده طالبا الكف عن إطلاق الرصاص ولكن التوراة قد أمرت بقتل جميع الفلسطينيين لافرق بين كبير وصغير ؛ فاستشهد محمد الدرّة ونقل والده وهو بين الحياة والموت إلى المستشفيات .

ولا غرابة أيضا إذا ما قتل هؤلاء الجبناء المدججون بالسلاح زهاء مائة وخمسين شابا وطفلا من أبناء فلسطين ؛ وجرحوا أكثر من ثلاثة آلاف من المتظاهرين خلفت الجراح في أكثر من ثلاثمائة منهم عاهات خطيرة أفعدتهم عن الحركة .

فأي سلام يرتجى من هؤلاء الذين كنسهم هتلر إلى ديارنا العربية .

٢- جميع المناضلين في العالم يحملون السلاح ويفاوضون إن دُعا إلى التفاوض ؛ فليس بعيب أن يلبي ياسر عرفات دعوة الرئيس حسني مبارك لحضور قمة شرم الشيخ ؛ فالتنديد بالقمة قبل أن تعقد تسرع لا يجوز أن يصدر عن مسؤول ؛ إلا إذا كان من عشاق المزيادات .

لقد كان زعماء فيتنام يقودون ذلك النضال الجبار ويركضون نحو التفاوض كلما دعوا إليه ؛ فالهدف خروج الجيش الأمريكي من ديارهم ووصلوا إلى ما أرادوا دون أن يخرج منهم من يقول هذا الاجتماع مؤامرة أو هذا التفاوض خيانة .

إن المهم في هذه المرحلة أن يجمع القادة العرب على استنقاذ حقوق الفلسطينيين كاملة غير منقوصة من أيدي هؤلاء الأشرار ، ومصر عبر تاريخها الطويل قائدة مخلصه للنضال العربي هكذا كانت أيام التتار وهكذا كانت أمام الصليبيين ، وهكذا كانت في أثناء منازلتها الاستعمار الغربي في البلاد العربية في القرن العشرين حينما طارده من بلد إلى بلد حتى قضت عليه .

وأسأل الله - وأنا أكتب هذه الأسطر من بعيد صباح الاثنين موعد انعقاد القمة - أن تقنع القمة الكلاب الضالة التي ولغت في دماء الفلسطينيين طويلا بوجوب الانسحاب إلى حدود الرابع من حزيران ١٩٦٧م وإلا فلننتظر المزيد من المواجهات الدامية المثيرة .

٣- خطف الطائرة السعودية أو أية طائرة مدنية في العالم عمل إرهابي خطير لا يجوز التساهل فيه ، وطلب اللجوء السياسي ميسر بالطرق المألوفة ؛ فكان باستطاعة هذين الخاطفين أن يسافرا إلى الأردن ثم يتوجهان إلى بغداد إن كانا يطلبان العيش في جنة صدام .

إننا لم نسمع من قبل أن سعوديا طلب اللجوء السياسي لدى أية دولة من دول العالم ؛ فالمملكة السعودية تعيش فترة النهوض والتحول الاجتماعي على نحو يثير الإعجاب .

إن هذين الشابين يعانيان دون شك بعض المتاعب الشخصية أثرت على تفكيرهما وجعلتهما يقدمان على ما أقدمنا عليه وهما في ذروة فقدان التوازن ؛ وإلا كيف نفسر لجوءهما إلى بغداد في الوقت الذي أصبحت فيه بغداد تندب علماءها وأدباءها وأطباءها ومفكراتها وشعراءها ومهندسيها بعد أن غادروها إلى جميع بلدان العالم هرباً من طغيان حكم صدام ؛ وماذا يفيد هذين الشابين اللجوء السياسي في بغداد ؛ فهما إرهابيان في نظر القانون الدولي ؛ وحكومة صدام مدرجة في قائمة الدول الراحية للإرهاب والمصدرة له أيضاً وسيعود هذان الشابان إلى المملكة العربية السعودية في وقت ما طال الزمن أم قصر ؛ فالخروج على القانون محاصر في جميع أنحاء المعمورة .

غوبلز يتكلم

وقف وزير الأمن الإسرائيلي متحدثا في جمع من اليهود الأمريكيين في مدينة نيويورك منذ أيام قلائل وأطلق ما شاء من النعوت الحاقدة على المقاومة الفلسطينية مدعيا أنها إرهابية تستمد نشاطها من أسامة بن لادن وصادم حسين وقادة طهران ، وقال فيما قال أيضا «إن الفلسطينيين الإرهابيين يحاولون فرض أمور علينا ونحن غير مستعدين لقبولها» ، وقد قفزت إلى خاطري حين شاهدت جسمه الضئيل ، وسمعت كذبه الثقيل صورة غوبلز وزير الدعاية النازية أيام الزعيم النازي هتلر ؛ فقد بدا هذا الوزير الصهيوني نسخة طبق الأصل من ذلك البهلوان النازي الذي كان يكذب ويكذب حتى يصدق نفسه ثم ماذا؟ ثم ذهب غوبلز وهتلر وذهبت أكاذيبه ودعاواه وأفعاله إلى مزبلة التاريخ .

إن العالم بأسره يعلم أن الفلسطينيين ليسوا بإرهابيين وليس لهم ولا لأصولهم صلة بالإرهاب ؛ فلا أجدادهم الأوائل قتلوا الأنبياء ، ولا هم في هذا العصر معتدون على أحد . لقد عاش الفلسطينيون في وطنهم فلسطين آلاف السنين ، ولما جاءتهم هذه الشرذم الصهيونية رفضوا قبولها في وطنهم ؛ فجاد عليهم بلفور بوعده سنة ١٩١٧م ومكنهم المندوب السامي البريطاني من القدوم والاستيطان بقوة الحديد والنار وكان ما كان من أمر التقسيم عام ١٩٤٧م ، وإذا كانوا يريدون أن يتشبهوا كذبا وحماقة بالماضي البعيد ، فالتوراة تقول إن الأوائل

من بني إسرائيل قدموا من مصر بقيادة موسى وأخترعوا لأنفسهم إليها خاصا بهم سموه «يهوه» فضلهم على سائر البشر ووعدهم بانتزاع فلسطين من سكانها الفلسطينيين لتكون هدية لهم منه ؛ لأنهم شعب الله المختار .

إن هذه الأكاذيب المنسوبة إلى إلههم «يهوه» لا تحظى بتصديق أحد في جميع أنحاء الأرض ، وإذا كان كتبة التوراة قد ضحكوا على أبنائهم وأحفادهم بما كتبوا من أكاذيب وهم في الأسر ببابل على ضفاف الفرات فإن جميع المنتورين من اليهود لا يعترفون بهذا الهراء ، ولقد أعجبنى ذلك الحاخام الذي وقف أمام البيت الأبيض في تظاهرة نظمها العرب في واشنطن منذ أكثر من شهر وقال صح لسانه «لماذا هذا البطش بالفلسطينيين إن الأرض أرضهم أساسا ونحن اليهود نعيش في الأوطان التي نستقر فيها» ، وفي اعتقادي أن الاستعمار الغربي أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين مسؤول عما حدث ويحدث من ظلم لشعب فلسطين ؛ هذا الشعب المعتدى عليه صباح مساء أمام سمع الدنيا وبصرها ولا أشد مما اقترفه شارون بجيشه النازي الجبان مساء يوم الجمعة الماضي ردا على الضربة الانتحارية التي نفذها أحد شبان منظمة حماس في مجمع تجاري في بلدة نتانيا فقد قامت طائرات الفانتوم بتهديم البيوت على رؤوس السكان وذهل العالم لدى رؤية الدمار الذي حل بالشعب الأعزل الرفض للاحتلال والاستيطان .

إن ترديد الحكايات التوراتية السخيفة حجة على الصهيونية الآثمة فهذه الحكايات تعترف صراحة بأن فلسطين لها شعب رفض قبول بني إسرائيل حين قدموا من مصر بقيادة موسى كما أن الأمر الصادر عن إلههم «يهوه» بقتل

الفلسطينيين رجلا وامرأة طفلا ورضيعا بقرا وغنما جملا وحمارا ليؤكد بما لا جدال فيه أن هذا الإله قد اخترعه الفكر اليهودي الحاقدي بعد الأسر البابلي؛ إذ لا يجوز أن يصدر هذا الأمر عن رب العالمين الرحمن الرحيم، وليطلع على هذا الأمر الدموي الرهيب من شاء فهو في الإصحاح الخامس عشر من سفر صموئيل الأول من كتابهم التوراة، ورحم الله ابن حزم الأندلسي حين قال عن هذه الأكاذيب المعروفة بالتوراة في كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل «فوضح يقينا لكل من له أدنى فهم أنها ليست من عند الله تعالى، ولا من أخبار نبي، ولا من تأليف عالم يتقي الكذب ولكنها بلا شك من عمل كافر مستخف ماجن سخر بهم، وكتب لهم ما سخم الله به وجوهم» .

والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز «فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون» [البقرة : ٧٩] .

ولنرجع الآن إلى غوبلز الصهاينة وزير الأمن في حكومة شارون فقد زعم أمام ذلك الجمع من اليهود أن حكومة تل أبيب حكومة ديمقراطية متحضرة؛ أما كونها ديمقراطية فهذا كذب؛ فالديمقراطية لا تعيش في ظل النازية، ذلك أن كل ما يصدر عن الصهيونية الباغية في تل أبيب من أفعال وحشية يدل بوضوح على أنها شقيقة النازية قد رضعنا من ثدي العنصرية والاستعلاء والطغيان والظلم؛ وأما كون حكومة شارون متحضرة، فقد أجمع العالم بعد أن رأى ما رأى على أنها الهمجية والنوحشية والبربرية على نحو يصدم حضارة هذا العصر .

ومن المؤسف أن الإدارة الأمريكية تقف مكتوفة اليدين أمام جرائم شارون وتلوح بين حين وآخر باستعمال حق النقض في مجلس الأمن لإجباط أي قرار يردع هذه العريضة الصهيونية ناسية أن هذا الموقف يلحق الضرر بالمصالح الأمريكية في جميع البلدان العربية والإسلامية ويدفع المتطرفين إلى المزيد من التطرف .

إن حل قضية فلسطين مرهون بكلمات محدودة تعلنها الإدارة الأمريكية بحسم وحزم ، ألا وهي وجوب انسحاب إسرائيل من جميع الأراضي التي احتلت عام ١٩٦٧م وعودة اللاجئين إلى مدنهم وقراهم وتعويض من لا يريد العودة منهم ، وقد صدرت قرارات صريحة وواضحة من مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة بهذه الأمور ؛ فلا مجال والحالة كذلك للمفاوضات التي لم تجلب للفلسطينيين خلال السنوات التي مضت غير الألم والحزن والإجباط .

إن قول غوبلز الصهاينة إن الفلسطينيين الإرهابيين يريدون من إسرائيل التنازل عن أشياء هم غير مستعدين لها قول سخيف يحتقره جميع العقلاء الشرفاء في العالم ، فالانسحاب من الأراضي الفلسطينية مطلوب تنفيذه فوراً ؛ إذ لا يجوز الاستيلاء على أراضي الغير بالقوة ، ورفض الانسحاب فيه تمرد على مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة والمجتمع الدولي بأسره ، وعلى الولايات المتحدة الأمريكية ألا تكيّل بمكيالين إن أرادت الاحتفاظ بصداقة الدول العربية والاهتمام بمصالحها الضخمة في هذه المنطقة .

ختاماً لا يفوتني أن أحيي السيدة حياة عطية على ما قدمت من حجج قوية في ندوة قناة الجزيرة الأسبوع الماضي سحقت بها المزاعم المريضة التي قدمها

بحماسة متخاذلة ذليلة السيد العفيف الأخضر فقد كانت تكرر عليه كفارس
شجاع مستبسل مؤمنة إيماننا لا يتزعزع بعدالة قضيتها - قضية العرب جميعا -
واثقة بانتماؤها العربي القوي ، مطمئنة إلى انتصار الحق على صخب الباطل .
وأكثر الله من أمثالها في نساء الأمة العربية .

أهلاً بالعيدين

- ١ -

يوم الخامس والعشرين من فبراير يومٌ عظيمٌ في تاريخ الكويت ؛ ففيه العيد الوطني عيد استقلال البلاد بعد إنهاء معاهدة الحماية في الحادي والعشرين من يونيو سنة ١٩٦١م ، وبعد الاحتفال به في هذا الموعد تقرر أن ينقل إلى الخامس والعشرين من فبراير ليقترن بعيد جلوس الشيخ عبدالله السالم رحمه الله ؛ ففي عهد هذا الشيخ العظيم حدث التغيير الكبير فقد انتقلت الكويت من مشيخة إلى دولة مستقلة ذات دستور وقوانين ومجلس نيابي منتخب انتخاباً حراً ولا عجب في هذا فقد جاءت الظروف بأحداث متلاحقة في البلاد العربية ؛ دفعت عجلة التغيير نحو الأمام ، وشاءت مغامرات الجهل والرعونة والعنجهية أن تُغزى الكويت فجر الثاني من أغسطس ١٩٩٠م بجيشٍ عرمرم حسبناه جيشنا ؛ حينما هب يصد هجمات جيش إيران عن أراضيه على مدى ثماني سنوات ؛ فقد مناله أكثر مما كان يتطلع إليه ، وعشنا في أثناء الغزو الأثم سبعة أشهرٍ مشردين تحت كل كوكبٍ نجاهد بما نستطيع ، وعاش أهلنا وأحبابنا داخل الكويت يتجرعون البطش والإرهاب والتنكيل ويشهدون ما حل بالبلاد من عبثٍ وتدميرٍ وتخريبٍ ، وكانت قلوبهم عامرة بالإيمان على الرغم من هول الكارثة واشتداد المحنة ؛ فالمقاومة الشعبية تضيء الأمل في النفوس ، والحشود

العسكرية المتدفقة من دول العالم تبشر بقرب المواجهة الحاسمة والملاقاة ، وكانت الضربات الجوية في السابع عشر من يناير على معسكرات الطغاة في بغداد ومنشأتهم الحربية إيذاناً بمقدم الخلاص ، وفي الساعة الرابعة من فجر يوم الرابع والعشرين من فبراير بدأ الهجوم البري لتحرير الكويت من قبضة الطاغية المعتوه ، وفي فجر السادس والعشرين من الشهر نفسه سقطت مدينة الكويت بيد قوات التحالف ، ولقي الجيش العراقي الهارب من المواجهة على طول الطريق تدميراً لا يوصف .

إننا لا نستطيع أن نهناً بأفراح العيد المزدوج - عيد الاستقلال و عيد التحرير - وأسرانا في سجون الطاغية ناكر الجميل ؛ ودعائنا إلى الله أن يعيد هذه الأفراح في قابل وهم بيننا يشاركون إنه على كل شيء تقدير .

- ٢ -

مبادرة الرئيس حسني مبارك بزيارة لبنان صباح السبت الماضي ضربة معلم كما يقال أحيانا ؛ ولقد كنت أتوقع شيئاً مهما من القاهرة ذات الريادة والقيادة ، وكم كنت أود لو أن أكثر من مسؤول عربي قد فعل كما فعل حسني مبارك ومع ذلك فقد كان جميع القادة العرب على رأي واحد مع لبنان ، وكان للكويت موقف مميز على الصعيدين الرسمي والشعبي . لقد كان الوقوف إلى جانب لبنان وهو وحده اليوم يخوض حرب استنزاف للعدو النازي المتعجرف واجبا قوميا يفرضه المصير الواحد للأمة العربية ، ومن الوقاحة أن يحتج وزير الخارجية الإسرائيلي دافيد ليفي على زيارة الرئيس حسني مبارك للبنان ناسياً أن لبنان جزء لا يتجزأ من الجسد العربي ، والاعتداء عليه اعتداء على الأمة العربية من المحيط

إلى الخليج ، وإذا كانت هذه الشراذم المملقة من جميع الأصقاع تريد أن تسحب جيشها من لبنان فلم لاتسحبه حالا إذعانا لقرار مجلس الأمن القاضي بالانسحاب دون قيد ولا شرط ؛ أما استمرار الاحتلال فلا يعني غير استمرار المقاومة أليس كذلك يا بيل كليتون؟ !

إن عنجهية إسرائيل لم تصدم بمثل هذا الهوان منذ حرب أكتوبر عام ١٩٧٣م ففي تلك الحرب الخاطفة فقدت إسرائيل جميع المواقع المتقدمة في سيناء والجولان وأخذت تستصرخ حليفاتها الغبية مطالبة بالنجدة السريعة وإلا لجأت إلى بعض ما لديها من أسلحة الدمار الشامل ، ومدت الولايات المتحدة الأمريكية جسرا جويا من معسكراتها في أمريكا إلى أرض المعركة في سيناء ، وتدفقت الأسلحة المتطورة التي لم تستعمل من قبل إلى الجيش الصهيوني المتقهقر لتعيد إليه التوازن ، واستفاد العرب من حرب أكتوبر كما استفادوا من نكسة حزيران ، وأصبحت أسلحة الدمار الشامل غير مستعصية على العرب فهي اليوم في متناول كثير من الدول العربية ، ولم يبق إلا أن تختار إسرائيل بين استمرار المعارك وحفر القبور وبين السلام العادل والشامل والانصراف نحو التنمية والبناء والأمان والاطمئنان والذي نراه أن باراك يريد السلام غير أنه يريد الأرض أيضا فعقدة الحلم الصهيوني تلازم باراك ، وبغير ضربات حزب الله لن يفيق هذا المعتوه .

لقد ملأت الصهيونية العالم تبجحا وضجيجا بعد نكسة حزيران واجتاحتنا هنا في الكويت كميات ضخمة من النشرات الملونة ذات الإحصاءات الكاذبة عن نفقات الجيوش العربية ، وتسليحها ؛ مع دعوة العرب إلى مد اليد نحو

إسرائيل فقد كانت الصهيونية العالمية تعلم أن موازين القوى ستتغير لا محالة وليس من الصواب الاعتقاد أن الغفلة ستلازم من غفلوا عن الحراسة صباح الخامس من حزيران ، ولقد رمينا بتلك النشرات الملونة الأنيقة في صناديق القمامة بعد أن فر كناها بأحذيتنا ، وكانت بطولات الصناديد في حرب الاستنزاف التي أشعلها قائد المسيرة القومية عبدالناصر تزيدنا إيمانا بالأمة العربية الخالدة ، وبقدرتها على هزيمة الأعداء .

أما الماركسيون والشيوعيون فقد وجدوا في تلك النكسة ضالتهن المنشودة فزعموا أن القومية العربية يجب أن تتراجع وتترك الساحة للماركسية والشيوعية وخاضوا معاركهم خارج آمال وتطلعات الشعوب العربية ، ورقصت إسرائيل للتجريح الذي أصاب مسيرة القومية العربية ، ونشطت أبواقها في البلدان الأوروبية والأمريكية مشهورة بنضال الشرفاء ممن قدموا أرواحهم رخيصة من أجل عز العروبة وكرامتها ؛ غير أن كثيرا من العقلاء المتحررين من ألعاب الصهيونية رفضوا تصديق ذلك الغرور المزدول وكان في مقدمتهم شارل ديغول الذي بادر إلى منع بيع السلاح لإسرائيل .

لقد كانت حرب ١٩٦٧م أشبه ما تكون بالألعاب البهلوانية فقد توقفت قبل أن تبدأ ، وكان لساعة الغفلة التي استغلتها إسرائيل صباح يوم ٥/٦/١٩٦٧م أثر عظيم في مجريات الأمور ؛ فتحطمت الطائرات المصرية وهي جاثمة على الأرض واضطربت القيادة العسكرية فسحبت الجيش إلى غرب القناة ثم التفت عبدالناصر نحو بناء الجيش فطرد عددا من القادة المقصرين وواصل الليل بالنهار يُعدُّ لمصر جيشا حديثا بكل ما تعنيه لفظة الحداثة من معنى ، وكان نصر أكتوبر

وكان جلاء إسرائيل من سيناء بعد أن فهمت أن العرب يجيدون المباغتة أيضا وليست وحدها في الميدان .

ولاننسى أن جميع الأمم معرضة لخسائر معركة من المعارك في أثناء منازلة الأعداء غير أنها لا تستسلم ، ومثل نكسة حزيران قد حدث للأسطول الأمريكي في المحيط الهادي في الحرب العالمية الثانية حينما انقضت عليه أسراب الطائرات اليابانية الانتحارية ومزقته شرمزق ، وصدّم الأمريكيون صدمة عنيفة غير أن النصر في النهاية كان حليف الأمريكيين ؛ وكلنا يتذكر هزيمة البريطانيين في معركة دنكرك حينما هرب الجنود البريطانيون تاركين أسلحتهم للألمان ؛ وصمم البريطانيون على النصر وانتصروا مع حلفائهم على الألمان .

وإذا كان التحذير من ترديد نكسة حزيران واجبا قوميا كي لا نخدم الإعلام الصهيوني من حيث لا نعلم ؛ فإن ترديد الحروب الأربع التي خاضها العرب ضد إسرائيل كذبة كبرى تسقط لدى مناقشة كل حرب على حدة ؛ فحرب ١٩٤٨م حدثت تحت إشراف الإنجليز وقد طلب من القادة نوري السعيد والملك عبد الله والملك فاروق أن ينفذوا قرار التقسيم . أما حرب ١٩٥٦م فقد دخلتها إسرائيل مع فرنسا وبريطانيا للاستيلاء على قناة السويس وإسقاط عبد الناصر وقد خرجوا جميعا من مدن القناة مذمومين مدحورين ، وحرب ١٩٦٧م ليست حربا لأنها لم تقم أصلا وقد سبق عنها الحديث ولم تبق غير حرب أكتوبر فهي وحدها التي تستحق الاهتمام .

ومن المهم جدا ألا نكون بمثابة الكورس نردد ما تذيعه الصهيونية العالمية ، وعلينا أن نوظف ما نملك من قدرات لشحن إيمان المواطنين بالمزيد من الإيمان ؛

فنحن أرباب حق ، وترديد هزيمة حزيران كما تسميها إسرائيل يصب في صالح الإعلام الإسرائيلي ولنتذكر أن المسلمين قد ذاقوا النكسة في معركة أحد وأشاع اليهود والمنافقون ما أشاعوا وكان لمحمد ولصحبه بعد ذلك النصر المين .

- ٣ -

انتصار الإصلاحيين بزعامة رئيس الجمهورية الإيرانية السيد محمد رضا خاتمي في الانتخابات الإيرانية يبشر الشعب الإيراني وشعوب الخليج العربي بخاصة ودول العالم أجمع بمرحلة جديدة بعيدة عن معاناة الفترة السابقة التي ستطوى إلى غير رجعة إن شاء الله . إن الشعب الإيراني يستأهل أن يبني حياته بعيدا عن الشعارات التي أنهكته علي مدى عشرين عاما ؛ وهذا التحول قد جاء بعد أن أدرك العقلاء في إيران أن أحلام الفقهاء شيء وأحلام الشباب شيء آخر ؛ وأن برامج السياسيين والاقتصاديين لا تتفق مع مواضع الفقهاء المستمدة من كلام هذا الإمام أو ذلك . إننا نعيش في عصر متغير والرسول الكريم قال : «أنا أعلم منكم بدينكم وأنتم أعلم مني بديناكم» .

إن إقحام الدين في السياسة خطأ جسيم ، وهو مجلبة للكثير من المتاعب ، ولا شك في أن العقلاء من قادة إيران قد فكروا طويلا فيما جنوه من نظرية ولاية الفقيه وتصدير الثورة ؛ هذه النظرية التي دمرت علاقة إيران بالدول القريبة والبعيدة ، وشردت مئات الألوف من الإيرانيين النابيهين في مختلف دول العالم .

ولا يسعني إلا أن أهني السيد الجليل محمد رضا خاتمي بالنصر المؤزر ، وليسرع في بناء الدولة الحديثة ويكفي ما تم هدره من وقت وجهد وأموال .

الرأي العام تسأل

وأحمد السقاف يجيب

- كنت مدرسا في الأربعينيات ؛ فمديرا المدرسة كبيرة في ذلك الوقت هي المدرسة الشرقية ، وفي الخمسينيات نقلت إلى إدارة الأوقاف ؛ ثم نقلت إلى إدارة المطبوعات والنشر ، وعينت وكيلا لوزارة الإعلام عام ١٩٦٢م وفي عام ١٩٦٦م صدر مرسوم بتعيينك عضوا منتدبا للهيئة العامة للجنوب والخليج العربي تحت رئاسة الشيخ صباح الأحمد نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية ؛ حدثنا عن هذه المحطات .

لكل محطة من هذه المحطات طعم خاص ، والموظف القادر على العطاء لا يعدم المجال الفسيح ، والتدريس رسالة شريفة وليست مهنة كما يعتقد بعض الناس ؛ إنها تحتاج إلى البذل والصبر والمعاناة ، وقد بقيت في هذه الرسالة الجليلة عشر سنوات من ربيع ١٩٤٤م حتى خريف ١٩٥٤م حينما نقلت إلى إدارة الأوقاف ، ولا شك في أن السنتين اللتين حظيت بهما في الأوقاف كانتا بمثابة الاستجمام بعد التعب الذي تجاوز الحدود ؛ فالعمل في الأوقاف خفيف ، ويتتهي بعد الساعة الواحدة ظهرا خلافا لإدارة المدرسة التي كانت تستحوذ على النهار كله من الصباح حتى المساء ؛ فالتدريس كان على فترتين صباحية ومساءلية وأعباء ناظر المدرسة توجب عليه أن يترك مكتبه بعد خروج جميع المدرسين والطلاب ، وانتهاء النشاط المدرسي ، وكان هذا النشاط المدرسي لا يتتهي إلا بعد العشاء .

إنني أقول دون مبالغة إن العمل في إدارة الأوقاف عمل مبارك وكان للستين
أثر كبير في وضعي المالي ؛ فقد صدر قانون الوظائف العامة لجميع موظفي
الدولة لأول مرة في مطلع ١٩٥٥م وقد قسمت به إدارات الدولة إلى «أ» و«ب»
فجعلوا إدارة الأوقاف في درجة «ب» فنصحت المدير العام رحمه الله برفض
قبول هذا التصنيف لأن لكل إدارة اختصاصا مهما لا يستغني عنه ؛ فوافق وبقينا
على رواتبنا السابقة وبعد أحد عشر شهرا اتصل بي الأستاذ أحمد السيد عمر
نائب مدير المالية وأبلغني موافقة اللجنة التنفيذية العليا على المساواة بإدارات
الدولة واحدة لافرق بين هذه وتلك ، وبعث بفروقات الرواتب منذ مطلع يناير
١٩٥٥م حتى آخر ديسمبر ، وجاءت فروقات راتي مغرية وكانت في حدود
عشرة آلاف روبية وهذا مبلغ كبير في ذلك الوقت ولم يتركني صديق في
الأوقاف أن أحمل المبلغ فاخطفه مني وهو يقول إنك ستصرفه خلال شهرين أو
ثلاثة ومن المفيد لك شراء أرض ، وتشاركنا في شراء أرضين إحداهما في أبرق
خيطان ، والثانية في الفنطاس ، وبعنا أرض أبرق خيطان بريح يسيل له اللعاب ،
أما أرض الفنطاس فقد شملها التثمين ثم اشترت أربعة آلاف متر مربع في
الجابرية ، وكانت الفرصة سانحة لقفزات مالية ممتازة غير أن بناء البيت عجل في
بيعها ، فلم تكن هناك في تلك الأيام قروض للمواطنين ولا بنك للتسليف
والادخار ، ثم جاء الانتقال من الإدارة المباركة -الأوقاف- إلى إدارة المطبوعات
والنشر ، وانتهى اهتمامي بمصاحي الشخصية ، فدائرة المطبوعات والنشر أو إدارة
المطبوعات والنشر كانت النواة لوزارة الإعلام ، وتتابع الإنجازات بإنشاء مطابع
الحكومة مشروع حضاري مهم في مسيرة الثقافة ، وإصدار مجلة على مستوى
الوطن العربي كله عمل قومي فريد من نوعه في تلك الظروف التي لم تسمح

لأية دولة عربية بإصدار مجلة ثقافية أنيقة تهدي إلى جميع العرب ، والسعي
المندفع نحو إنشاء محطة للتلفزة ، واستقبال محطة الإذاعة الصغيرة من إدارة
الأمن العام لتطويرها وتقوية بثها وجعلها صوتا مجلجلا بين الأصوات العربية
المنطلقة من أقاليم الوطن العربي الكبير ، وإصدار قانون المطبوعات والنشر ،
والترخيص لبعض الصحف بالصدور والاستعداد للاستقلال ، وإلغاء معاهدة
الحماية المبرمة بين مبارك الصباح والإنجليز عالم ١٨٩٩ م . ولما حصلت الكويت
على الاستقلال في ٢١ يونية حزيران ١٩٦١ م تضاعف العمل والجهد ، ووقفنا
كالسد في وجه مطامع المعتوه عبدالكريم قاسم ، وفندنا مزاعمه السخيفة بكل
سهولة ويسر ؛ فالعراق لم يخرج من هيمنة الآخرين إلا صيف ١٩٥٨ م بعد نجاح
ثورة عبدالسلام عارف فقد كان خاضعا للفرس قبل الإسلام على مدى ألف سنة
وبعد ذلك دخل في الدولة العربية الممتدة من حدود الصين إلى حدود فرنسا
وبعد سقوط الخلافة العباسية دخل في حوزة الفرس من جديد ثم سقط تحت
الحكم العثماني ، وفي عام ١٩١٦ م دخله الإنجليز وبفضل ثورة الفرات عام
١٩٢٠ م نقل إليه الشريف فيصل الأول من الحجاز ليكون عليه ملكا خاضعا
للانتداب البريطاني واستقل استقلالاً منقوصاً في مطلع الثلاثينيات ، وبقيت فيه
القواعد الإنجليزية واستمر الحال على هذا المنوال حتى صيف ١٩٥٨ م ففي أية
فترة التحقت الكويت بالعراق ؟ !

لقد جاء في الكامل للإمام العلامة عمدة المؤرخين ابن الأثير أن مرتفع سفوان
هو الحد الفاصل بين العراق وجزيرة العرب وذلك في حديثه عن معركة ذي قار إذ
قال : إن كسرى ملك الفرس كتب إلى قيس بن مسعود الشيباني المعروف بذي
الجدين وكان مسؤولاً في طف سفوان - والطف ما ارتفع من الأرض - أن يمنع

القبائل العربية من دخول أطراف العراق كي لا تنجد هذه القبائل قبيلة بكر بن وائل ، وأن يتوجه هو نفسه نحو إياس بن قبيصة لمساعدته في القتال بعد أن وجه كسرى قائدين كبيرين هما الهامرزو وهرمز في أكثر من عشرين ألف مقاتل لقتال هذه القبيلة التي رفضت أن تسلم إليه ما ترك النعمان بن المنذر من أهل ومال وسلاح بعد قتله النعمان لرفضه تزويج ابنتيه من ولدين لهذا الطاغية ؛ فالحد الفاصل بين العراق والزاوية الشمالية الشرقية من جزيرة العرب المعروفة اليوم بالكويت هو مرتفع سفوان منذ العصر الجاهلي حتى هذه الساعة .

لقد كان تأسيس وزارة الإعلام أو كما كانت تسمى وزارة الإرشاد والأبناء عملا شاقا جدا بذلت فيها جهدا فوق الطاقة ، وتركتها إلى عمل قومي رفيع ؛ إنه الإشراف على بناء المدارس والكليات والمستوصفات والمستشفيات في البلدان المحتاجة من جزيرتنا العربية الغالية تحت اسم العضو المنتدب للهيئة العامة للجنوب والخليج العربي برئاسة الشيخ صباح الأحمد الجابر نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية . إنها أزهى فترة في حياتي ؛ فلا شيء يسر الإنسان من أن يرى طفلا يتعلم بعد أن كان محروما من التعليم ومريضا يشفى بعد أن كان يعتقد أن لا سبيل له إلى العلاج .

وقد مكنتني العمل في الهيئة العامة للجنوب والخليج العربي من أن أؤدي الواجب في وقف حرب دموية نشبت سنة ١٩٧٢م بين الجمهورية العربية اليمنية وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية واستمرت شهرا دون أن يحرز أحد الفريقين نصرا على الآخر وكان واضحا انحياز الاتحاد السوفيتي نحو جمهورية اليمن الديمقراطية بقيادة الماركسي المتشدد سالم ربيع علي ، وكانت صنعاء

مصرة على مواصلة القتال غير أن الأستاذ محسن العيني رئيس الوزراء ورئيس الدولة القاضي عبدالرحمن الإيراني قد أصغيا للنصيحة بتفهم كامل لما أحمل من حب وإخلاص لأبناء الجزيرة العربية كافة ، ورفضى أن تسيل تلك الدماء هدرا ؛ فاتصل الأستاذ العيني بسالم ربيع علي وأبلغه الموافقة على وقف القتال .

وقد عادت الزوابع بعد رحيل سالم ربيع علي ومجيء عبدالفتاح إسماعيل الذي شجع المخربين على العبث بأمن بعض أطراف الجمهورية العربية اليمنية ، وكادت تندلع حرب أشد لولا تدخل صاحب السمو أمير البلاد ، واستدعاؤه الرئيسين عبدالفتاح إسماعيل وعلي عبدالله صالح وإصلاحه بينهما . وفي مطلع صيف ١٩٧٣م حظيت بتكليف السلطان قابوس لي بالوساطة لوقف ثورة ظفار بموافقة الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية ؛ فبذلت جهودا متواصلة حتى وقفت . ولقد قلت في مطلع الحديث عن الهيئة العامة للجنوب والخليج العربي إنها مشروع قومي فريد ، ولن ينسى الأشقاء المخلصون الأوفياء ما قدمت الكويت للبلدان المحتاجة في الجزيرة العربية من عون نزيه شريف .

- هل أنت راض عن الحركة الأدبية والثقافية في الكويت؟

من يستعرض الحركة الأدبية والثقافية في الماضي ويلقي عليها نظرة فاحصة يدرك الفرق بين الأمس واليوم ؛ لقد قفزت الحركة الأدبية والثقافية قفزات هائلة إلى الأمام .

- ما قولك لمن يتهجمون على الأعمال الأدبية والشعرية في بلدان الخليج والجزيرة العربية .

أقول لهم سامحكم الله . إننا لانفكر في أن يكون غيرنا أقل منا إن الأعمال الأدبية في الخليج والجزيرة العربية ملك للأمة العربية والأعمال الأدبية في مصر وسورية ولبنان وغيرها من الأقاليم العربية لنا جميعا ؛ فالأدب العربي بشره وشعره للشعب العربي من خليجه إلى محيطه ، ومخطيء من اعتقد أن الأديب في دول الجزيرة العربية همه جذب الانتباه إليه وحرمان الآخرين من هذا الانتباه . إن الأعمال الشعرية والأعمال الأدبية كافة لاتنفعها الطبول ولا المزامير ولا تقضي عليها الحملات المغرضة ؛ إنها تخضع لتقييم ذوي الاختصاص المبرأين من كل تأثير .

- أود أن أسمع مقارنتك بين ماضي الثقافة في الكويت وحاضرها اليوم؟

نرجع إلى ما سجله لنا قادة الحركة الثقافية في العشرينيات ، والثلاثينيات حتى مطلع الستينيات فإننا سنجد أمامنا الآثار القلمية التي مهدت الطريق لهذه النهضة المباركة ، لقد أدى ذلك الرعيل المبارك واجبه كاملا بقدر الإمكانيات المتاحة وهاهو اليوم رعيل جديد يحمل الأمانة ويندفع بها نحو الأمام ولا عجب فإن ما يتمتع به الأديب اليوم لم يكن متاحا أيام الرعيل الأول ، ويكفي مناخ الديمقراطية والحرية ووسائل النشر الكثيرة والنوادي والجمعيات ودور الجامعات في الداخل والخارج .

- ما رأيك في الشاعرات الكويتيات؟

الشاعرات الكويتيات كزميلاتهن في كثير من الأفطار العربية ؛ يبذلن قصارى الجهد في تجويد الشعر والتأني في كتابته ؛ إن الشعر غير النشر إنه محتاج أشد الحاجة إلى التحقق والمراجعة قبل أن ينشد أو ينشر .

- ما رأيك في مهرجان عبدالعزيز البابطين المقام في بعض البلدان العربية؟

مهرجانات الأخ عبدالعزيز البابطين جهد يشكر عليه وليس من العدل أن يقابل هذا الجهد بالتهجم أو التجريح ؛ لقد كان بوسع الرجل أن يحفظ دراهمه وجهده لولا رغبته في تنشيط الإبداعات قدر طاقته وبحسب اجتهاده واجتهاد مساعديه ؛ فهو والحالة كذلك مجتهد ولكل مجتهد نصيب .

- ما رأيك في القصيدة العمودية أتستمر أم تهزمها الحداثة؟

القصيدة العمودية باقية دون شك ؛ لقد عاشت قرونا بعد قرون واحتضنت الحداثة في العصر العباسي والعصر الأندلسي وهاهي تستقبل حداثة هذا القرن ، وليس المهم أن تكون القصيدة عمودية أو غير عمودية ، وإنما المهم أن تكون شعرا يهز المتلقي ويفرض عليه الإصغاء والإعجاب .

لقد كتبت الشعر العمودي ومازلت أكتبه وكتبت الشعر الحر وهدفي في الحالتين تبليغ المتلقي ما أريد قوله . إن الشعر الحديث المحافظ على التفعيلة واللغة والمعاني الجميلة شعر لا ينكر ، غير أن الضبابية والطلاسم الغريبة التي لا يفهمها المتلقي في بعض ما يسمى بالشعر الحديث تفقد هذا النمط قيمته وأهميته كذلك الحال فيما يعرف بالقصيدة الشعرية ، إنها نثر فني إن جاءت بالجيد من الكلام ؛ ومع كل ذلك فالبقاء للأصلح .

- قرأنا لك قصيدة تطلب من قادة مجلس التعاون الخليجي الارتباط

باتحاد ؛ فهل تعتقد أن الاتحاد قادم على الرغم من الخلافات؟

الاتحاد قادم لا محالة ، وهؤلاء المختلفون على الحدود يدركون أنهم في سفينة واحدة ، وهم يرون دون شك ما تم في أوروبا والشعوب الأوربية لها قوميات مختلفة وبينها حروب مروعة ومع ذلك أقامت الوحدة الأوربية لحفظ مصالح أوروبا .

والجزيرة العربية جديرة بالاتحاد الكونفدرالي فشعبها شعب واحد له لغة واحدة ودين واحد وتاريخ مشترك واحد والخطر الذي يهدد جزءا منها ينسحب على بقية أجزائها ؛ لقد منح الله أبناء الجزيرة العربية هذا الخير المتفجر من باطن الأرض ولا بد من أن يحمد أبناء الجزيرة العربية ربهم على هذا الخير بالاتحاد الذي دعاهم إليه في قوله تعالى : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] .

- شعرك الذي يتسم بالروح التعبوية والحماسة القومية كأنه اليوم قد افتقد صدهاء ومناخه وجمهوره كيف تنظر إلى هذا؟

لكل ظرف ما يناسبه من القول ؛ فالشعر الذي قيل لأطفال الحجارة لا يقال اليوم بعد اتفاق أوصلو ، وشعر العدوان الثلاثي وغدر حزيران ١٩٦٧م لا يكتب مثله اليوم بعد كامب ديفيد ؛ كذلك القول عن الحروب والمواجهات التي خاضتها الشعوب العربية كثورة الجزائر وثورة ليبيا وثورة بنزرت في تونس وثورة اليمن ، وصمود سورية وغيرها من الحروب والمواجهات ؛ لا يستحسن أن يعاد فيها القول من جديد ، لقد خلدت كفاح الأمة العربية في جميع المراحل وهذا يكفي .

وبفضل التوجه القومي التعبوي كما قلت احتل شعري مكانة لدى جميع

أبناء العروبة ، وأصبح مقررا في الجامعات والمدارس ووصل إلى بعض الجامعات الأوربية كما يعلم بعض المسئولين هنا وكثير من زملائي الأدباء والشعراء ، ولا تنس أن شعري الإنساني له أثره أيضا كقصيدة الطفل المشرد ، وقصيدة «إيرما» عن حرب البوسنة والهرسك وقصيدة «لومومبا» وقصيدة نلسون منديلا وغيرها كثير ، وبالأمس القريب نشرت قصيدة أطالب قادة مجلس التعاون بإنشاء اتحاد مطلعها :

إليك تنوعيون ملؤها الحَسَدُ

شعب الخليج حماك الواحد الأحد

فاستقبلت بعد نشرها مكالمات هاتفية من المملكة العربية السعودية ودول الخليج العربية مؤيدة ما جاء في القصيدة ، وكانوا سعداء بالقصيدة إلى أبعد الحدود .

- قصيدتك «الصلف الصهيوني» المنشورة في مطلع شهر يوليو تؤكد أن الكويتيين يفرقون بين القضية الفلسطينية وهي قضية مقدسة وقادة منظمة التحرير وعلى رأسها عرفات غير أن كثيرا من الناس مازلوا في حيرة من موقف عرفات في أثناء العدوان العراقي الغاشم .

موقف القيادة الفلسطينية لا يمثل جميع الفلسطينيين فلقد استقبل الفلسطينيون الهاربون من الكويت في أثناء الاحتلال الوفد الشعبي الكويتي أحسن استقبال وأقاموا لنا حفل عشاء في أكبر الفنادق وألقوا كلمات تندد بالعدوان العراقي وطالبوا الحكومة الأردنية بالوقوف إلى جانب الكويت وحملوا على أرباب الصحف المؤيدة لصدام ووصفوهم بالعملاء ، ولما احتج أحد

الصحفيين ضربوه ضربا مبرحا وطرده من الحفل ؛ كما أن كثيرا من الفلسطينيين هنا قد وقفوا الموقف السليم ؛ فليس جميع الفلسطينيين قد انحازوا إلى جانب صدام أما ياسر عرفات فقد نسي أنه يقود ثورة على الاحتلال والعدوان وأن من واجبه ألا يقف إلى جانب المعتدي المحتل مهما كانت الضغوط التي واجهها في تلك الفترة العصبية ، ومع الأسف الشديد أن أذكر للقراء هذه القصة الطريفة ؛ ففي ذات مساء من ربيع ١٩٨٦م فوجئت بضجة على باب منزلي وكنت أحتفي بالشاعر محمود درويش وقد دعوت بعض الأصدقاء المهتمين بالقضايا العربية ولما رأيته محمود درويش قد اهتمت بأمر الضجة تبسم وقال لا تهتم إنه أبو عمار ؛ فلقد سمعته قبل مجيئي إليك يقول لأبو الأديب في مقر المنظمة قل للإخوان يختصروا الأسئلة فإنني ذاهب إلى منزل الأخ أحمد السقاف ؛ فخرجت مهرولا واستقبلته أحسن استقبال وكان يرافقه بضعة ضباط من قوات الأمن وما كاد يستقر في مجلسه حتى أمطره بعض الإخوة بعشرات الأسئلة المخرجة ومما قاله له إنكم تجاهدون بالكلام وبالتنقلات المريحة وتنزلون أفخر الفنادق ولا شيء غير ذلك ؛ فاضطرب وتلعثم حين أراد الرد وتدخلت للتهديئة وإذا به يقول بعد صمت قصير يجب أن تعلموا يا إخوان أن منظمة التحرير الفلسطينية بنت الكويت فلقد تكونت في الكويت وانطلقت من الكويت ، ونحن نعتبر أنفسنا أبناء الكويت ؛ فإذا كان لديكم انتقاد فوجهوه للكويت ، ولم يقتنع أحد بهذا الرد ، ولا أدري كيف نسي أبو عمار أن منظمة التحرير الفلسطينية التي تشرف برئاستها هي بنت الكويت يوم صال وجال في اجتماع القمة عقب العدوان الأثم ببضعة أيام ، وكان محاميا لذلك الفجور الذي صدع التضامن العربي وضرب ضمائر الأحرار في كل مكان .

ومع كل ما تقدم فإن القيادة الفلسطينية شيء وأولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين شيء آخر .

- القومية العربية والوحدة العربية نادى بهما جمال عبدالناصر وفككها صدام حسين ورمى بهما في البحر ما رأيك؟ هل القومية العربية مازالت باقية ومازال القوميون العرب باقين وبقوتهم وتطلعاتهم للوحدة العربية؟

ليست القومية العربية لعبة بيد صدام يلهو بها متى شاء ويفكها ويرمي بها في البحر متى أراد؛ لقد تاجر بها في حربه مع إيران للحصول على مساعدات الدول العربية ونجح في ذلك ثم تخلى عنها في غزوه الكويت وتاجر بالإسلام ووضع جملة «الله أكبر» على العلم العراقي وسارت خلفه الأحزاب المتاجرة بالدين في الأردن ومصر وتونس والجزائر والسودان .

إن القومية العربية ما هي إلا التضامن العربي وقد تجلى التضامن العربي في ربيع العام الماضي حينما قفز حزب الليكود إلى السلطة في إسرائيل ، فدعت مصر رائدة القومية العربية إلى اجتماع قمة حضرها جميع القادة العرب عدا صدام حسين المعزول عن الأمة العربية ، وكان الاجتماع لطمه في وجه التشدد الإسرائيلي ، وذهل العالم وأعداء العرب بخاصة حينما رأوا كيف يتحد العرب في الشدائد والملمات .

لقد أحس العرب في الجاهلية بالحاجة إلى القوم بعد أن طوقهم الأعداء من الشمال والشرق والغرب؛ فتداعوا إلى إقامة الأسواق التجارية المشتركة ، وكانت تبدأ هذه الأسواق من دومة الجندل ثم تمر على الأحساء وتنتقل بعد ذلك إلى دَبِيّ بفتح الدال والباء في عمان ثم إلى صحار ومنها إلى الراية في حضرموت وقرى

الشحر ثم إلى إرم ، ومنها إلى عدن فصنعاء ثم إلى عكاظ وذو المجاز قرب منى في مكة . لقد كانوا يقضون شهرا في كل محطة من هذه المحطات يبيعون ويشترون ، ويتبارون في الشعر والخطابة وهم يحنون إلى التضامن للوقوف في وجه فارس والروم والأحباش حلفاء الروم وقد استجاب الله لهم ؛ فبعث إليهم رسولا منهم جمع كلمتهم ووجد صفوفهم وجعلهم أقوى الأمم فهزموا الفرس والروم ومدوا ملكهم من الصين حتى شمال أسبانيا ، وظل الحس العربي قويا في العهد الأموي وفي الثلث الأول من العهد العباسي ، وضرب هذا الحس بسيطرة القواد الأجانب على الخلافة العباسية ، وكانت البداية في عهد الخليفة الخليج الماجن المتوكل على الله حينما قرب إليه الأجانب كوصيف ويغا وسلمهم قيادة الجند ؛ فعاثوا فسادا بعد أن تسلموا مقاليد الأمور ، وقربوا أبناء جلدتهم ، ثم قتلوا المتوكل ونصبوا ولده ثم صاروا يعزلون الخلفاء ويقتلونهم ، واستمر الحال على هذا المنوال حتى قدم التتار إلى بغداد وسقطت خلافة العباسيين ، وتدنى الإحساس بالحاجة إلى القوم لدى العرب ، ودخل الفرس العراق وحكموه فترة من الزمن ثم قدم إليه الأتراك كما قدموا إلى كثير من الأقطار العربية ، ولم يستيقظ العرب إلا بعد أن ظهرت جمعية «تركياء الفتاة» التي أنشأها الضباط العثمانيون المتطرفون لتتريك جميع الشعوب التي خضعت لحكمهم ، فأسس المنتورون من الشباب العربي جمعيات سرية للخروج من الهيمنة العثمانية الساعية نحو طمس الهوية العربية ، ولما خرجوا من هذه السيطرة الأجنبية سقطوا بين مخالب الاستعمار الغربي ؛ فاستيقظ الحس بالحاجة إلى القوم أكثر فأكثر ، وانطلقت الأناشيد الحماسية والخطب الداعية إلى مجد الأمة العربية وعزتها وكرامتها واندلعت الثورات وتحمرت البلاد العربية بفضل هذا الإحساس الذي

نسميه القومية العربية ، وهكذا ترى أن القومية العربية ليست ملكا لأحد ، ولا يستطيع هذا أو ذاك القضاء على القومية العربية الداعية إلى الإخاء والوثام والتسامح والحرية والديمقراطية إن القوميين العرب باقون في الساحة العربية وقد حوربوا كثيرا بعد تأميم قناة السويس ، وحوربوا بعد تأميم شركات النفط وحوربوا بعد رحيل القواعد الأجنبية من البلاد العربية وحوربوا حينما وقفوا سدا منيعا في وجه الأيديولوجيات الوافدة التي تسعى إلى سحق الإنسان العربي ونزع جلده عنه .

إن القوميين أقوياء لأنهم ضمير الأمة العربية والقومي العربي الذي لا تسيره أية أيديولوجية أو حزب ليس مستعدا لمباركة أي عدوان على أي شبر من الأرض العربية ؛ أما الوحدة العربية فأمرها بيد الشعوب العربية فهي صاحبة الشأن ولا أعتقد أنها قادمة في المستقبل المنظور وهي إن جاءت فلن تكون وحدة اندماجية ، وإنما ستبدأ على شكل اتحادات كونفدرالية بين الأقاليم المتقاربة المتشابهة . وليس من المستغرب دخول الأقطار العربية في اتحاد كونفدرالي في المستقبل - بعد تغيير بعض القيادات المخربة - لمواجهة تحديات القرن المقبل ، وإنما المستغرب حقا استمرار هذا التشرذم المؤلم . ثم إن الإحساس بالحاجة إلى القوم أو ما نسميه بالتضامن العربي أو القومية العربية هدفه لم الشمل العربي ؛ غير أننا نرفض بشدة فرض وحدة أو اتحاد بين قطر وآخر بالقوة العسكرية أو بالاتفاق بين قادة البلدين ، وإنما يجب أن يستفتى الشعب في مثل هذه الأمور المصيرية .

- كيف تتصور دخول الشعوب العربية القرن الحادي والعشرين؟

جميع شعوب الأرض ستدخل القرن الحادي والعشرين فالمسألة في

الاستعداد الذي بلغناه لدخول هذا القرن قدما لقدم مع الركب المتحضر ، وبقيني
أن أكثر الشعوب العربية مازال خارج القرن العشرين وعلى هذه الشعوب
المشاركة في إنجازات القرن المقبل أن تذاكر بهمة ونشاط ما فاتها من علوم
وتقنيات القرن العشرين ؛ لتتمكن بعد ذلك من أن تقول إنها تعيش القرن الحادي
والعشرين .

- عرفت الكويت بمواقفها القومية ؛ فكيف تفسر وقوف بعض الأعلام إلى
جانب العدوان العراقي؟

كثير من الأعلام تستأجر ، وهذه الأعلام لا يهتمها ما قدمت الكويت للعمل
القومي ابتداء بمساعدة ثورة فلسطين عام ١٩٣٦م مروراً بالتبرعات السخية
للمجاهدين الرافضين للتقسيم عام ١٩٤٧م وبناء المدارس والمستشفيات في
بعض البلدان العربية وإصدار مجلة ثقافية ضخمة على مستوى الوطن العربي
في وقت لم تكن هناك دولة عربية قادرة على تحمل أعباء مثل هذه المجلة ألا وهي
مجلة العربي المشروع الثقافي القومي ، ثم إنشاء الصندوق الكويتي للتنمية
العربية ، وإنشاء الهيئة العامة للجنوب والخليج العربي ، وإنشاء اللجنة الشعبية
لجمع التبرعات والمشاركة في حرب حزيران ١٩٦٧م وحرب ١٩٧٣م عسكرياً
وما إلى ذلك من المواقف القومية النبيلة ؛ فكل ما قامت به الكويت من عمل
قومي جليل لم يشفع لدى أصحاب الأعلام المستأجرة ؛ يضاف إلى ذلك الحسد
الذي أعمى أبصار وبصائر هؤلاء الكتاب .

- ما سبب وقوف بعض القيادات إلى جانب صدام حسين؟

سبق أن تحدثت عن أسباب انحياز بعض الكتاب إلى الغدر والعدوان صيف

١٩٩٠م ، وما قلت عن هؤلاء يقال مثله عن بعض القيادات ؛ لقد اعتقدوا أن رجوع الكويت إلى شعبها مستحيل فالجيش الذي غزاها جيش ضخم ، ذو إمكانات تجهيزية قوية ؛ ولذلك باعوا مواقفهم لصدام ، وقد وعدهم بأشياء كثيرة بعد أن يتم له الاستيلاء على نفط الجزيرة العربية ويركز علم العراق على قلعة مسقط ألم يقل لأمير جليل زاره قبل العدوان ببضعة أشهر إن النفط كبايل أيام الزحف الفارسي على العراق في عهد كورش ومن امتلك النفط فقد احتل بابل؟

- بالإضافة إلى دواوينك الشعرية صدرت لك كثير من الكتب الثقافية وأخيرا وجدناك تهتم بالتراث ، فصدرت لك قطوف دانية ، وأحلى القطوف ، والطرف ، فما الذي حفزك إلى تأليف هذه الكتب؟

- التراث الركيزة الأساسية لثقافتنا ، وقد أحزنني جهل كثير من الشباب الكنوز الثمينة التي تركها لنا الأدياء والشعراء في العصور المتقدمة . إن كثيرا من الشباب لا يحب أن يغوص في هذه الكنوز بعد أن أمسى محاصرا بالمحطات الفضائية التلفزيونية ، وأصبح يعاني متطلبات الحياة اليومية ؛ لذلك قمت بتقديم ما يسهل عليه هضمه ، ويقربه مما ترك الأوائل من ثقافة ذات جذور صلبة ضاربة في أعماق تاريخ الأمة العربية إن تراثنا جزء لا يتجزأ من شخصيتنا العربية ومن المستحيل أن تصان الشخصية العربية دون اهتمام بتراث الأمة العظيمة .

- كيف ترى علاقة دول مجلس التعاون بالجمهورية الإيرانية؟

إيران دولة مجاورة لها تاريخ عريق ، وهي من الدول الإسلامية الكبيرة ، وعلاقتها بدول مجلس التعاون الخليجي يجب أن تكون ممتازة وإذا كانت جزر

ظلم الكبرى وطب الصغرى وأبو موسى تكدر علاقة إيران بدول مجلس التعاون الخليجي فإن من واجب إيران أن تقبل بالحل العادل لهذه القضية ؛ والحل العادل يمكن أن يأتي عن طريق الاتفاق الأخوي بين إيران ودولة الإمارات ويمكن أن يأتي عن طريق محكمة العدل الدولية في لاهاي ، وما الذي ستخسره إيران إذا ما أقدمت على حل عادل لهذه القضية؟ إنها ستكسب احترام الدول المتحضرة دون رب .

- ماذا تود أن تقول للشباب المتشدد بعد أن وصلت الأمور إلى ما وصلت

إليه؟

أقول لأبنائي الذين يؤججون ما يؤججون اتقوا الله في الكويت فهي بلد صغير غير قادر على احتمال هذه الصراعات ، وليس من المنطق ولا العقل أن نغتنم فرصة زلزال اللسان أو القلم لنثير الزوابع ونهيج النفوس والخواطر فالقلم يزل واللسان يزل والتكفير ليس بيد كل من هب ودب فهناك مراجع للإفتاء ، ومن كفر مسلما فقد كفر ، وأقول أيضا لإخواني أرباب الصحف أهملوا أي مقال يثير العداوات ويؤجج الفتن والصراعات ؛ فالصحافة رسالة للبناء وليست معولا للهدم والتخريب لاسمح الله .

- أخيرا نود من الشاعر أحمد السقاف أن يهدي إلى قراء الرأي العام قصيدة

جديدة .

القصيدة الجديدة تتحدث عن جريمة «قانا» في جنوب لبنان ، تلك الجريمة الصهيونية البشعة التي هزت ضمائر الشعوب الحية في جميع أرجاء المعمورة ، وكان حقها أن تكتب وتشر بعد وقوع ذلك العدوان الهمجي الغادر ؛ غير أنني

في تلك الفترة كنت مصابا بوعكة ألزمتني المنزل شهورا ، وجعلتني مشغولا بالعلاج ثم غادرت في مطلع حزيران يونيو إلى الخارج وعدت أواخر أكتوبر بعد أن شفيت ولله الحمد ، وظلت مأساة قانا تعذبني وتشعرنني بالتقصير ؛ حتى رأيت منذ ثلاثة أسابيع طائرات العدو الصهيوني وهي تقصف إقليم التفاح في جنوب لبنان فإذا بخاطري الشعري يتحرك ، وإذا بالقلم يندفع على الورق ليترك لي هذه القصيدة التي جعلت عنوانها «قانا» :

سكتُ وقلبي يَمْجُ الدَّمَما	لِيَعْلَمَ مَنْ شَاءَ أَنْ يَعْلَمَا
سكتُ ورُبَّ فصيح غدا	من الهولِ أخرس مُستعجِما
سكتُ وقانا تهزُّ الجبال	وإعوالها قد تخطى السما
وأبناء يَعْرُبُ لا يُبصرون	كأنهمو من ضحايا العمى
فأين الإباءُ وأين الشموخُ	وقد آن للبغي أن يَلجَمَا
وقل للوسيط الذي يُرثي	دع الظلم والموقف المؤلما
وكن حكما عادلا إنني	رأيتُك في غيهم مُسهما
فليس الذي ذاد عن أرضه	تحدى القوانين أو أجرما
فما الجُرمُ إلا اعتداء الغُزاة	وقتلُ الأهالي وسفك الدما
وما الجُرمُ إلا احتلال كريمة	يُشارُ إليه عَلاما وما؟
ولبنانُ ما كان سَهْلَ المنال	وهيهات يركعُ مستسلما
له الفخرُ إذ ظل صُلب القناة	يُحطِّمُ آمالهُم مُقدِما

أفدي صغارا قضوا نحبهم
برمي المغامر لمارمى

إلى الله يَصْرُخُ مُسْتَفْهِمَا
فكيف يجود بحق احتما
وتاريخها الأسود المظلما
وتستلهم الفلّس والدرهما
ويشربُ أبناؤه العلقما
إليها يُطَبِّعُ قَدَ أَحْجَمَا

فوَإِذَا بِحَبِّكُمْ مُنْعَمَا
جمالُ توطَّنِ ذاك الحمى
عُروبتهم فوق كل انتما
فوارس حقا وليسوا دُمى
وأيقظ فيما مضى التُّوما
فخورا بأمجادها مُغْرَمَا

تهاووا وكلُّ صغير مضى
وبيريز ينكر حق الحياة
عرَفْنَا يَهُودَ فَمَا مِنْ مَزِيدِ
تُرْبِيَّ عَلَى الْغَدْرِ أَبْنَاءَهَا
لَهَا الشَّهْدُ فِي كُلِّ قَطْرِ ثَوْتِ
فليت الذي راح مُسْتَعْجَلَا

ويا أهل لبنان إني حَمَلْتُ
فوالله ما غاب عن خاطري
ولم أنس كوكبةً مُبْدَعِينَ
يذودون عنها بسنِّ اليراع
ولبنانُ نادى بها في الظلام
وغنى لها في جميع الديار

في قضايا التخلف والتقدم

- ١ -

منذ أكثر من أسبوعين وأنا في حيرة مما يحدث في كويتنا الحبيبة حول موضوع المفكر الإسلامي الجليل الأستاذ الدكتور أحمد البغدادي ، وأملي ألا يكون الأمر كما تصورت وأنا مازلت خارج البلاد ؛ ذلك أن البغدادي ما كان ولن يكون في المستقبل ممن يدعون إلى الابتعاد عن الدين فهو رجل متدين لا يترك فرضاً من الفروض الدينية ، وقد كان من كتاب مجلة المجتمع ، ومن المترددين على جمعية الإصلاح ؛ فكيف تشن عليه هذه الحملات غير العادلة اليوم ، وترفع ضده الدعوى ويجر جر إلى المحاكم ، وبعدها إلى السجون . إن الاعتدال في الصداقة والخصومة مطلوب ، والاندفاع الأعمى في التجريح ، والتحمل يورث الندامة في كثير من الأحيان .

والذي يهمني ألا تصبح الكويت المعروفة بالطيبة والتسامح ساحة للمتصيدين المتطرفين ؛ فإذا ما زل قلم بكلمة عابرة هب واحد منهم يجرح الكاتب في المحاكم مستغلاً وجود قانون وضع في فترة بعيدة جداً من فترات تاريخ الصحافة ؛ فهاهم بعد أن جرو الأديبة ليلي العثمان والدكتورة عالية شعيب إلى المحاكم بتهمة الحديث في الجنس في بعض ما تكتبان ، يلتفتون إلى الكتاب الآخرين وبخاصة أساتذة الجامعة ، وإلّا فما الداعي إلى رفع دعوى على

المفكر الإسلامي الدكتور أحمد البغدادي المعروف بتدينه ودفاعه عن الإسلام ليلقى حكماً بالسجن مدة شهر واحد ، وينفذ فيه الحكم على زلة قلم غير مقصودة مع احترامنا العظيم للقضاء الكويتي المشهور بالنزاهة العالية .

إن المتتبع لما ينشر في صحفنا عن هذه القضية ليلمس التشفي لدى بعض الأعلام التي نسيت أنها في مجتمع صغير لا يحتمل أي نفور بين أبنائه ، فالكويتيون أسرة واحدة وقد عرفوا بالتسامح والحرص على التواصل والتلاحم .

إننا نواجه تطرفاً غير معهود من قبل ، وتشجيع هذا التطرف يضر بسمعة الكويت ؛ فلا يجوز أن يحمل الأخ على أخيه لمجرد الاختلاف في الرأي ؛ فكلنا نسعى إلى الخير ، والدين ليس حكراً على أحد ولا يستطيع أحد أن يزعم أنه وصي على الدين ، ولا يجوز استخدام الدين للتشفي من الناس ؛ فلسنا في القرون الوسطى حينما كانت الكنيسة تطارد أرباب النظريات العلمية وترميهم بالمروق والكفر والإلحاد وتنكل بهم وتنفيهم من المدن حرمان الجماهير من الاستماع إلى آرائهم في الكون وشؤون الحياة .

إن ديننا الإسلامي دين التسامح والرحمة والموعظة الحسنة لذلك يجب أن يتدخل العقلاء لوقف هذا التطرف الذي لا معنى له وإلا بقينا حيث نحن نعيش القرن التاسع عشر وهيئات أن نرى القرن الحادي والعشرين .

- ٢ -

تحدث نائب الرئيس العراقي عزة إبراهيم الدوري عن صلاح الدين الأيوبي بطل الحروب الصليبية ؛ فقال إنه عربي من أسرة عربية عاشت في كردستان العراق فاستكردت ولذلك لا يجوز أن نقول إنه كردي فهذا يضر بسمعة الأمة

العربية ، وإني لأعجب أشد العجب من هذا اللغو العنصري الأجوف الذي لا يليق صدوره من ولد طائش في إحدى المدارس المتخلفة ؛ فكيف إذا ما جاء من شخص يحتل موقعا مرموقا في حكم بلد كالعراق .

إن الدوري أعلن على رؤوس الأشهاد أن الطغمة الحاكمة في بغداد مازالت هي هي طغمة عنصرية رعناء لاتصلح لقيادة قطيع من الأغنام والأبقار فكيف يصح أن تقود شعبا كريما أصيلا كالشعب العراقي الشقيق ، وليت هذا الجاهل قد سد فمه وهو يتحدث عن بطل حطين إن لم يستطع أن يقول إن هذا البطل العظيم وإن كان كرديا في الأصل فهو عربي اللغة والثقافة والمنشأ وقد قاد جيشا عربيا مصريا منازلة الصليبيين والقضاء على أحلامهم وأن العرب والأكراد شركاء في أمجاد صلاح الدين .

لقد نسي هذا الجاهل أن الذي قضى على التتار وهم على أبواب مصر بعد اكتساح العراق وبلاد الشام ليس بعربي ؛ غير أن الجيش الذي قاده لمنازلتهم هو جيش مصر العربية العظيمة ذات الصيت الطويل العريض .

ثم أيجوز أن يحلل الفاشستيون الدماء العراقية ليعرفوا العربي القح من العربي الذي امتزجت دماؤه بدماء تركية أو إيرانية أو كردية؟ وهل ينجو عزة إبراهيم الدوري من التهمة الفجة السخيفة الفاشية إذا ما حللت دماؤه؟

ماذا يبقى للعراق إن استبعد الذين استعربوا من أبنائه ، وعزة إبراهيم يعلم أن الشعارين الكبارين الشهيرين الزهاوي والرصافي -على سبيل المثال- من أصول كردية ، وهناك أسماء لامعة لعسكريين وسياسيين وعلماء في شتى التخصصات من أصول غير عربية ؛ إن العروبة بالولاء وليست بالدماء .

ولعمري ماذا عسى أن نقول لهؤلاء الجماعة ؛ غير مناشدتهم أن يعودوا إلى القومية العربية التي لا تعني غير التضامن العربي ؛ فهي قومية إنسانية لا تقوم على تحليل الدماء ، وليتركوا النهج العنصري الفاشستي فقد قضى على من سبقوهم من العنصريين والنازيين وسيأتي الدور عليهم إن لم يتغيروا وهيهات . مسكين العراق جاءت ثورته صيف ١٩٥٨م بوجه عروبي فإذا بعبدالكريم قاسم يسلمها للشيوعيين والشعوبيين ، ولما أزيح بانقلاب دموي جاء عبدالسلام عارف ومن بعده أخوه عبدالرحمن بتوجه عروبي لا غبار عليه ؛ فإذا بزمرة صدام تقفز على الحكم بمساعدة بعض الأغبياء وتتجه نحو العنصرية ، فتحارب القومية العربية التي لا تعني غير التضامن العربي ، وما غدرها بالكويت صيف ١٩٩٠م ببيعد .

من الذي يلتفت اليوم إلى مثل هذا الهراء ، والشعب العربي من المحيط إلى الخليج يعلم أن الدعوة العنصرية الاستعلائية قد انهزمت بهزيمة هتلىر وموسوليني ؛ فالشعوب كالبهار فمياه المحيط الهادي يمكن أن يكون جزء منها في الخليج العربي ومياه خليج البنغال يمكن أن تختلط بمياه خليج السويس فلا حواجز ولا سدود تحول دون الاختلاط والامتزاج والمهم لدى كل شعب من شعوب الأرض اللغة والثقافة والمواطنة ، ولا مكان لتحليل الدماء ؛ فصالح الدين الأيوبي إن قلنا عنه إنه عربي فهذا صحيح ، وإن قلنا إن أصله كردي فهذا صحيح أيضا ، والمجد مشترك بين الأمتين العربية والكردية .

-٣-

نشرت صحيفة الشرق الأوسط في عددها الصادر الجمعة ١٥ أكتوبر

١٩٩٩م القيح الذي تقيأه أبو رغال الليكودي المدعو أيوب قره عضو الكنيست الإسرائيلي حين قال : «العرب كذابون ويخرجون من بطون أمهاتهم كذابين» .
ونشر تصريحه هذا في صحيفة كل شيء الإسرائيلية ، وهذا العميل عضو في حزب الليكود الحزب الصهيوني المتطرف وقد نجح بفضل العرب مع الأسف الشديد ولائعك أمام هذه الوقاحة التي لا يجرؤ إربل شارون أن يظهر بها إلا أن نطلب من أبناء طائفته الدرزية أن يلقنوه درسا في اختيار الألفاظ لدى الحديث عن العرب وبقيني أن أحفاد سلطان باشا الأطرش أحد أبطال ثورة سورية عام ١٩٢٥م يستطيعون أن يخرسوا فمه تماما بالوسيلة المناسبة لأمثاله .

إن هذه الأمة قد ابتلاها الله ببعض أبنائها المارقين ؛ فهذا الدعي المنسوب ظلما إلى أمة العرب أمة المفاخر والأمجاد يتزلف لأسياده الصهيبانه وكان بوسعه أن يكف ويسير خلف أحذيتهم كما شاء دون هذا التهجم الرخيص ؛ فيكفيه عارا وشنارا أنه عضو في حزب صهيوني عنصري متطرف عرف بعدائه الشديد لكل ما هو عربي .

ولا أدري كيف نسي أبو رغال الليكودي وهو يوجه هذا الحقد الأسود نحو العرب أنه هو نفسه عربي ينتسب إلى الطائفة الدرزية التي يمتد نسبها إلى الغساسنة القادمين من قلب الجزيرة العربية ؛ فهل اعتقد حينما خرج من بطن أمه كذابا أن جميع العرب مثله قد خرجوا من بطون أمهاتهم كذابين؟ إن المثل يقول : كلُّ يرى الناس بعين طبعه .

- ٤ -

صرح الدكتور يوسف الإبراهيم وزير التربية والتعليم العالي بأن التعليم لم

يتقدم منذ مدة طويلة وبقي في مكانه يراوح ، وأقوى الشهادات ما أتت من خبير متخصص مسئول ، ولا أجد في لساني ما أقوله للوزير الشاب المتحمس غير هيأ دونك الميدان والسلاح بيدك ، وهو الواجب الملقى على عاتقك فأنت ما اختاروك وزيرا للتربية إلا لعلمهم أنك قادر على الإصلاح .

إن «فترة» التعليم في المرحلة المتوسطة مهمة جدا إن كنا نشد مصلحة الطالب ، ومصلحة التعليم العالي ، ولقد دعوت إلى هذه «الفترة» في مناسبات كثيرة ويذكر الصديق الفاضل الدكتور محمد المهيني رئيس تطوير التعليم في الثمانينيات أنني تحدثت أمامه في هذا الموضوع بحضور عضو اللجنة الدكتور عبدالله عبدالدائم أحد وزراء التعليم في سورية أيام الوحدة المصرية السورية والدكتور عبدالدائم من الخبراء المميزين في شؤون التعليم وقد عمل في لجنة شؤون تطوير التعليم بضع سنوات ، وقد وافق على ضرورة فترة التعليم بعد السنة الرابعة المتوسطة ؛ كي لا يفرض التعليم الثانوي على الجميع وإنما يقتصر على المؤهلين للدراسة الجامعية .

إن دراسة قدرات الطالب يجب أن تبدأ من الصف الأول الابتدائي أو قبل ذلك ليكون التقييم دقيقا بعد المرحلة المتوسطة ليتوجه الصالحون للدراسة الجامعية نحو الدراسة الثانوية والذين لا استعداد لديهم للدراسة الثانوية عليهم أن يتوجهوا نحو المدارس الفنية والمهنية ؛ لأن تدفق الجميع بعد المرحلة المتوسطة نحو الدراسة الثانوية قد أثقل كاهل الدراسة الجامعية .

إن العملية التعليمية تعتمد على الأسرة والمدرس والطالب والكتاب والمباني والأجهزة العلمية ووسائل الإيضاح ؛ فاختيار المدرس بعد إعداده إعدادا ممتازا

مهم جدا في العملية التعليمية ، والكتاب يجب أن يكون متجددا فكل فترة لها ما يناسبها من المقررات ؛ فلا يجوز أن تكون بين أيدي الطلاب مقررات كانت تدرس قبل ثلاثين أو عشرين عاما . إن لجان تطوير التعليم يجب أن تجوب البلدان المتقدمة للوقوف على ما وصلت إليه العملية التعليمية في العالم المتحضر ؛ فالتعليم يتطور على نحو مذهل ، وكذلك الحال في الحديث عن مباني المدارس والكليات . إن من يستيقظ متأخرا يجب أن يكون لديه الأحسن ، وتعاون أولياء أمور الطلاب مع المدرسة لا غنى عنه ، وهذه الخواطر يعرفها المسئولون وقد يكونون في غنى عنها ولكنها وردت للتذكير وأهل مكة أدرى بشعابها .

الأهرام العربي تسأل وأحمد السقاف يجيب

* أنتم من رصد الحركة الأدبية والشعرية في الكويت منذ أواخر الثلاثينيات . كيف ترونها الآن ، وما العوامل اللازمة لدفع هذه الحركة؟

- أعتقد أنه من قبيل تحصيل الحاصل القول إن الحركة الأدبية بعامة والشعرية بخاصة قد ازدهرت كثيرا خلال الأربعينات ، والخمسينات ، وكانت في الستينات وما تلاها تقفز قفزا نحو الأمام بفضل ازدياد عدد الشباب المتخصص في علوم العربية كافة وانطلاق الحرية الفكرية وإنشاء الأندية والجمعيات ، ولا شيء يدفع الأقسام إلى الإبداع أفضل من الحرية والديمقراطية وكناتهما تظللان أبناء الكويت ولله الحمد .

* أنتم أول من أصدر مجلة في الكويت (كاظمة عام ١٩٤٨م) وكان لهم دور في إصدار «العربي» أشهر المجلات العربية . . فما قصتكم مع العربي ، وكيف ترون الإصدارات الثقافية اليوم في الكويت والمنطقة؟

- لقد سبق لي أن تحدثت في قصة إصدار مجلة العربي وباختصار لقد تخيلت هذا المشروع القومي حينما كنت نائبا لمدير دائرة المطبوعات والنشر ، ورأيت وقد استقر الرأي على إصدار مجلة لهذه الدائرة أن يتولى رئاسة تحريرها جهبذ من الجهابذة المشهورين وقد تشرفت بتكليف الشيخ صباح الأحمد رئيس المطبوعات والنشر أواخر ١٩٥٧م فسافرت إلى أربعة أقطار عربية ، واجتمعت

فيها بكبار الأدباء والعلماء والمثقفين ، وتدارسنا المشروع وكانت المحطة الرابعة الكنانة المحروسة ، وفي اليوم التالي للوصول اتصلت هاتفيا بالمرحوم الدكتور أحمد زكي وقد كان وزيرا في عهد فاروق ثم مديرا لجامعة القاهرة في عهد الثورة فمديرا لمعهد البحوث فمحاضرا في القوات المسلحة عن الصواريخ والذرة والفضاء الخارجي كما كان من قبل رئيسا لتحرير مجلة الهلال ، وبعد زيارات متعددة لمنزله أقنعتة بقبول رئاسة تحرير المجلة المزمع إصدارها في الكويت بعد تمتع وتردد زهاء أسبوع كامل ؛ ثم اتصلت بدار أخبار اليوم وتعاقدت مع سليم زبال وأوسكار ممتري للإخراج والتصوير دون علم مصطفى أمين رئيس تحرير أخبار اليوم فعاتبني على ذلك غير أنني أقنعتة بوجود غيرهما لديه ، واخترت رساما من المطبعة الأميرية هو أحمد الوردجي ، واخترت الأستاذ المرحوم عبدالوارث كبير مديرا للتحرير ، وكان يعمل في جريدة القاهرة ، وبعد العودة تم الاتصال بالدكتور محمود السمرة وكان مدرسا في ثانوية الشويخ فقبل العرض وعمل نائبا لرئيس التحرير .

ووصل الدكتور أحمد زكي وسليم وأوسكار وأحمد الوردجي في شهر فبراير من عام ١٩٥٨م وأخذنا نواصل الاجتماعات والدراسات وعمل النماذج حتى صدرت في ديسمبر من العام نفسه ؛ فأحدثت هزة في أوساط المثقفين ونالت من الإعجاب والتقدير ما لم تحظ به مجلة من قبل ؛ فلقد كانت الساحة العربية خالية من المجالات ذات الشأن الرفيع وقد أخبرني الدكتور عبدالقادر حاتم ، وكنت وكيلا لوزارة الإرشاد والأبناء -وزارة الإعلام اليوم- وهو وزير لوزارة الإرشاد القومي بأنه أمر بدراسة فكرة إصدار مجلة كالعربي وبعد الدراسة اقتنع بأن العربي تحمل رسالة

قومية إلى جميع أبناء العروبة . فهي لا تحتاج إلى منافسة ، ولا شك أن تلك المكانة التي بلغتها مجلة العربي إنما جاءت من ثلاثة وجوه :

الأول- أن الكويت دولة صغيرة لا هدف لها غير خدمة العرب والعروبة ، ومجلة العربي وإن كانت مشروعاً قومياً فهي كغيرها من المشاريع القومية التي قدمتها الكويت لكثير من الأقطار العربية كالصندوق الكويتي للتنمية العربية والهيئة العامة للجنوب والخليج العربي ، واللجان الشعبية لجمع التبرعات لمد ثورات التحرير في الأقطار العربية بالمساعدات وغيرها كثير ؛ لذلك أقبل عليها القراء دون شكوك في أهداف أصحاب المجلة .

الثاني- أن الوطن العربي بجميع بلدانه ليس فيه مجالات ثقافية ذات شأن لقلّة الأموال أو الخضوع للاستعمار الغربي .

الثالث- مكانة رئيس التحرير فهو علم من الأعلام المتميزة في الوطن العربي بأسره له مكانته بين جميع أقرانه في الجامعات فهو موسوعة في العلوم البحتة وهو عضو فاعل مؤثر في مجمع اللغة العربية ، وهو فوق ذلك كله ذو قلم سيال يكتب افتتاحية العدد وهو يتحدث إلى من حوله ؛ أما اليوم فقد صدرت مجلات كثيرة في جميع العواصم العربية ذات مواضيع مشوقة وطباعة فاخرة وأقلام يشار إليها بالبنان ، وقد كثرت هذه الإصدارات وأصبحت تفوق حاجة القراء .

* لكم رأي في الشعر المنثور أو الحديث رغم حضوره الذي لا يخفى على أحد اليوم . هل مازلت عند رأيكم؟ وهل ضاق حقياً كما يزعمون صدر القصيدة العربية الكلاسيكية بالموقف التقدمي أو التجديد عامة؟

- إن ضاقت اللغة العربية بالموقف التقدمي أو بالتجديد فإن الشعر دون شك سيضيق بهما ؛ إن هذا القول ذريعة لدى الهاريين من معاناة الشعر العمودي ؛ هذه من ناحية ومن ناحية أخرى أنا لا أتمسك بنمط واحد من الشعر ، وإنما أتمسك بالشعر الذي يفرض الإعجاب على المتلقي . ليس كل شعري كتب يستحق الإعجاب وأنا من الذين كتبوا الحر وكتبوا العمودي وديواني «شعر أحمد السقاف» شاهد على ذلك وكذلك ديواني الأخير «من شعر أحمد السقاف» إنني أرفض الضبابية الساذجة واقتناص الطلاسم المحيرة ، فلا بد من احترام المتلقي ، وكم طربت لشعر حديث وشعر حر التزم التفعيلة وحافظ على اللغة العربية وحمل صورا شعرية جميلة ؛ إنني أحارب استسهال كتابة الشعر وأرفض القصيدة الثرية ؛ لأنها لا تمت إلى الشعر بصلة ويجب أن تسمى نثرا فنيا ثم قل لي متى ضاق الشعر العمودي بالتقدمية والتجديد؟ ألم يحتضن ديواني الأول والثاني قصائد عن لومومبا ونلسون مانديلا ، والقضية الكردية والقضية البوسنية وعن الأطفال المشردين ، وعن تعيين مديرة لجامعة الكويت وسفيرة كويتية في زيمبابوي ووكالة للتعليم العالي وقصائد لا تعد ولا تحصى عن كفاح الجزائر واليمن وبنزرت في تونس وعن بطولات بورسعيد ، وحرب ١٩٦٧م وعن فلسطين منذ التقسيم عام ١٩٤٧م حتى هذه الساعة وعن بقية الأقطار العربية وقضاياها العادلة أليست هذه هي التقدمية أم التقدمية الإشادة بالماركسية والشيوعية الدولية؟

لقد حييت ثورة الجزائر عام ١٩٥٦م بقصيدة وجدتها مقررّة في مدارس الجمهورية العربية المتحدة عام ١٩٥٨م وحييت أبطال مصر في حزيران يونيو عام

١٩٦٧م ووجدتها بعد ذلك مقررة في مدارس مصر ثم وجدت جميع قصائدي القومية مقررة في مدارس وجامعات الوطن العربي ، وما ذلك إلا لأهمية شعري من الناحية التقدمية ، والقومية ، وها أنت قد علمت أن شعري قد تجاوز الوطن العربي واقتحم بعض الجامعات الأوربية باطلاعك على المكاتبات التي تبودلت بيني وبين أستاذ جليل في رومة لديه طالبة إيطالية تحضر رسالة الدكتوراة في شعر أحمد السقاف .

ولقد أخبرني هذا الأستاذ أن الطالبة بحثت في دواوين الشعراء العرب المعاصرين عن شاعر الأمة العربية فاخترتني من بينهم ؛ لأني حملت بإيمان آلام وآمال جميع أبناء الأمة من المحيط إلى الخليج .

* أنتم من أكثر الشعراء التزاما بالشعر المقفى الموزون ولكن هل يعيد ذلك للشعر مكانته التي حظى بها أيام حافظ وشوقي؟

- إنني أفضل كتابة القصيدة العمودية ومع ذلك فأنا أكتب الشعر الحر كما قلت من قبل ، والمكانة التي كانت تتمتع بها القصيدة أيام شوقي وحافظ ليست موجودة اليوم ؛ فالظروف مختلفة تماما . لقد كان الشعر صوتا إعلاميا خطيرا ، وكانت القصيدة تنتقل من قطر إلى آخر - إن كانت ممتازة - بسرعة شديدة ، ويحفظها الناس ، ويرددونها ؛ أما اليوم فوسائل الإعلام الحديثة من إذاعات وتلفزة وصحف يومية قد امتلكت اهتمام الناس .

* هل يبقى الشعر ديوان العرب ، والملاحم الغربية بدأت تتقمص شكل القصيدة العربية؟

- لا شك أن الشعر ديوان العرب لقد كان كذلك ولم يزل ، والتغريب الذي نراه اليوم سينحسر ، وما زالت القصيدة العمودية الممتازة لها الصدى الواسع في جميع ديار العرب فهي مقررة في المدارس والجامعات وهي التي تتلى في المجالس والمنتديات وإذا ما لحت جن جنون المستمعين بها ؛ لقد هجمت علينا أغنية النط والصرعات المضحكة وقالوا هذا ما يريد الشباب محاكاة لما هو سائد في الغرب غير أن الناس لم يفقدوا إحساسهم بالفن فشاهدناهم كيف يستقبلون المطربات والمطربين الذين لا يعتمدون على مثل هذه الصرعات .

* مخطيء من ظن يوماً أن القومية العربية إلى انحسار أو أن تتجزأ العروبة فهل ما زلتم عند رأيكم؟ ولم؟

- إن جميع شعوب العالم متمسكة بقومياتها ، وما حدث في الاتحاد السوفيتي دليل قاطع على أن القومية لا تغيب ولا تسحق لقد حاول الاتحاد السوفيتي أن يذيب جميع القوميات لتسهل عليه السيطرة على تلك الشعوب المقهورة غير أنه لم يستطع مواصلة الكبت والبطش وتكميم الأفواه ؛ فخرجت الشعوب من تحت سيطرته تطالب بحقها في الاستقلال معتزة بقومياتها ، وهاهي الشيشان ترفض الذوبان في القومية الروسية وتطالب بالحرية والاستقلال ، ولا شك أن هذا العصر عصر القوميات ؛ فعلام يحاول أعداء العرب التشكيك في القومية العربية؟

وما لا ريب فيه أن القومية العربية قد حوربت بصراوة منذ بداية هذا القرن حتى هذه الساعة ؛ فلقد أفزعت القومية العربية الاستعمار الغربي ، ونازلته وقوضت أركانه ، والتفتت بعد ذلك نحو الشركات الأجنبية الاحتكارية ،

ولاسيما شركات النفط ، وانتزعت منها حقوق الشعوب العربية ، وكان التأميم الضربة القاضية لهذه الشركات ومن ذا الذي ينسى كيف أمت قناة السويس عام ١٩٥٦م وماذا حدث بعد تأميمها . ثم إن القومية العربية قد وهدت الجهود من أجل انتزاع حق الشعب الفلسطيني من أياب المتعصين اليهود فلا عجب ولا غرابة إذا ما ابتليت القومية العربية بحقد أيتام الاستعمار ، وافتراءات أصحاب الشركات المطرودة من بلاد العرب وحمولات الصهيونية العالمية ؛ غير أن من الواجب أن نطالب الواعين من أبناء شعبنا العربي في كل مكان برفض تشكيك أعداء القومية العربية سواء أكانوا من خارج الوطن العربي أم من داخله .

لقد استغلت الأحزاب الدينية وبقايا الماركسيين والشيوعيين ما حدث للتضامن العربي من غدر في الثاني من أغسطس ١٩٩٠م فأخذوا يتهجمون على القومية - التي لا تعني غير التضامن العربي . وما علموا أن القومية العربية ليست من بنات صدام حسين يطلقها متى شاء ويحجبها عن العرب متى أراد .

لقد تاجر صدام بالقومية العربية في حربه مع إيران وتاجر بالإسلام والجهاد في احتلاله الكويت ، ولا يجوز أن نحاسب القومية العربية على أخطاء أعدائها من المتاجرين بشعاراتها ؛ وإلا جاز لنا أن نحاسب الدين الإسلامي الحنيف على ما يقوم به الجهلة المتعصبون في صعيد مصر ، وفي الجزائر وأفغانستان .

❖ هل تستطيع مفردات الثقافة أن تصلح ما أفسده السياسيون وأن يتحقق التواصل الثقافي بين الدول العربية الذي تنادون به دائما رغم أزمة الغزو؟

- لاشك في ذلك على الرغم من الشرخ الكبير الخطير الذي أحدثه الغزو العراقي في جسد التضامن العربي . إن التواصل الثقافي ووحدة الأهداف في

مسيرة التربية والتعليم ومؤتمرات الجامعة العربية والزيارات المتبادلة بين أبناء الأمة العربية والمهرجانات الشعبية ستزيل ما تركه الغزو الأثم في النفوس من مرارة وآلام شريطة زوال العصابة النازية التي تتحكم في أمور الشعب العراقي المقهور .
لقد كانت الصدمة قاسية والفاجعة مذهلة ولأول مرة في تاريخنا المعاصر يغزو بلد عربي بلدا عربيا آمنا طمعا في ثروته ليس غير ؛ على الرغم مما يملك هذا الجار من أنهار وزروع وأثمار ونفط ومعادن لا تحصى ؛ إنه الحسد والطمع اللذان يوردان المصاب بهما مورد التهلكة .

* الشاعر الكبير أحمد السقاف هل يمكن اعتباره آخر الشعراء الكلاسيكيين المؤرخين لأحداث العرب؟

- لست آخر الشعراء الكلاسيكيين الحاملين هموم الأمة العربية ، وإن كنت قد حظيت بالظهور على الساحة منذ نصف قرن وانتشرت قصائدي القومية في جميع أرجاء الوطن العربي ؛ فهناك من كتب الشعر في بعض الأحداث العربية وذرف الدمع على فلسطين وصرخ في وجه العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦م ؛ فلست وحيدا في الميدان وإن كنت كما قلت من قبل قد حظيت بالانتشار الواسع بسبب اهتمامي بجميع أحداث أقاليم الوطن العربي الكبير ، وظهوري علي المنابر في العواصم العربية في المهرجانات الشعرية ، ولا أنكر أن مما ساعد شعري على الانتشار كوني قوميا مستقلا ما عرفت الحزبية ولا أحب أن أعرفها ؛ فأنا شاعر العرب كافة ، ولست شاعر حزب أو أيديولوجية معينة .

إنني متفائل بظهور شعراء يحملون راية العروبة والقومية العربية ، ولن أكون - إن شاء الله - آخر الشعراء الكلاسيكيين الحاملين هموم الوطن العربي الكبير .

ثلاثة أعياد

* في هذا الشهر الجميل ثلاثة أعياد ؛ عيد الأضحى المبارك وقد مضى بالدعاء بأن يعود في قابل ونحن في أحسن حال ، وأنعم بال ، وعيدان ينتظران حلول الخامس والعشرين أحدهما عيد الاستقلال ، وثانيهما عيد التحرير ، ولكل من العيدين مكانته الخاصة لاسيما عيد التحرير ؛ فهو يوقظ كل خلية من خلايا الجسم ؛ لتحتفل به على نحو لا يوصف ؛ ذلك أن المعاناة التي حلت بالكويتيين منذ الثاني من أغسطس ١٩٩٠م حتى الخامس والعشرين من فبراير ١٩٩١م لا يستطيع أي قلم أن يصفها كما يجب أن توصف ، فلقد كان الغزو الغادر مدمرا ورهيبا إلى أبعد الحدود ، وانهزم العدوان بعد مواجهة لم تستمر أكثر من يومين ، وعلى الرغم من بشاعة الهزيمة فإن الطغاة في بغداد يسمون هذه الكارثة بأم المعارك ، ويعلنون صراحة أنهم لم يقترفوا ما يستحق الاعتذار ، فقد كانوا يدفعون أخطارا تحاك في الخفاء مستهدفة العراق ، لذلك أقدموا على ما أقدموا عليه من غزو وتدمير وقتل ونهب وحرق لآبار النفط وهتك للأعراض إلى ما هنالك من فواجع ؛ علما بأن العالم أجمع قد رأى الاجتماع الذي عقد في جدة بين عزة إبراهيم نائب الرئيس العراقي وولي العهد رئيس مجلس الوزراء الكويتي الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح حول المليارات العشرة التي طلبها صدام قرضا من الكويت ، واعتذرت له الكويت بعد أن قدمت ما قدمت له من

أسلحة ومليارات في أثناء الحرب التي شنها على إيران ، ولم ينتظر الطغاة أسبوعاً أو أسبوعين ، وإنما سارعوا إلى شن الهجوم الغادر في الليلة نفسها مما يدل على أن خطة الغزو قد وضعت منذ أشهر طويلة .

إن استقبال الشعب الكويتي لعيد التحرير الذي يوافق السادس والعشرين من فبراير ، وهو اليوم الذي يلي الاحتفال بعيد الاستقلال يجعل الأفراح مضاعفة فللاستقلال ذكريات ، وللتحرير ذكريات ، وحفظ الله الكويت وشعبها وقادتها المخلصين من كل مكروه ، وأعاد لنا أسراننا من سجون الغدر سالمين آمين اللهم آمين .

* لا أدري لم أتذكر قصيدة لي أتشوق فيها الكويت وجمال الكويت كلما سلكت شارع الخليج العربي في الليل من منفذ الدائري الثاني قرب قصر السلام حتى نهاية الشارع في السالمية . فهذا الشارع الساحلي الساحر لم أر مثله في البلدان الأوربية وكم كنت أود أن أخصه بقصيدة في هذا العيد غير أن الشعر لا يؤمر ؛ مكتفياً بالقصيدة التي ذكرتها في مطلع هذه الفقرة وقد كتبتها في مقهى بشارع موسكو المتفرع من شارع كوينزويه بلندن ، وإلى جانبي صديق عزيز من مثات الألوفا اللاجئين في بلاد الإنجليز .

حنين

قلبي يحنُّ إلى الكويتِ	حَسْبُ الإجازة ما رأيت
لا أستطيعُ وقد مضى	شهرانُ بعدُ لودرنت
هذي المغاني الفاتنا	تُشبعُ منها وارتويت

توركي بما فيها ارتضيت	لأنـدن تُسـلي ولا
والوصف يعجز إن حكيت	أصفُ الحنين؟ وكيف لي؟
وإن شغلت بما رويت	يا صاحبي المفضال عَفـ
ت وكم بذ الحـب اكتويت	حُبِّي الكويت كما سمعـ
حُ بذكرها أني مشيت	معبودتي هي أستـريد
ولكني انثيت	غالبتُ ما في النفس منـ
سمها الجمال وما اهتديت	وبحثتُ عن شَبّه يُقا
باح يَنـور كل بيت	هي في ديار العُرب مصـ
أن تكون كما اشتيت	تأبى لـدى الأزمات إلا
قُ سكرتُ منه وانتشيت	إن لاح ساحلها الأثيـ
تُ حماك ربي واكتفيت	وإذا بادت في الليل قُـ

* عَرَبَ بضم الراء تكلم العربية ولم يلحن أو أنه عربي فصيح ومصدره عروبة أما عَرَبَ بكسر الراء فإنها تدل على من يتكلم العربية بعد لكنة في لسانه وقد اختفت الثانية بعد أن انتقل تعريفها إلى الأولى كما اختفت إشارة الفقرة الثالثة عند الحديث عن التسلح في بعض الأقطار العربية ؛ حدث ذلك في مقالي المنشور يوم الاثنين ١٧ من هذا الشهر .

وأذكر بهذه المناسبة أن مجلة نشرت لي مقالاً عن الحرب اللبنانية وجاء في المقال هذا البيت :

إذا احتربت يوماً وسالتُ دماؤها تذكّرتُ القُرْبى ففاضت دموعُها

ولكن البيت نشر هكذا :

إذا احتربتُ يوماً وسالتُ دماؤها تذكّرتُ القُرْبى ففاضت دموعُها

وانهالت علي التلفونات تسألني عن قبيلة ربما وأين تسكن وظللت اليوم كله أعتذر عما حدث للبيت في أثناء الطبع . ولا يفوتني أن أشير إلى أن العرب في جاهليتهم كانت لهم أسماء لأيام الأسبوع تختلف عما هي عليه اليوم ؛ فكان يطلق على يوم الجمعة العروبة بفتح العين وهاهي الأسماء كما وردت في هذين البيتين :

أؤمل أن أعيش وأن يومي

بأول أو بأهون أو جبار

أو التالي دُبار فإن أفتته

فمؤنس أو عروبة أو شيار

حول الفضائيات والتصرفات

عجبت أشد العجب مما ورد في كلام الدكتور الفيل من التشكيك في أمر حدود الكويت في أثناء مناظرة في قناة الجزيرة ، والغريب أن يلجأ الدكتور الفيل إلى حكاية المؤامرات التي تحاك حول العراق منذ زمن طويل محاولا التماس المسوغ لذلك العدوان الغادر الفاجر صيف ١٩٩٠ م ، ومن حسن الحظ أن الدكتورة معصومة المبارك قد استعدت لتفنيد تلك المزاعم المتهاففة ؛ فكانت موفقة جداً في ردودها عليه ، ولم يجد الدكتور الفيل في أثناء تلك المناظرة غير الانتقاص من شأن الكويت لقلة سكانها في القرن الثامن عشر ونسي الدكتور الفيل أن جميع البلدان العربية في ذلك التاريخ كان عدد سكانها أقل من عشر سكانها اليوم ؛ كما نسي أن الرقم الذي ذكره لسكان الكويت في القرن الثامن عشر إنما كان للمدينة المطلة على البحر ، ولم يذكر السائح - الذي اعتمد عليه الفيل شيئاً عن قبائل الكويت التي كانت تنتشر في جميع أنحاء الإمارة وتهب للذود عنها كلما دعت الضرورة إلى ذلك ؛ ومثل هذا التشكيك ورد في أثناء حديثه عن ظهور الكويت على مسرح الأحداث فقال إن اسم هذه البقعة من الأرض قبل أن تعرف باسم الكويت هو كاظمة ونزيده علماً بأنها قد انتقلت من اسم كاظمة إلى اسم القرين ومن هذا الاسم إلى الكويت في مطلع القرن الثامن عشر ، وقد جاء في بعض المصادر العمانية أن إمارة القرين قد هبت لتجدة الدولة اليعربية في أثناء منازلتها الأسطول البرتغالي وظهرت هذه الدولة اليعربية في

نهاية القرن العاشر الهجري وأول إمام لها هو ناصر بن مرشد ؛ وكان الأسطول العماني من أقوى الأساطيل ثم جاءت دولة آل بوسعيد سنة ١١٥٦ هـ ، ومعنى هذا أن وجود الكويت باسمها القديم مذكور مشكور في تاريخ الخليج العربي ولا تغمر قناة الكويت إن جاء اسمها كاظمة أو جاء القرين فالمهم هذه البقعة من أرض الجزيرة العربية بشعبها الذي يسكنها اليوم .

أما حكاية المؤامرة التي تحاك ضد العراق كما قال الدكتور الفيل فإنها غير قادرة على المحييء بشيء جديد مادام القادة في العراق هم المنفذون للمؤامرة ؛ بل إنني لأجد الأمر أهم وأعظم - إن كانت هناك مؤامرة حقاً - وإلا فكيف بالله عليكم يقدم صدام حسين على غزو الكويت - وهي جزء من الجزيرة العربية مادامت هناك مؤامرة على العراق قديمة جديدة مستمرة كما قال الدكتور الفيل ؟ ! أما كان الواجب يفرض على صدام وجماعة صدام الابتعاد عن المغامرات غير المحسوبة ؟ أم أن صدام كان مشتركاً في المؤامرة ضد الكويت والعراق وبلدان الخليج العربي والأقطار العربية جمعاء ؟ سؤال يحتاج إلى جواب .

وقبل أن أترك موضوع مناظرة الدكتور الفيل والدكتورة معصومة المبارك أود أن أثير الانتباه إلى ما تردده قناة الجزيرة حول ابتعاد أبناء الخليج العربي عن العروبة والقومية العربية بعد العدوان العراقي على الكويت ، وهو زعم لا يستند على أساس فالقومية العربية - التي لا تعني غير التضامن العربي - ليست مُلكاً لصدام حسين ، وإذا كان قد غدر بالقومية العربية فجر الثاني من أغسطس ١٩٩٠م فإن العرب الشرفاء في كل مكان من الأرض العربية قد لعنوا ذلك الغدر ؛ وها هم اليوم وفي مقدمتهم أبناء الجزيرة والخليج العربي يعملون ليل

نهار لعودة التضامن العربي إلى ما كان عليه قبل الغدر ؛ ويخيل إلى أن قناة الجزيرة تريد أن تقول إن الوقوف في وجه صدام خروج على العروبة والقومية العربية فمن شروط العروبة لدى قناة الجزيرة أن يغفر أبناء الجزيرة والخليج العربي جميع ما فعل صدام من جرائم وآثام وهذا وأيم الحق لهو الضلال المبين .

ثم إن العمل القومي ليس وقفا على أبناء مجلس التعاون ، والوحدة العربية ليست عدوانا غادرا واجتياحا همجيا ظالما من دولة عربية لدولة عربية أخرى ، وإنما الوحدة هي التضامن العربي الصادق والوقوف في وجه التحديات الأجنبية ، وأبناء الخليج العربي أكثر من غيرهم تمسكا بالتضامن وسعيا لتحقيق الاتحاد الكونفدرالي المنشود ؛ أما الوحدة السياسية فمشروعها مشروع سياسي محض وهي تخضع لظروف معينة كما حدث لمشروع الوحدة بين سورية ومصر عام ١٩٥٨م فلقد كان الدافع إلى قيام تلك الوحدة ضغط العراق من الشرق وتركيا من الشمال على الجمهورية العربية السورية لإرغامها على الدخول في حلف بغداد ؛ بالإضافة إلى تغلغل بعض الشيوعيين في الجيش السوري ؛ فكانت الوحدة ردا على تلك الضغوط وليست نتيجة لنضج الوعي القومي في البلدين ؛ والوحدة الأوربية خير دليل على أنها مشروع سياسي محض ؛ فلقد قامت الوحدة في غياب دور القومية ؛ لأن الذين توحدوا لهم قوميات كثيرة متباينة .

ومما يوجب التعليق مادار في مناظرة ذلك الذي اسمه أبو حمزة ولقد سمعت العجب العجاب وقلت لا حول ولا قوة إلا بالله ، فلقد أصبح كل من هب ودب مفتيا ينشر فتاواه في جميع الوسائل فالتكفير في لسانه يتردد في كل

لحظة والتحريض على قتل من سماهم المشركين من أهل الكتاب واجبه الذي يتقرب به إلى الله ، ونسي ما جاء في كتاب الله من آيات تفرق بين المشركين من عبدة الأصنام والكتابين كقوله تعالى : ﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون ﴾ [المائدة : ٨٢] .

فالتحريض على قتل السياح الأوروبيين والأمريكيين الأبرياء باسم الإسلام عدوان سافر على الإسلام وتشويه لسمعة المسلمين في كل مكان ، وإفساد في الأرض عقابه معروف لدى المسلمين كافة ؛ فلتسكت الأصوات الجاهلة عن الثثرة في أمور الدين ؛ فليس العرب مستعدين لجعل بلدانهم ساحات اقتتال على الطريقة الأفغانية .

وفي اليومين الماضيين رددت مقطعا من أغنية لنجاة الصغيرة تقول فيه : «ورجعت ما أحلي الرجوع إليه» ؛ بعد أن رأيت العناق الحار بين قائد التضامن العربي رئيس جمهورية مصر العربية ، والأخ معمر القذافي الذي قال بالأمس إنه إفريقي ولا يحب أن يظل مرتبطا بالمسيرة العربية زاعما أن القومية لا تتحقق إلا بقيام الأمة الواحدة ذات الدولة الواحدة ، ومن واجبي أن أبين في هذا المقام أن القومية العربية لا يشترط لها وجود الأمة الموحدة في الدولة الواحدة ، فالأمة ذات الآلام والآمال واللغة الواحدة والتاريخ المشترك تبقى أمة واحدة وإن جزأتها أيدي الأجانب ، فكل شعب يتميز بأوصاف معينة فهو أمة والشعب العربي كذلك ، ولا يقف الأمر لدى بني الإنسان فكل طائفة من الطير أو الحيوان أمة ، فالنسور أمة ، والحمام أمة ، والنحل أمة والأسود أمة والقطط أمة وهكذا .

ومعنى هذا أن القومية العربية التي لا تعني غير التضامن العربي موجودة في دم العربي منذ أقدم العصور ، والأمة العربية موجودة على الأرض العربية سواء استطاعت أن تنشئ لها اتحادا كونفدرالية أم بقيت تتعثر وهي تسعى إليه . ولا يجوز أن يمر هذا الحديث دون أن يعرج على إلقاء القبض على الزعيم الكردي عبدالله أوجلان ، والأكراد قوم لهم قومية مستقلة في العراق وإيران وتركيا ، ولا تستطيع أية دولة من دول العالم أن تنكر القومية الكردية ؛ فالاهتمام بلغة هؤلاء القوم وتراثهم وتحسين معيشتهم من الواجبات الملقة على الحكومات الثلاث تركيا وإيران والعراق ، وإني لأذكر للأستاذ المرحوم عبدالرحمن البزاز موقفه الشجاع من هذه القضية فقد استطاع أن يبرم اتفاقا مع الأكراد منحهم بموجبه الحكم الذاتي في حزيران ١٩٦٦م ، وكان رئيسا للوزراء أيام الرئيس عبدالرحمن عارف ، غير أن صدام حسين وضع يده في الشأن الكردي فقرب من قرب ، وأبعد من أبعد ، واندلعت الثورة في شمال العراق ووقف إلى جانبها شاه إيران واضطر العراق إلى إبرام معاهدة الجزائر عام ١٩٧٥م فكف الشاه عن مناصرة الأكراد ، وفرض صدام على هؤلاء المناضلين نموذجا للحكم الذاتي ظل هو يديره مع أعوانه والمقربين إليه ، ولما تملل بعضهم في أثناء حربه مع إيران سحقهم بالسلاح الكيماوي ، فاغتنموا هزيمة الطاغية عام ١٩٩١م وسيطروا على مناطق الحكم الذاتي من جديد متمتعين بالحماية الأمريكية ، ومن العدالة أن تحل المشكلة الكردية حلا إنسانيا عادلا ضمن الوطن العراقي الواحد ؛ أما قيام وطن كردي مستقل على حساب تمزيق إيران والعراق وتركيا فهو مشروع لا يقره العقل ولا المنطق ؛ فجميع دول العالم لديها أقليات وقوميات ؛ فلا بد والحالة كذلك من التعايش والمشاركة في المواطنة على قدم المساواة .

ويبقى في الأخير «هلا فبراير» وقد مر المهرجان بسلام على الرغم من الاعتراضات التي لا داعي لها البتة ؛ فحرمان الناس من الفرح وفرض العبوس والكآبة عليهم ، وإقحام الدين في الموضوع أمور ترفضها الحياة ، وقد روى عن الرسول الكريم أنه وقف يظلل السيدة عائشة رضي الله عنها بجزء من رداءه ، وهي تشاهد الأحباش يغنون ويرقصون فنهرا والدها أبو بكر الصديق فقال الرسول الكونيم «روحوا القلوب ساعة فساعة فإنها إن كلت عميت» وظل الغناء مسموعا في مكة والمدينة ، وقصة المغنية المشهورة عمارة التي نشأت في منزل عبدالله بن جعفر بن أبي طالب معروفة لدى المتبعين ؛ فلقد كانت عمارة أثيرة لدى عبدالله بن جعفر بن أبي طالب لجمالها وأدبها وعذوبة صوتها ، وذات يوم غادر عبدالله بن جعفر المدينة لزيارة معاوية بن أبي سفيان فأخذها معه ، ولما استقر في دمشق زاره يزيد بن معاوية وأمضى يوما كاملا في ضيافته ؛ فرأى عبدالله بن جعفر أن يدخل السرور إلى قلب الزائر ؛ فأخرج إليه عمارة وطلب منها أن تغني ؛ فغنت ؛ فوقع يزيد في حبها وأعجب أيما إعجاب بصوتها ، ولكنه أخفى كل شيء في نفسه تقديرا المنزلة عبدالله بن جعفر ، وبقي يفكر كيف يمتلك هذه الغادة الجميلة ذات الصوت الجميل .

ولما توفي معاوية ظل يزيد يفكر في المطربة التي تسكن المدينة المنورة في منزل عبدالله بن جعفر ، ولما أعياه التفكير استشار بعض المقربين إليه فأشاروا بأن يلجأ إلى الحيلة لأن ابن جعفر لا يستطيع أن يفارق عمارة وذكروا له اسم رجل أديب ظريف من أهل العراق مقيم في دمشق ؛ فطلبه وشرح له ضالته المنشودة ، فطمأنه العراقي وطلب منه أن يجود بالمال ليسافر في هيئة تاجر ثياب حريرية ، فأعطاه يزيد فوق ما أراد وقصد المدينة في ثلاثة بغال تحمل الثياب وبضعة غلمان

للخدمة وهو يمتطي جوادا من جياد يزيد ونزل قرب منزل عبدالله بن جعفر ، فتوطدت العلاقة بين الرجلين ، وذات ليلة دعاه عبدالله بن جعفر للعشاء وبعد العشاء أخرج عمارة فغنت وأطربت فقال الضيف لابن جعفر أتبيعها؟ قال ابن جعفر لا أبيعها حتى لو دفعوا لي فيها عشرة آلاف دينار قال الضيف ولكنك ستبيعها لي دون شك قال له ابن جعفر هات المبلغ وهو يمزح لأنه ظن أن مبلغا كهذا لن يكون في حوزة من جاء يبيع ثيابا على بغال من دمشق فقال العراقي لقد قبلت ، وفي اليوم التالي زاره وقدم له عشرة آلاف دينار ؛ فبهت ابن جعفر وقال ما هذا؟ قال العراقي إنه ثمن عمارة قال له ابن جعفر ولكننا كنا نمزح قال العراقي لا مزح في البيع والشراء ، واعلم أنك إن رفضت شكوتك لذي والي المدينة فبقي ابن جعفر يفكر زهاء ساعة ولم يجد بدا من أن يتسلم الدنانير وضح المنزل بالبكاء وساق العراقي بغاله نحو الشام ومعه عمارة وقبل دخول دمشق سمع الناس يتحدثون عن أفعال يزيد فسألهم فقالوا له لقد مات ولما قصد الخليفة الجديد معاوية بن يزيد وشرح له القضية قال له لا حاجة لي فيها فأنا مشغول بما أنا فيه وكان عليلا لا يحلو في عينه شيء ، فعاد الرجل إلى المدينة وقص قصته على عبدالله بن جعفر ، واستعاد الدنانير وعادت عمارة إلى منزل عبدالله بن جعفر وعاد السرور والغناء في المنزل الحزين . وفي عهد الصحابة والتابعين ظهر طويس ومعبد وعزة الميلاء وابن سريج والعريض وسلامة القس من أرباب الأصوات الجميلة وغنوا لعمر بن أبي ربيعة ونصيب بن رباح وقيس بن الملوح وغيرهم .

ماذا يجب أن نعمل؟

لم تقبل بعض القيادات العربية الحاكمة معايشة الظروف المستجدة بعد انتهاء المعسكر الشيوعي بقيادة الاتحاد السوفيتي ؛ فطلت حبيسة تلك الأفكار المستمدة من المحاور المتصارعة ، وكان من واجب هذه القيادات أن تدرك الفرق الكبير بين فترة الصراع الأيديولوجي بين المعسكرين الغربي والشرقي وبين ما حملته رياح التغيير بعد زوال الشيوعية ؛ فأضاعت هذه القيادات العربية فرصة ذهبية كانت كفيلة بتحقيق التنمية وإصلاح الكثير من الأوضاع بعيدا عن عتريات الماضي المستندة إلى الصراع الأيديولوجي بين الشرق والغرب . لقد ولى الاستعمار الذي كنا نعلق عليه ما يصيبنا من تعثر ونكسات في أثناء الثورات ، وبقينا بعد رحيله مسئولين عما نعمل ، وكان لزاما علينا أن نحرص أشد الحرص على البناء أسوة بجميع شعوب العالم الحية لأن نقود شعوبنا دون إحساس بالمسئولية نحو الكوارث رغبة في التصفيق والتهنئات التي لاتسمن ولا تغني من جوع .

لاشك في أننا خضعنا مئات السنين للاستلاب والابتزاز تارة باسم الخلافة وتارة أخرى باسم رسالة الرجل الأبيض حتى وصلنا إلى حالة مزرية من الجهل والتخلف ، ولولا أصالة الأمة العربية ، واحتفاظها بتراث ضخم لا يقبل الهزيمة لكننا اليوم شتاتا غير صالح للنهوض من جديد .

إن المخلصين من أبناء الأمة العربية من الخليج الزاهر إلى المحيط الهادر ليستغربون أشد الاستغراب حينما يرون بلدا عربيا كالعراق تساس أموره على هذا النحو المفجع ؛ ونحن على عتبة القرن الحادي والعشرين .

لقد كان العراق في أواخر الخمسينيات يسير سيرا حثيثا نحو التنمية ، وكان يتمتع بقسط وافر من المشاركة الشعبية في صنع القرارات الجادة مع ضمان حرية الرأي والتعبير والتعددية الحزبية ، غير أن ساسة العراق وعلى رأسهم نوري السعيد لم يلتفتوا إلى موازين القوى في العالم ؛ فانحازوا -وقد كانوا منحازين- نحو الغرب بغباء منفر وأقاموا حلفا معاديا للاتحاد السوفييتي عرف بحلف بغداد ؛ فاستفزوا جميع القوى الوطنية في العراق وخارج العراق ، وكان ما كان من أمر تلك الثورة التي دقت مسمارا في نعش النظام الملكي ، والتجربة الديمقراطية صيف ١٩٥٨م وفسحت مجالا واسعا للانقلابات العسكرية ، ولو أن ساسة العراق وعلى رأسهم نوري السعيد قد تجنبوا الانحياز الأعمى نحو الغرب لتخلصوا من القواعد العسكرية البريطانية بهدوء بعد أن يكونوا قد تخلصوا من المعاهدة البريطانية القديمة ؛ ولنعم الشعب العراقي بتلك البرامج الجبارة التي أخذ ينفذها مجلس الإعمار العراقي في جميع المحافظات .

لقد كان عبدالناصر أقوى بصرا وبصيرة حينما استلهم مسيرته من نبض الشارع العربي المتطلع نحو الحرية والاستقلال والابتعاد عن الأحلاف ، ولو سارع عبدالناصر بعد معركة تأميم قناة السويس إلى إعادة الحياة الديمقراطية في مصر لاستطاع أن يفوز بالأكثرية في أية انتخابات حرة نزيهة ؛ ولتجنب المعارك التي استدرج إليها وبقي قويا مستندا على الإرادة الشعبية التي لا تهزم .

إننا اليوم نعاني ظاهرة صدام حسين ، ولا فرق بين عربي في مشرق الوطن الكبير وعربي في مغربه وهي ظاهرة هتلرية جديدة ، وقد تحملنا من مغامرات هذا الجاهل الأحمق فوق الطاقة والاحتمال ، والغريب العجيب أن يحاول صدام حسين بعد حروبه المدمرة التي شنّها على إيران والكويت وشمال العراق أن يظهر بمظهر المظلوم المضطهد ، ويستنجد ببعض الوجوه البغيضة المرذولة ؛ ومن هذه الوجوه المرذولة زعيم حزب فاشستي روسي يدعي جيرينوفسكي ؛ فقد انطلق هذا النازي المرذول ملبياً دعوة صدام ، وإذا بإعلام صدام يغرق في تقديم هذا المنبوذ على شاشات التلفاز وفي أخبار الإذاعات وعلى صفحات الجرائد ، ولم يتردد الإعلام العراقي في تقديمه في التلفاز وهو يحض بعض شباب العراق على الهتافات لصديقه صدام .

لقد أراد صدام حسين بعد امتلاكه أسلحة الدمار الشامل أن يتزعم الأمة العربية ، وكانت الخطوة الأولى اجتياح الكويت في مخطط مدروس لاحتلال شرق الجزيرة العربية حتى قلعة مسقط ، وما علم صدام صديق جيرينوفسكي أن العالم مازال يتذكر نكبة البشرية بظهور هتلر على مسرح السياسة العالمية في الثلاثينيات ، وليس من المعقول ولا المقبول أن تسكت دول العالم وتغض النظر عن ظهور هتلر جديد يهدد البشرية بالفناء ونحن على أبواب القرن الحادي والعشرين .

لقد كان واضحاً جداً إصرار صدام حسين على طرح نفسه زعيماً للأمة العربية ، وما علم صدام حسين أن الزعامة لا تكون بالقضاء على مئات الألوف من أكراد العراق في محرقة السلاح الكيماوي ، ولا تكون بمغامراته المدمرة على

الساحة الإيرانية دون قضية أو أهداف على مدى ثماني سنوات ، ولا تكون الزعامة باجتياح الكويت في ليل الليلَ بطريقة خسيصة جبانة يلعبها الإخاء العربي ، والشرف العربي ، وتستنكرها شرائع السماء وقوانين الأرض في جميع أنحاء العالم .

لقد مدَّ العرب أيديهم نحو مصر قلب العروبة النابض منذ مطلع هذا القرن ، وارتضوها زعيمة وقائدة ورائدة ، وجاءت جامعة الدول العربية لتستقر في عاصمتها المحروسة ، فأصبحت الجامعة بيت العروبة الذي يلجأ إليه العرب في جميع الملمات ولما قامت ثورة يوليو ١٩٥٢م بقيادة جمال عبدالناصر قدمت مصر في سبيل استقلال البلدان العربية - ومنها العراق - ما لا تستوعبه المجلدات ، وكلنا يعرف معارك الحرية والتحرير التي أمدتها مصر بالرجال والسلاح ، وتحملت مؤامرات الاستعمار وعدوانه مرات ومرات ، ولم يقتصر هذا الموقف البطولي على البلدان العربية ، وإنما تعداه ليصل إلى جميع بلدان القارة الإفريقية التي لا تنكر ولا يمكن أن تنكر ما قدمته مصر من بطولات وتضحيات لاستقلالها ومع ذلك فقد أبت مصر أن تتفرد بالمواقف في قضايا المشرق العربي دون استشارة بلدين عظيمين هما المملكة العربية السعودية ، والجمهورية العربية السورية ، وحينما تكون القضية مغربية كقضية المذابح المروعة في الجزائر ومشكلة ليبيا ونزاع الصحراء ؛ فالتنسيق والتشاور يشمل الدول العربية المطلة على البحر الأبيض المتوسط ؛ فهذه هي الزعامة التي اطمأن إليها العرب ، واعترف بكياستها وسياستها جميع أمم الأرض .

ولكن ما العمل اليوم ، ونحن حيارى أمام عتريات هتلر بغداد وهذه

الأساطيل والطائرات تزحم الخليج ودول الخليج حاملة الدمار والخراب لتلك القصور الشامخة التي تجاوز عددها الثمانين في العراق ، أنظّل أسارى لهذه الحيرة حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا أم أن علينا أن نتنادى إلى اتخاذ خطوات جادة على طريق الأمن القومي كي لا ننتيه في صحراء التشرذم والضياع ، ومن هذه الخطوات ما يأتي :

١- مناشدة جماعية يوجهها الرئيس حسني مبارك وخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز والرئيس حافظ الأسد إلى هتلر بغداد يحذرونه فيها من مغبة المكابرة والعناد ويدعونه إلى فسح المجال أمام لجان التفيتيش عن أسلحة الدمار الشامل كي تقوم بواجبها دون عرقلة ولا اعتراض ؛ فالوقت يمر بسرعة والضربة الموعودة قاب قوسين أو أدنى من قصور حاكم بغداد .

٢- الالتزام بالتضامن العربي في جميع ما يمس القضايا القومية والسير نحو الأهداف العربية بلغة واحدة ورأي واحد ؛ فالخروج على قرارات جامعة الدول العربية أو توجيهات القيادة التي ارتضاها العرب منذ مطلع هذا القرن يفسح الطريق واسعا أمام مخططات الأعداء ؛ فهؤلاء وعلى رأسهم إسرائيل يسعون إلى بث الفرقة والخلاف بين أبناء الأمة العربية .

٣- إن الأحداث المفزعة الرهيبة في الجزائر توجب على القيادة العربية أن تتحرك ؛ فهذه المجازر التي لم يشهد التاريخ لها مثيلا قد أساءت إلى سمعة الإسلام والمسلمين في جميع أنحاء المعمورة ، والسكوت عن هذه الضباع المسعورة التي تحرق الحرث والنسل ، وتتشدق بالإسلام والإسلام براء من جرائمها

فضيحة في تاريخ العرب الحديث ، والجزائر البطلة التي قدمت مليوني شهيد للاستقلال تستحق بحق أن يهب العرب جميعا إليها مسعفين ؛ فهذا الجنون البربري المتمثل في ذبح النساء والشيوخ والأطفال ، واغتصاب الفتيات وحرق المساكن وتفجير السيارات في الشوارع يجب أن يتوقف بقوة السلاح ، فالفتك بهذه الضباع المسعورة واجب قومي وواجب ديني وواجب إنساني إنقاذاً للأبرياء وصونا للممتلكات وتدعيماً للأمن والاستقرار .

٤- مطالبه جميع المسؤولين عن التعليم في الأقطار العربية وفي مقدمتها جمهورية مصر العربية بتنقيح كتب التاريخ والتربية الوطنية وكتب اللغة العربية من قراءة ونصوص مما فيها من تعصب ذميم بذرته فيها أيدي المتحزبين المتعصبين في سنوات خلت مع الأسف الشديد .

إن التربية السليمة من أولى الواجبات ومحاربة التعصب الذميم في مقدمة هذه الواجبات إن كنا نريد لأوطاننا رجالا يبنون ولا يهدمون ويتفاهمون ولا يختصمون ويسودون في حياتهم ولا يستعبدون .

٥- ولا أنسى وأنا على مشارف النهاية من هذا الحديث حال هذه الدول الصغيرة المطلة على الخليج العربي ، فبقاؤها دون اتحاد يرغمها على استقبال الأساطيل الأجنبية كلما تمرد في المنطقة غبي أو معتوه وبالائحاد ستكون دون شك قوة تردع المغامرين وتصد أطماع الطامعين ، وتستغني عن هذه الحشود والأساطيل وستبقي مع الاائحاد الكونفدرالي خصوصيات كل دولة من الدول الداخلية فيه ، ولن تذوب شخصية أي كيان من هذه الكيانات .

ولنتذكر بعد ذلك وقبل ذلك أن الجزيرة العربية قد أذهلت الدنيا حينما
توحد أبناؤها وساروا تحت علم واحد نحو أهدافهم السامية النبيلة ، وهي تحتاج
اليوم إلى إعادة مجدها الغابر في الاتحاد ، وسيتحقق الاتحاد إن شاء الله بالإرادة
الشجاعة والإقدام الحاسم واستلهام أمجاد هذه الجزيرة العظيمة .

إيران تخرج من العزلة

لقد انتعشت آمال دعاة الإصلاح في إيران حينما شاهدوا وفود الدول الإسلامية تتوالي على طهران ؛ فهذا المؤتمر الذي عقد في عاصمتهم قد أخرج إيران من العزلة التي عاشتها زهاء تسعة عشر عاما ، وأدرك العالم كله أن إيران قد ملت المجابهة واتجهت نحو محيطها الإسلامي الواسع لتصل عن طريقه إلى المحيط الدولي الأرحب دولة حديثة تنشُد البناء والتنمية والاستقرار والمشاركة في صنع الحضارة الإنسانية .

ومما لا ريب فيه أن انتخاب الدكتور محمد خاتمي رئيسا للجمهورية قد مهد الطريق نحو التهدئة والحوار ، والاهتمام بالروابط التي لم تعطها الجمهورية الإيرانية الإسلامية حقها مدى العقدين الماضيين ، والدكتور خاتمي رجل مثقف ثقافة حديثة بالإضافة إلى رسوخه في العلوم الدينية ، وله توجه صادق نحو الإصلاح ، وقد لوحظ الاهتمام الخاص بالوفود العربية ، وفي هذا الاهتمام استذكار للماضي الذي جعل مئات الألوف من الأسر العربية تستقر في كثير من المدن الإيرانية فشيدت مدنا جديدة وبنّت المدارس والمستشفيات ودور العبادة ، وكان لها الباع الطويل في نشر اللغة العربية والعلوم الدينية في جميع ربوع إيران .

ولاشك في أن الكثيرين من الكتاب يجهلون أنساب العائلات العربية التي

استقرت في إيران بعد تفتت الخلافة العباسية ويجهلون أيضا من نبغوا من هذه الأسر العربية في الأدب والنحو والفقه والتفسير والحديث والفلسفة وغيرها ؛ ولا يتذكرون غير بعض الأسماء الفارسية التي تخرجت على أيدي العلماء العرب ونبغت فيما تخصصت فيه وشاركت في أهم ما نرجع إليه من تراث عظيم ، ومن الأمور الثابتة أن لأهل فارس في الأزمان القديمة فتوحات وحروباً كثيرة شأنهم شأن كثير من الأمم ؛ فالعرب على سبيل المثال انطلقوا من جزيرة العرب في العصور القديمة نحو الهند والصين ويقول ابن الأثير في كتابه الكامل أن تبعاً ملك اليمن سار بجيشه العرمرم نحو أذربيجان ومر وهو في طريقه نحو الموصل بمكان قرب الفرات فتحير فيه أياماً وطلب من بعض أعوانه أن يتحيروا فيه فسمي ذلك المكان الخيرة ، وسار تبعاً بعد ذلك حتى بلغ أذربيجان مروراً بالموصل فقاتل الأتراك فيها وغنم منهم الكثير وعاد إلى اليمن فجاءته الهدايا من الهند ، وكانت هدايا مغرية فسأل من جاء بها وقال له : أكلٌ هذا في بلدكم؟ فقال الرسول إن أكثره من الصين ، فسار بقباثل حمير إلى الصين واكتسحها ونهب ما يستطيع أن يحمل منها وعاد إلى بلاده .

وهكذا كان الفرس في الماضي البعيد ؛ فبعد احتلالهم بلاد بابل في العراق انطلقوا نحو بلاد الشام وزحفوا على مصر واتجهوا نحو ليبيا فهبت عليهم العواصف الرملية ودفنتهم رمال الصحراء الغربية ، واكتفوا بعد ذلك بالعراق واستقروا فيه زهاء ألف ومائة وخمسة وسبعين عاماً ، وقد استفاد الفرس من حضارة البابليين وحضارة الكنعانيين في بلاد الشام ، ولربما تأثروا أيضاً بحضارة وادي النيل ؛ فتكونت لديهم حضارة خاصة مقتبسة من حضارات هذه الشعوب إضافة إلى حضارة الهند الزاهرة المزدهرة .

ولما جاء الإسلام واختلط العرب بالفرس ظهرت الحضارة العربية الإسلامية التي صنعها العرب من الحضارات القديمة ، وقد اشترك معهم في صنعها كثير ممن درسوا وتثقفوا على أيديهم ، ولا حرج في هذا ولا غضاضة فجميع من استعربوا إنما نبغوا فيما نبغوا فيه بفضل العلماء العرب ، فالعرب هضموا ما خلفته الحضارات القديمة وزادوا عليها من عطائهم المميز فظهرت الحضارة العربية التي أذهلت أوروبا حينما قصدها كثير من الأوربيين للدراسة وعاشوا تلاميذ جادين مجتهدين في جامعات الأندلس ، ولا شك في أن كثيرا من أبنائنا حينما يستعرضون أسماء العلماء المنسويين إلى مدن فارسية يعجبون لكثرة هؤلاء العلماء الذين استطاعوا أن يبرزوا في علوم العربية والحديث والتفسير والفقه وعلم الكلام وغيرها وما علم هؤلاء الأبناء حفظهم الله أن هذه الأسماء المنسوبة إلى المدن الفارسية إنما هي أسماء لعلماء من العرب الأقحاح ، وإن كانوا قد نشأوا وأقاموا في كثير من مدن فارس ، وهأنذا أضع أمام القارئ الكريم الأسماء الآتية وقد اخترتها دون ترتيب من بين مئات الأسماء لعلماء عرب لخصتهم النسبة إلى المدن الفارسية وهم عرب أقحاح :

- ١- الضحاك بن مزاحم البلخي الخراساني كان عالما جليلا تتلمذ على أيدي علماء أفاضل كابن عباس وأبي هريرة وأنس بن مالك وسعيد بن جبير وهو عربي قح من قبيلة بني هلال .
- ٢- كرز بن وبرة الحارثي الجرجاني عربي من بني الحارث دخل جرجان وأقام فيها وتوفي بها عرف بالعلم والفضل .

٣- إبراهيم البلخي الزاهد العظيم والمحدث الثَّبتُ والفقيه المتمكن هو إبراهيم بن أدهم بن بكر بن وائل .

٤- بكير بن معروف النيسابوري كان قاضيا على نيسابور ثم قصد دمشق واستقر فيها كان من أرياب الحديث وأخذ عنه كثير من الطلاب وهو عربي صميم من بني أسد وتوفي سنة ١٦٣ هـ .

٥- أبو سعيد الجرجاني واسمه عفان بن سيار عربي من باهلة كان قاضيا لجرجان توفي عام ١٨١ هـ .

٦- العباس بن الأحنف من عرب خراسان كان شاعرا ظريفا يرجع نسبه إلى قبيلة بكر بن وائل وهو القائل :

يا غريب الدار عن وطنه	مُفردا يبكي على شجنه
كلما جدَّ البكاءُ به	دبَّت الأسقامُ في بدنه
ولقد زاد الفؤاد شجىً	طائرٌ يبكي على فننه
شقه ما شفني فبكي	كلُّنا يبكي على سكنه

٧- أبو سهيل الصعلوكي النيسابوري كان فقيها وعلمنا من أعلام اللغة والأدب والتفسير ولد في أصفهان وأقام في نيسابور وتوفي فيها وهو عربي من بني حنيفة .

٨- العياشي السمرقندي من فقهاء سمرقند واشتهر في خراسان واسمه محمد بن مسعود بن العياش السلمي عربي قح وإن انتسب إلى سمرقند له مؤلفات تجاوزت المائتين .

٩- عمار بن رجاء الاستراباذي من قبيلة تغلب من حفاظ الحديث مات بجرجان سنة ٢٦٧هـ وكانت العامة تزور قبره .

١٠- أبو الفرج الأصفهاني صاحب كتاب الأغاني هذا السُّفْر الذي لا يستغني عنه أي أديب إنه عربي من قریش .

١١- ابن الفرات الرازي أحمد بن الفرات بن خالد الضبي الرازي وكنيته أبو مسعود من علماء الحديث ومن كبار الأئمة كان مشهوراً في البصرة والكوفة واليمن والشام ومصر والجزيرة وبغداد استوطن أصفهان ومات فيها .

١٢- ابن الأخرم النيسابوري محمد بن يعقوب بن يوسف الشيباني المعروف بابن الأخرم كان علماً في الحديث عاش ومات في مدينة نيسابور أواخر المائة الثالثة للهجرة .

ولانسى بعد هذا أن كثيراً من المدن في بلاد فارس قد بناها العرب أيام الفتوحات ؛ فمدينة قم المركز الديني الشهير في إيران بناها طلحة بن الأحمص الأشعري سنة ٨٣هـ في خلافة عبدالمك بن مروان ، وشيراز بناها محمد بن القاسم الثقفي بين سنة ٨٥ وسنة ٩٥ للهجرة في خلافة الوليد بن عبدالمك ، وتبريز بناها الوجناء بن الرواد الأزدي على عهد المتوكل ، ونصر آباد بالري بناها نصر الخزاعي على عهد أبي العباس السفاح ، والشاذياخ بناها عبدالله بن طاهر قرب نيسابور ، وهكذا يمكن القول في كثير من المدن .

والخلاصة أن الوشائج القوية بين العرب والإيرانيين كانت ولم تزال تتحدى التفرقة والخلاف ، وقد كان لهجرة القبائل العربية من الساحل الغربي للخليج

العربي إلى الساحل الشرقي منه تأثير لا يجحد في تعميق الشعور بالحاجة إلى سلام دائم يرفرف على الشعيين الجارين المسلمين ؛ ولعل في المؤتمر الإسلامي الذي اختتم أعماله في طهران حافزا لسياسة إيران الجديدة الهادئة نحو حل عادل لمشكلة الجزر الثلاث طمب الكبرى وطمب الصغرى وجزيرة أبو موسى ، وخير مكان في اعتقادي لحل هذه المشكلة محكمة العدل الدولية .

وليس بكثير على الجمهورية الإيرانية الإسلامية الامتثال لصوت الحق والعدل مادام مرشدها ورئيس جمهوريتها الحضيف ينتسبان إلى أسرة لها مكانتها بين العرب والمسلمين كافة .

كي لا تضيع الطريق

* غسل أدمغة بعض الشباب بأفكار وشعارات متطرفة يقود في كثير من الأحيان إلى الجريمة ، وحينئذ يضيع مستقبل هؤلاء الشباب المخدوعين بعد دخولهم دائرة الإرهاب ، ولقد كان من السهل ألا يقع هؤلاء الشباب صيدا في شباك قادة الإرهاب لو أن البيت والمدرسة تعاونوا وثيقا في أثناء الدراسة .

إن الذين اقترفوا قتل الأبرياء على أرض الكويت نسوا أن تلك الرصاصات حين أصابت الضحايا قد أصابت في تلك اللحظات الأمن والاستقرار في الكويت الوديدة الهادئة ؛ كما أنها قد نالت من سمعة الكويت في الخارج ؛ فقد عرفت الكويت بحماية الضيف والوفاء بالمعاهدات والاتفاقات ، والأغرب من كل هذا أن تنشر بعض الصحف عن لسان أحد المتهمين أنه قال في أثناء التحقيق معه إنه صلى شكرا لله بعد أن أجهز على الضحية ؛ فأى صلاة هذه التي أداها هذا الضائع الجاهل بعد اقترافه الجريمة ، وأي دين هذا الذي أباح له قتل رجل بريء قدم إلى الكويت آمنا مطمئنا بعد أن قدمت حكومته لشعب الكويت ما قدمت بعد فجيعة الاحتلال العراقي الغاشم .

إن على أرباب الأرقام النزيهة المخلصة تنبيه الآباء إلى الأخطار المحدقة بأبنائهم ، ولينهض رب كل أسرة بواجبه نحو أبنائه فلا يفيده الندم بعد أن يصبح الشباب الضائع في قبضة العدالة ؛ ويضيعوا بجرائم دفعهم إليها شياطين الإرهاب .

على أن المسؤولية في الأساس تقع على عاتق المرين في البيت والمدرسة كما قلنا آنفاً ؛ فهم الذين يتحملون عبء التوجيه السليم ، أثناء الحديث في أمور الدين ؛ فالله سبحانه هو المسئول عن عباده ، وهو العليم بالأتقياء والأشقياء ، ألم يقل في كتابه العزيز ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٣] . ثم لا ننسى واجب الإعلام المسموع والمرئي نحو التوجيه الذي نريد لأبنائنا ؛ فالإذاعة دورها كبير ، والتلفزة تأثيرها خطير ، ونحن اليوم نود أن نلحق بركب العلم المغذ في سيره نحو ما يُدهش ويُذهل ، ولا يجوز أن نظل حول أنفسنا ندور .

ورب قائل قال : إن هذه الهجمات التي استهدفت بعض المواطنين الأمريكيين في الكويت قد جاءت كرد فعل على السياسة الأمريكية المنحازة انحيازاً أعمى نحو إسرائيل ، والجواب أن انحياز السياسة الأمريكية نحو إسرائيل يعالج بالحوار السياسي ، ولقد أدى الحوار إلى اقتناع الإدارة الأمريكية بوجود انسحاب إسرائيل من الأراضي الفلسطينية والعودة إلى حدود الرابع من حزيران عام ١٩٦٧م تطبيقاً لقرارات مجلس الأمن الدولي وقيام الدولة الفلسطينية ثم إن المواطنين الأمريكيين ليسوا مسئولين عن سياسة الإدارة الأمريكية وهم حين يفدون إلى الكويت يفدون وهم على علم بأنهم أصدقاء وحمايتهم واجبة على الجميع .

إن العالم المتحضر لا ينظر إلى الهجمات الإرهابية إلا بعين السخط ، والغضب والاشمئزاز ، فلنرتفع بتصرفاتنا إن كنا نطلب الاحترام من شعوب العالم .

* العروبة كلمة مأخوذة من الفعل -عَرَبَ- بفتح الأول وضم الثاني وهي تعني من تكلم العربية ولم يلحن ؛ أما عَرَبَ بكسر الراء فهي تعني من تكلم العربية بعد لُكْنَة في لسانه ؛ ولكن العروبة اليوم تستعمل لكل مواطن في الأرض العربية يعتز باللغة العربية والانتماء العربي كما تستعمل أحيانا بمعنى القومية العربية ؛ مع العلم أن القومية العربية أهم من العروبة ، فهي تعني اهتمام المواطن العربي بأمور قومه العرب في الشدائد والملمات ، ولذلك قيل كل قومي عربي ، وليس كل عربي قوميا . والقومية مأخوذة من لفظة القوم ومعناها التضامن العربي سواء أكان بين الحكومات أم بين الشعوب العربية .

أما إخراج القومية العربية من معنى التضامن العربي إلى التعصب والعنصرية والاعتداء والعدوان فإنه يؤدي إلى فقدان كامل لمعنى القومية العربية ، ويصبح الحديث عنها كذبا وزورا ودجلا لا تأثير له لدى الجماهير العربية ، والنتيجة الحتمية تصدع التضامن العربي ، ودخول العنصريين الطغاة في ظلمات الأزمات والنكبات والكوارث . إن الذين طعنوا القومية العربية في الظهر فجر الثاني من أغسطس ١٩٩٠م واخلخلوا التضامن العربي تخلصا شديدا مازلنا نعاني منه حتى هذه الساعة هم الذين يتباكون اليوم على التضامن ويتمسحون بالعروبة والقومية العربية وما على العرب الواعين إلا أن يقولوا إنا لله وإنا إليه راجعون ، والمأمول من القادة العرب أن يهبوا للعمل بجدة تحت خيمة الجامعة العربية مهما كانت الخلافات . أما التهديد بترك الجامعة فإنه لا يسر غير أعداء العرب مع علمنا أن الجامعة العربية إنما هي المرحلة الأولى للعمل العربي المشترك ومن الواجب أن ينتقل هذا العمل إلى المرحلة الثانية دون إبطاء ألا وهي بناء

الاتحاد العربي بخطوات تدريجية قوية ؛ فليس الأفارقة بأقدر من العرب في هذا المجال .

وإذا كان الشيء بالشيء يذكر فإن الأوان قد آن لقيام اتحاد شبه الجزيرة العربية على نمط الاتحاد الأوربي لتكتسب الجزيرة بهذا الاتحاد المنشود القوة والمنعة والكرامة ولاأظن قادة الجزيرة العربية لا يفكرون في الاتحاد .

ومن الظلم بعد ذلك أن يتحامل المتحاملون على القومية العربية ، وهي براء من المعتدين عليها من مفرقي الصفوف فالذين خرجوا عليها وطعنوها في الظهر بعد أن تشدقوا بها طويلا لا يختلفون عمن يتحدثون باسم الإسلام ويشوهون اسمه وصورته في العالم بأفعالهم الإرهابية المرفوضة . وكما لا يجوز التحامل على الدين الإسلامي الحنيف بسبب أفعال هؤلاء المتحدثين باسمه لا يجوز أيضا التحامل على القومية العربية التي لا تعني غير التضامن بين الشعوب العربية .

* الاهتمام بالتسلح في بعض الدول العربية مطلوب ؛ غير أن الاهتمام بالتنمية البشرية والزراعية والصناعية له الصدارة بالتنمية الشاملة يستطيع أي بلد عربي كمصر أو المملكة العربية السعودية أو اليمن مثلا أن يحقق قوة وازدهارا كالذي تحقّق في اليابان . إن اليابان خرجت من الحرب العالمية الثانية مهشمة منهكة ، وفرضت عليها شروط الدولة المهزومة وجردت من الجيوش والأسلحة والأساطيل ؛ فعكفت بصمت على التصنيع المدني ، واندفع نحو التعليم الصناعي والتكنولوجي مئات الألوف من أبنائها ، ولم تمض غير ثلاثة عقود حتى ظهرت اليابان بقوة اقتصادية مذهلة وتصنيع أدهش العالم ، وها هي اليوم تعد العدة لارتياح الفضاء الخارجي ، وستكون لها مركباتها الخاصة بعد أن

فرضت احترامها على الجميع بالتخطيط المتقن ، والعمل الجاد ، وتقديم الأهم على المهم ؛ بفضيلة وذكاء نادرين .

كثير من الأقطار العربية لا يجاور بلدانا معادية والانهماك في التسليح بصرف المليارات سنويا لامعنى له وبخاصة حين يجيء هذا التسليح على حساب رفاهية المواطن ومستقبل الأجيال . إن الدولة التي تضع الشؤون الصحية والتعليمية والمعاشية للمواطنين في مقدمة اهتماماتها هي الدولة الرشيدة الواعية ، فلا تقدم مع الفقر والمرض والامية .

* استمعت إلى رسالة أسامة بن لادن الأخيرة التي حث فيها شعب العراق على مقاتلة الكفرة الصليبيين -الإنجليز والأمريكان- وأيقنت بعد استشهاديه بما قاله البطل خالد بن الوليد لمن نبهه إلى كثرة الرومان وقلة المسلمين في معركة اليرموك أن الرجل يعيش في ذلك الزمن الغابر حين كان السلاح واحدا بين العرب الفاتحين وأعدائهم من الفرس والرومان ، واتضح لي أيضا أن ابن لادن لم يستطع أن يستفيد مما فعلته صواريخ إف ١٦ وإف ١٨ التي دكت مغارات تورا بورا في أفغانستان ، وأسقطت حكومة طالبان في يومين .

إن المحاولات البائسة لخلق التصادم بين الأديان ومحاولات فاشلة والإسلام الذي يزعم ابن لادن أنه محارب في انتشار ، والوعي الحضاري بين شعوب أوربا والأمريكتين يفرق بين الإسلام دين الرحمة والتسامح وبين الإرهاب والإرهابيين .

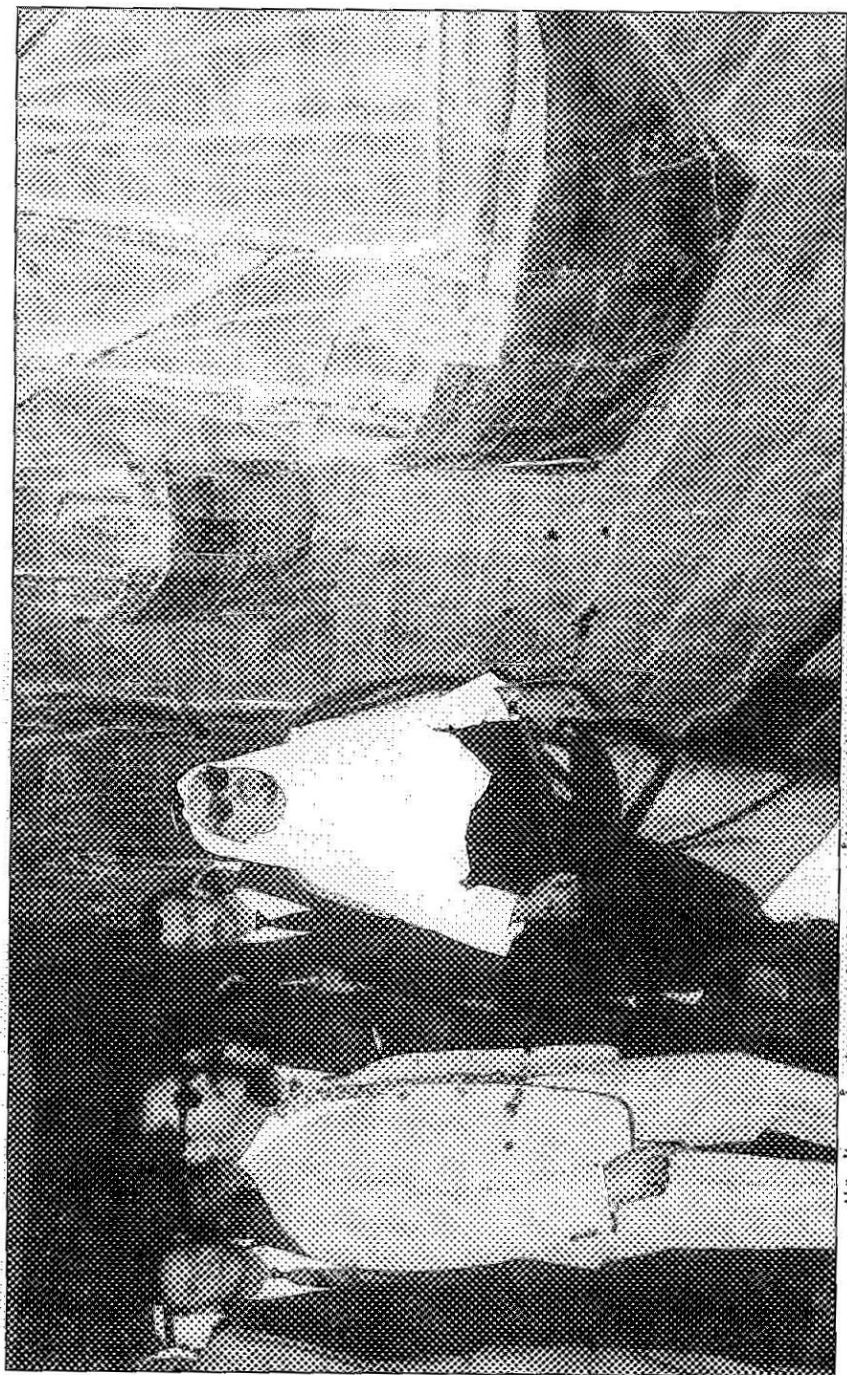
ثم إن الإسلام ليس حكرا على شخص أو فئة من الناس ؛ فكل من أسلم وجهه لله عن خشوع وإيمان فهو مسلم قال تعالى ﴿وقال موسى يا قوم إن كنتم

آمتتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين ﴿ [يونس : ٨٤] ، وقال تعالى ﴿ فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الخواريون نحن أنصار الله آمنّا بالله واشهد بأنا مسلمون ﴾ [آل عمران : ٥٢] ، وقال تعالى : ﴿ وإذ أوحيت إلى الخواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون ﴾ [المائدة : ١١١] .

والخواريون هم أصحاب السيد المسيح عليه السلام ، وقال تعالى عن بلقيس ﴿ قالت رب إنني ظلمت نفسي ، وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ﴾ [النمل : ٤٤] وقال تعالى ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم ، وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم ، وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون ﴾ [العنكبوت : ٤٦] .

إن الإرهاب أساء جدا إلى سمعة الإسلام والمسلمين ، ولا يجوز تضليل الجماهير المسلمة بالشعارات الجوفاء التي يرفضها العقل السليم .

المصورات



وزير المالية الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح يزور مبنى وزارة الإرشاد والأنباء ربيع ١٩٦٢م وبجانبه أحمد السقاف



في ديسمبر من عام ١٩٦٢ معالي الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح وزير الإرشاد والأبناء
ووكيل الوزارة أحمد السقاف



في مكتب رئيس تحرير مجلة العربي المرحوم الدكتور أحمد زكي - ديسمبر ١٩٥٨م ويرى المرحوم أحمد زكي واقفا خلف الأستاذ أحمد السقاف مهشون بصدور العدد الأول من العربي



وكيل وزارة الإرشاد والأنباء يسلم على صاحب السمو المرحوم عبدالله السالم الصباح مهتتا بالعيد الوطني للبلاد عام ١٩٦٢م



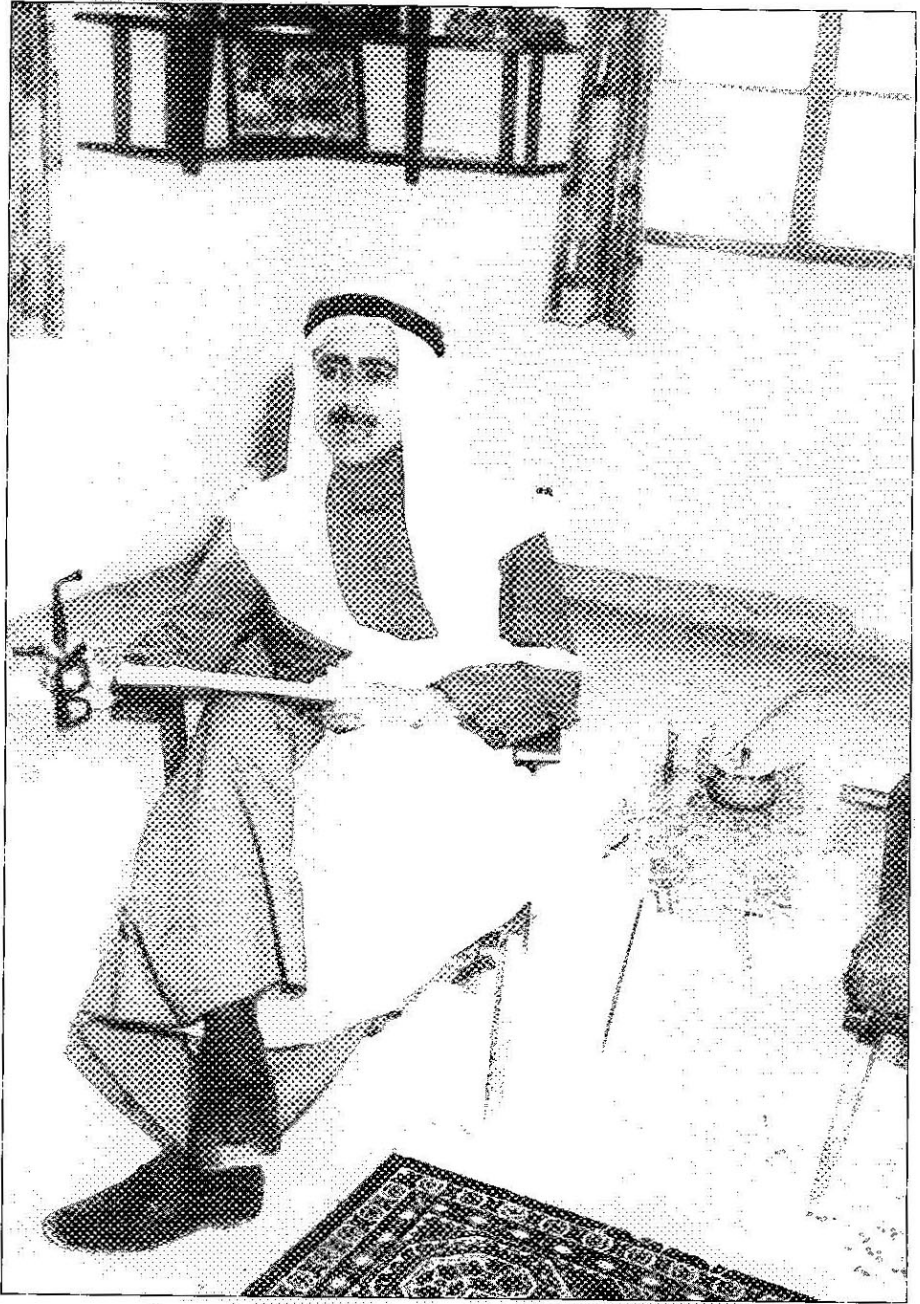
وكيل وزارة الإرشاد والأبناء أحمد السقاف في حديث باسم مع المجاهد الكبير المرحوم محمد خيضر في أثناء زيارة خيضر إلى الكويت
أواخر ربيع ١٩٦٢م بعد إعلان استقلال الجزائر



وكيل وزارة الإرشاد والأبناء أحمد السقاف في حديث مع الأستاذ صلاح عامر وكيل وزارة الإرشاد القومي في مصر شتاء ١٩٦٣م أثناء زيارة الأستاذ عامر للكويت



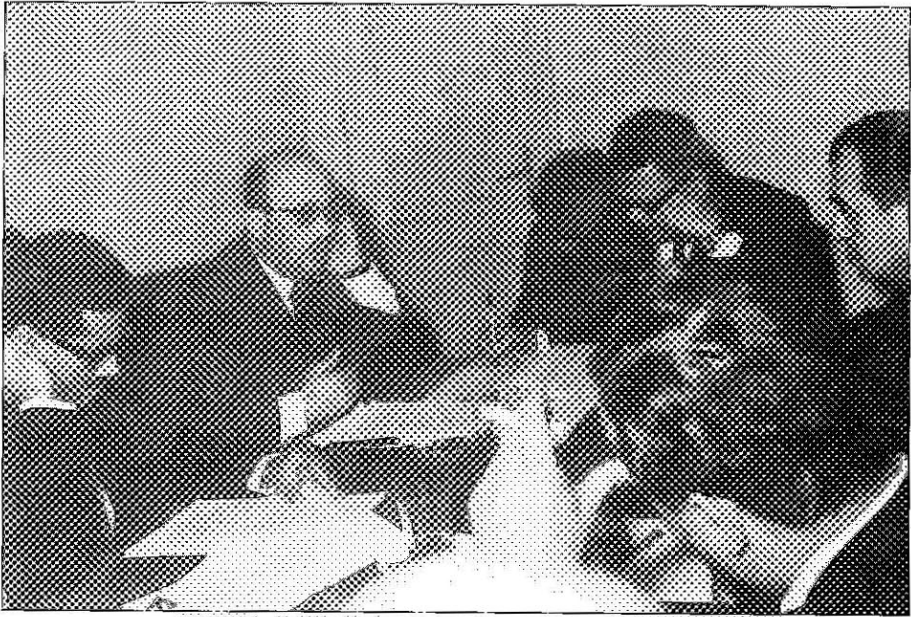
السقاف في حديث على الهواء من تلفزيون لبنان ٣/١٠/١٩٦٣م وكان في تلك الفترة وكيلاً لوزارة الإرشاد والأبناء



أحمد السقاف في مكتب ناظرة مدرسة فاطمة الزهراء الثانوية بالشارقة ١٩٦٧م أثناء تفقده سير
الدراسة في الإمارات الست



أحمد السقاف بين طفلتين يمينتين في جبل سمارة بين صنعاء وتعز
خريف ١٩٦٨م وكان يتفقد مشروعات دولة الكويت في القطر
الشقيق



اجتماع رؤساء الوفود الأدبية برئاسة الأمين العام لاتحاد الأدباء والكتاب العرب المرحوم يوسف السباعي
في القاهرة ربيع ١٩٦٨ م



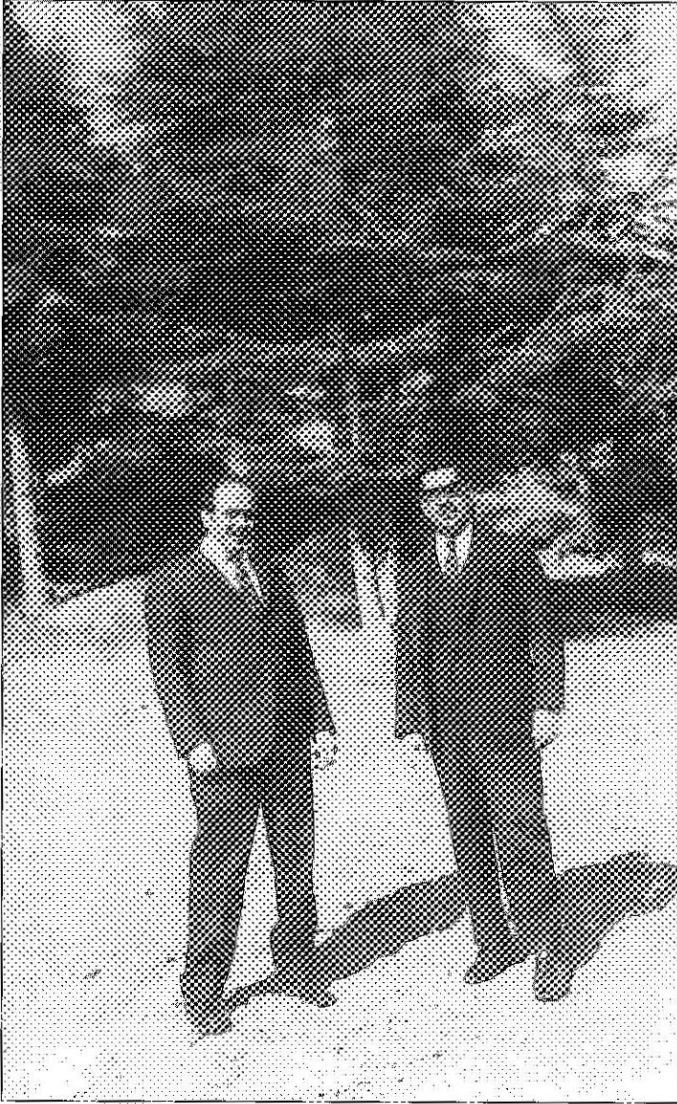
أحمد السقاف يلقي كلمة في حفل أقيم بكلية المعلمين في صنعاء بحضور حسن العمري رئيس الوزراء
وكان يرافقه السقاف الأستاذ عبدالله المفرج الوكيل المساعد بوزارة التربية في الكويت مايو ١٩٦٩



السقاف في أحد المطاعم ببيروت وإلى يساره ابنته هيفاء فالطربة الكبيرة فيروز يناير ١٩٦٩م
بمناسبة تأبين الشاعر الكبير بشارة الخوري «الأخطل الصغير»



على باب منزل الأستاذ عبدالله بن كتون رحمه الله مع أصدقائه ومريديه طنجة في ١٩٧٠/٥/٥
ويشاهد بعض رفاق الأستاذ السقاف كالشاعر إبراهيم العريض رحمه الله وإلى يمينه الأديب خالد
سعود الزيد والشاعر محمد أحمد المشاري



في الطريق بين الجزائر وبلدة شرشال السقاف وإلى يمينه سفيرنا في الجزائر
عبدالله أحمد حسين ربيع ١٩٧٠م وجاءت زيارة الجزائر بدعوة من اتحاد
أدباء الجزائر



في الرباط: أحمد السقااف في الوسط وعلى يمينه خالد سعود الزيد وعلى يساره محمد جاسم السداح
ربيع ١٩٧٠م بمناسبة زيارة المملكة المغربية بدعوة من اتحاد أدباء المغرب



أحمد السقاف إلى يمين الدكتور ثروت عكاشة وإلى يساره المرحوم يوسف السباعي في حفل تأبين عبدالناصر أكتوبر ١٩٧١م في مبنى الاتحاد الاشتراكي وقد كان الدكتور عكاشة وزيرا للثقافة. السقاف ألقى قصيدة «النسر» في هذا التأبين



في مطار دمشق عند وصول وفد الكويت إلى مؤتمر الأدباء ومهرجان الشعر شتاء ١٩٧١م ويرى رئيس الوفد في حديث مع سفير دولة الكويت



أخذت في بهو الفندق أثناء مؤتمر الأدباء ومهرجان الشعر في تونس ربيع ١٩٧٣م يوسف السباعي إلى اليمين الأستاذ أحمد السقاف وعلى يمين السباعي وزير الثقافة السوري جورج صدقي



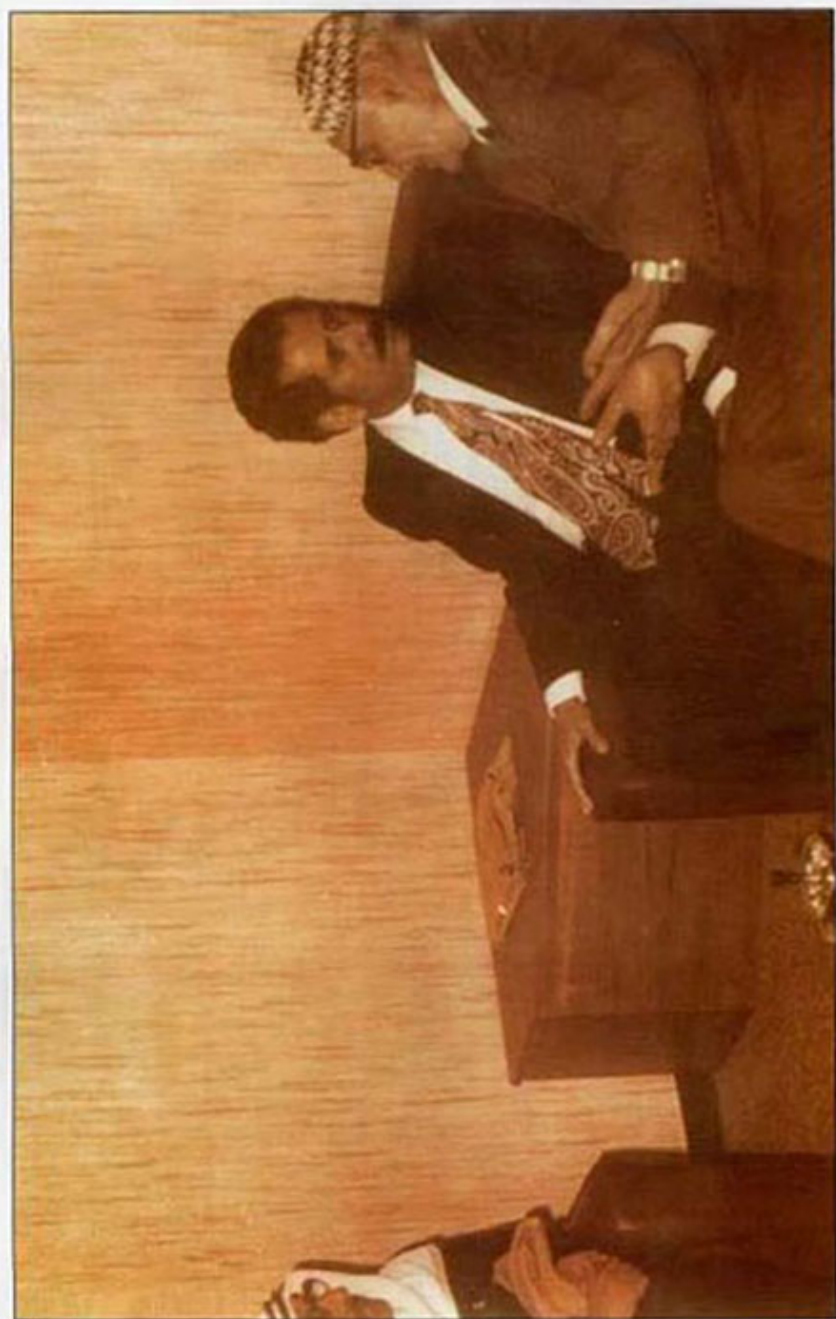
مؤتمر الأدباء ومهرجان الشعر في تونس ويرى السقاف متجها مع المرحوم يوسف السباعي نحو نصب شهداء معركة بنزرت ربيع ١٩٧٣م



في مؤتمر الأدباء ومهرجان الشعر في الجزائر ربيع ١٩٧٥ رئيس وفد رابطة الأدباء أحمد السقاف يستمع لبعض المتكلمين ويجانبه عبدالرزاق البصير وعبدالله خلف



مساء الأربعاء ٣/٣/١٩٧٦م بنادى الضباط بصنعاء بمناسبة زيارته اليمن الشمالي لتفقد مشاريع الهيئة العامة للجنوب والخليج العربي يلقي كلمته ويجانبه مدير الجامعة



الشاعر محمد مهدي الجواهري يتحدث إلى الشاعر أحمد السقاف أمين عام رابطة الأدباء في الكويت ربيع ١٩٧٩م وقد ظهر في بين الصورة الأديب الأستاذ عبدالله زكريا الأنصاري وقد حضر الجواهري رحمه الله من العراق لإحياء أسبوعية شعرية بدعوة من السقاف



أحمد السقاف ووزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء الأستاذ عبدالعزيز حسين فوزير الثقافة التونسي
الأستاذ الشاذلي القليبي عند قص الشريط إيدانا بافتتاح معرض الكتاب الكويتي بتونس ١٩٧٧/٣/٥ م



ولي عهد المملكة المغربية محمد بن الحسن على الكرسي في مقدمة الصورة ويجانبه بعض المسؤولين المغاربة
والمناسبة افتتاح معرض الكتاب الكويتي في الرباط ضمن نشاطات الأسبوع الثقافي الكويتي ربيع ١٩٧٩ م



أحمد السقاف يتأمل في ورقة قدمت له وإلى يساره الشاعر محمود درويش
في مؤتمر الأدباء المنعقد في بغداد ربيع ١٩٨٦



السفير أحمد السقاف - العضو المنتدب للهيئة العامة للجنوب والخليج العربي - يتجاذب أطراف الحديث مع رئيس
الدولة علي ناصر محمد في عدن في إحدى زيارته التفقدية لمشاريع الكويت في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية



أحمد السقاف العضو المنتدب للهيئة العامة للجنوب والخليج العربي يهنئ الرئيس علي عبدالله صالح ونائبه علي سالم البيض بقيام وحدة شطري اليمن بعد قيام الوحدة بيومين اثنين مايو ١٩٩٠م



الأمير الحسن بن طلال ولي عهد الأردن سابقا يودع رئيس الوفد الشعبي الكويتي بعد جلسة مباحثات مطولة ومأدبة غداء. راجع كتاب «صيف الغدر» ديسمبر ١٩٩٠م



أحمد السقاف بين د. عبدالله العبادي ود. يوسف عز الدين في دار الضيافة بالطائف ظهر يوم
١٩٩٢/١٢/٢٧م وفي ذلك اللقاء ألقى الشاعر السقاف قصيدة «الطائف»



الشيخ عبدالمقصود خوجة يصطحب ضيفه الشاعر أحمد السقاف إلى القاعة الكبيرة في القصر الفخم لبدء حفل
التكريم والأسمية الشعرية وإلى يمين الشاعر نجله المهندس أسامة كان ذلك بجدة ربيع ٢٠٠١ في منتدى الاثنينية
الذي يرعاه هذا الشيخ الجليل



السقاف يتسلم جائزة الدولة التقديرية من الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الأستاذ الدكتور محمد الرميحي يناير ٢٠٠١م ووقف إلى جانب الأستاذ الرميحي من جهة اليمين الدكتور خليفة الوقيان مستشار المجلس الوطني



ليلة التكريم بجائزة الدولة التقديرية ويرى الثلاثة المكرمون الشاعر أحمد السقاف والمؤرخ سيف مرزوق الشمالان والأديب خالد سعود الزيد

المحتويات

- ٧ تصدير
- ٩ أحمد محمد السقاف رائد متميز من رواد النهضة العربية الحديثة
- ٢٧ السقاف والغزو العراقي الغادر للكويت
- ٤١ مختارات من مقالاته ومقابلات أجريت معه
خواطر في العروبة والقومية ، مجلة العربي العدد ٤٩٩
- ٤٣ ديسمبر ١٩٩٩ م
خواطر في العروبة والقومية عود على بدء ، مجلة العربي
- ٥٤ مارس ٢٠٠٠ م
- ٦٧ مملكة كهنة وأمة مقدسة ، مجلة البيان ، فبراير ٢٠٠٠ م
- ٧١ شيء من مبالغات السخفاء ، جريدة القبس ، يناير ٢٠٠١ م
- ٧٨ واي ريفر وأشياء أخرى ، جريدة القبس ، أكتوبر ١٩٩٩ م
- ٨٧ مع أروى الصليحية والصليحيين ، مجلة البيان العدد ٤٤ نوفمبر ١٩٦٩ م
- ١٠٢ من بعيد ، جريدة القبس ، يوليو ٢٠٠٠ م
- ١٠٧ علينا أن نعي هذه الأمور ، جريدة القبس ، فبراير ٢٠٠٠ م
- ١١٤ عام رحل وعام أطل ، جريدة القبس ، يناير ٢٠٠٠ م
- ١٢١ من بعيد ، جريدة القبس ، يونيو ١٩٩٠ م
- ١٢٦ هاتوا برهانكم ، جريدة القبس ، ديسمبر ٢٠٠٠ م
- ١٣٢ القومية العربية والتحديات ، جريدة القبس ، يناير ١٩٩٥ م
- ١٣٩ العرب و كارثة آب ، مجلة الكويت ، أغسطس ١٩٩٧ م
- ١٤٧ بعض ما يجب أن يقال ، جريدة القبس ، أبريل ٢٠٠٠ م

- ١٥٣ حول المناظرات والتصريحات ، جريدة القبس ، يناير ١٩٩٩ م
- ١٦٦ القدس شرف الأمة العربية والإسلامية ، مجلة الكويت ، مايو ١٩٩٧ م
- ١٧١ في ذكرى الاستقلال ، مجلة الكويت ، فبراير ١٩٩٧ م
- ١٧٩ في أمرين مهمين
- ١٨٧ مقابلة مجلة الحدث ، مجلة الحدث ، نوفمبر ١٩٩٧ م
- ١٩٦ في ذكرى العدوان ، مجلة الكويت ، أغسطس ١٩٩٨ م
- ٢٠٥ من بعيد ، جريدة القبس ، فبراير ٢٠٠٠ م
- ٢١٠ غويلز يتكلم ، جريدة القبس ، مايو ٢٠٠١ م
- ٢١٥ أهلاً بالعيدين ، جريدة القبس ، فبراير ٢٠٠٠ م
- الرأي العام تسأل وأحمد السقاف يجيب ، جريدة الرأي العام ،
- يناير ١٩٩٧ م ٢٢١
- ٢٣٩ في قضايا التخلف والتقدم ، جريدة القبس ، أكتوبر ١٩٩٩ م
- ٢٤٦ الأهرام العربي تسأل وأحمد السقاف يجيب ، مجلة الأهرام العربي
- ٢٥٤ ثلاثة أعياد ، جريدة القبس ، فبراير ٢٠٠٣ م
- ٢٥٨ حول الفضائيات والتصرفات ، جريدة القبس ، مارس ١٩٩٩ م
- ٢٦٥ ماذا يجب أن نعمل ؟ ، جريدة القبس ، فبراير ١٩٩٨ م
- ٢٧٢ إيران تخرج من العزلة ، جريدة القبس ، فبراير ١٩٩٧ م
- ٢٧٨ كي لا تضيق الطريق ، جريدة القبس ، فبراير ٢٠٠٣ م
- ٢٨٥ المصورات

ردمك: 99906-56-18-5 ISBN:

رقم الإيداع: 2004/00375 Depository Number: